www.maktabbah.blogspot.com

B A G I M

عمرو مرزوق

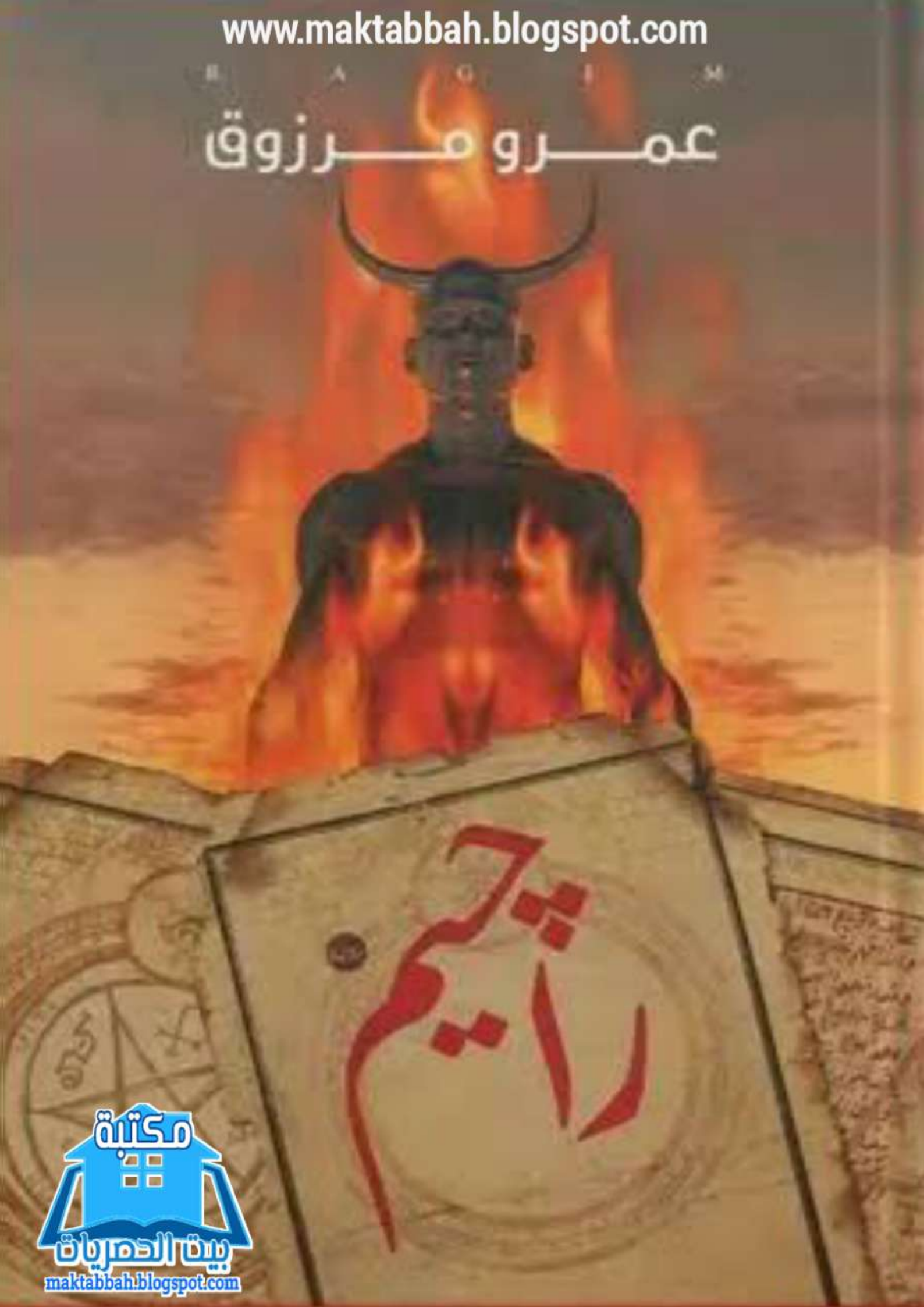

راجيم

مكتبة بيت الحكمة
maktabbah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

الفصل الأول

أرض العور

الحقيقة والوهم، الحياة والموت، الخلود والفناء، الواقع والخيال، أسماء كلّ منها عكس الآخر وهناك خطٌ رفيعٌ جدًا بين كل متضادين، لكن على الرغم من ذلك فكل كلمةٍ تشير إلى عالمٍ ثانٍ مختلفٍ عن نقيضه، أشخاص وأحداث وعالم آخر يحتويه كل مضاد منهم، وكل عالم له أقداره الخاصة به، وهناك منطقة رمادية في المنتصف يمر بها الأشخاص ولا يتوقفون بها أبدًا لعدم استطاعتهم.

لكن هل تصورت يومًا أن تكون أنت في تلك المرحلة الوسطية بين الاثنين، أو تحاول رغمًا عن القدر أن تتمسك بهما سويًا وتقف في تلك المنطقة المبهمة بين كل عالم، إن فعلت ذلك سيكون بمثابة درب من دروبِ المستحيلات ولكن إن تحديت نفسك والظروف المحيطة ونجحت رغمًا عن الجميع وحدثت تلك المعجزة بطريقة ما أو بشكل ما أو في وقتٍ ما وتمكنت من الوصول إليه، صدقني سيحدث لك ما لا يمكن أبدًا أن تستطيع أن تتصوره حتى في أسوأ كوابيسك؛ لذا فإن كنت وصلتَ إلى تلك المرحلة التي تريد فيها أن تعبر أغوار المجهول لتكتشفه، فنصيحتي لك ابتعد.

ابتعد من أجل كل ما هو عزيز لديك، ارتضِ بما قسمه الله لك وابتعد وادعُ الله كثيرًا ألا تدخل في تلك التجربة، ما قدره الله لك هو ما كان وليس في إمكانك تغييره وكل ما يحدث لك هو المكتوب صدقني، والويل كل الويل لمن يعترض على إرادة الله.

مكتبة
maktabah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

لن أطيل عليكم، كل ما حدث لي كان بدايته منذ سنوات منذ أن تخطيت الأربعين، وقتها بدأت حياتي تنقلب رأسًا على عقب، ولكني لم أنتبه لكل ذلك واستمريت وتماديت وعاندت أكثر فأكثر حتى وصلت إلى ما أنا فيه الآن، كل ذلك كان إشاراتٍ واضحة منذ البداية ولكني تعمدت تجاهلها حتى صرت إلى ما صرتُ إليه حالًا.

***

عندما أفقتُ بعدما أغشي عليّ، وأنا في منتصف الطريق لم أدرِ في بداية الأمر ما الذي حدث لي؛ فيبدو أني كنتُ مسرعًا منذ عدة دقائق، وانتابتني لحظةً من فقدان الذاكرة، فلم أدرِ وقتها أين أنا، وما تلك الظروف التي جعلتني مستلقيًا في نصف الشارع والجميع يهرول من حولي مع تلك النظرة المرتعبة لتلك الفتاة التي كانت تبكي وتولول لأنها صدمتني بسيارتها رغمًا عنها أثناء انشغالي بالركض وعبوري الطريق فجأة، لكني طمأنت الجميع وأنا أخرج الكلمات من فمي بصعوبة شديدة:

- أنا بخير شكرًا لكم جميعًا لا تقلقوا، مجرد إصابة بسيطة في ركبتي.

حاولت القيام فلم أستطِع؛ فجلست على الأرض ونظرت إلى الفتاة المرعوبة صاحبة السيارة:

- وأنتِ يا ابنتي لا تخافي فهو ليس خطأكِ إنما هو خطئي أنا؛ فالله وحده يعلم ما أمرُّ به

تناولت تلك الأيدي الممدودة لبعض الشباب الذين نجحوافي إسنادي وأجلسوني على كرسيّ بالقرب من محل، بعد أن

maktabbah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

انصرفت الفتاة شاكرة بعدما رأتني قد سرتُ ببطء على قدمي واقتربت مني فتاة حسناء أخرى، وهي تنظر لي بشفقةٍ وعلى وجهها هي الأخرى علامات القلق:

- اسمح لي فأنا طبيبة في تلك المستشفى القريبة، هل لي أن أفحصكَ لدقيقةٍ قبل أن تذهب؟

- حسنًا، ولكني بخير، فلا داعي للقلق، هي ساقي فقط وأستطيع أن أسير عليها فلا داعي لأي قلق

- إذن أخبرني هل تعلم من أنت أو تاريخ اليوم يا سيدي؟

أجبتُها بصوتٍ ضعيف بعد أن فكرتُ لمدة خمس ثوانٍ:

- الأربعاء، أول إبريل.

تنحنحت الفتاة في خجل وهي تفحص عيني مباشرة:

ج - لا يا سيدي هذا من أسبوع، نحن اليوم الأربعاء الموافق الثامن من إبريل.

استغرقت عدة لحظات أخرى واجما وأنا أتطلع إلى الجميع باستغراب، فقد نسيت فعلا من أنا أو أين كنت كل ما أعرفه أني...

لا أدري، لا لا كل ما أتذكره الآن هو عبوري في منتصف الشارع فجأة حتى صدمتني تلك السيارة التي لم أنتبه إليها، وفقداني الوعي لمدة دقيقتين أو ثلاثة.

حاولت الوقوف مرة أخرى، لكني لم أقدر، تأوهت قليلا ثم أخبرت الفتاة باسمي قبل أن تتركني هي وبقية الجمع، عندما أخبرتهم أني أصبحت على ما يرام وأن كل ما أريده هو العودة

maktabah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

إلى منزلي فقط.

نعم، فقد تذكرت كل شيء وقتها فقد بدأت ذاكرتي تعود تدريجيًا فعلا؛ فأنا لم أكذب على الجميع، لكن ما حدث لي من قبل يجعلني أتمنى أن أكون قد فقدت الذاكرة حتى الموت، اه لو كنا نمتلك تلك الموهبة في إخفاء ذكرياتنا السيئة إلى الأبد، والعيش بما تحتويه قلوبنا على لحظات سعيدة فقط حتى وإن قلت.

اقترب مني أحدهم وهو يمسك يدي ويشير إلى أحد عربات التاكسي قائلا:

- تفضل معي يا سيدي؛ فسأقوم بتوصيلك إلى منزلك في أي مكان.

وذهبت معه بعدما أخبرته بعنوان منزلي القريب من مقام مسجد السيدة نفيسة.

***

عذرًا، نسيت أن أعرفكم بنفسي مرةً أخرى؛ فهناك من يبدو أنه لا يعرفني أنا -أيمن مكاوي- عمري حوالي ٤٥ سنة تقريبا، مهندس إنشاءات، كنت أعمل في إحدى شركات المقاولات التي حدث لها انتكاسة في بداية العام الحالي، وللأسف قاموا بتسريح العديد من العمالة ومنهم أنا، صحيح أني لا زلت بصحتي إلى حدٍ كبير، ولازلت أبحث عن عمل، ولكن أين فرص العمل الآن فقد بحثت في كل الأماكن، وشتى الوظائف دون جدوى، اه معذرة، كنت في هذا المكان منذ ساعة، ليس للبحث عن أي عمل فقد كنت في مكتب السجل المدنيّ القريب ولكني لم أتوصل إلى شيء، ولم

maktabah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

أحصل على أي شيء، لماذا؟ أسمعكم تتهامسون لمَ كنت هناك؟

لأني كنت هنا أحاول استخراج شهادة وفاة لابني الوحيد - أشرف - الذي توفي يوم الأربعاء الأسود الماضي أول إبريل، في حادثة القطار الشهيرة.

ونعم الأسود، فهو أسود يوم في حياتي؛ فأشرف هو ابني الذي ظللت أحد عشر عامًا في انتظاره، حتى منَّ الله علينا به أخيرًا أنا وزوجتي، كنت أعيش بأنفاسه التي كانت تملأ عليَ حياتي يومًا بيوم، حتى كبر أمام عيني والتحق بكلية العلوم السنة الماضية، لكن فجأة فجعتنا الأقدار، أعلم أنه قد لا تسير الحياة كما نحب، أو كما أحب أنا؛ فكلما ارتاح قلبي وهدأ، تحدث فجيعة في حياتي تجعلني أتمنى الرحيل عنها في أسرع وقت.

ودون مقدمات وفجأة خطف الموت ابني الوحيد منذ أسبوع مضى، كان في رحلة مع أصدقائه في الكلية، في ذلك القطار اللعين، مهما بلغت بكم التخيلات لن تستطيعوا أن تشعروا بوجع أبٍ فقد ابنه، أسبوع مر وكأنه ألف عام، كل يوم نتقطع حزنا أنا وأمه دون أيّ فائدة.

فليرحم الله كل متوفي، لازلت إلى الآن أدعو الله أن يجمعني بكل أحبتي في الجنة، وأتمنى القبول رغم كل المصائب التي قمت بها بعد أن فقدت الحياة زينتها وأصبحت حالكة السواد، فلا يوجد شعور أستطيع أن أخرجه من قلبي على أسماعكم الآن، أو حتى أستطيع وصف تلك المرارة المستمرة في حلقي إلى أن يشاء الله.

بعد ساعة تقريبا وصلت أخيرا إلى منزلنا العجوز الرابض في إحدى الشوارع المطلة على قبة مسجد السيدة نفيسة، بدأت

maktabah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

أصعد على مهل حتى وصلت أخيرًا إلى شقتنا في الطابق الرابع. أخرجت مفاتيحي ودلفت إلى داخل المنزل الكئيب والذي كان يعج بالضجيج والخلافات المستمرة، والأصوات المتبادلة ما بين ضحكات وموسيقى وغناء وغضب، ما بين زوجتي (إلهام) و(أشرف) كل ذلك في خلال أسبوع فقط، والله أسبوع فقط، تخيلوا مدى الألم الذي كنتُ أشعر به.

بمجرد دخولي، بحثت عن زوجتي في غرفة المعيشة فلم أجدها، تذكرت مكانها المعتاد؛ فوجدتها فيه تقرأ آيات من القرآن الكريم، ناديتُ عليها بصوتٍ خفيض؛ فرفعت رأسها وهي تتطلع إليّ بنفس تلك النظرة الممتلئة باللوم ولم تعقب، استمرت تلك النظرة لمدة ثانية واحدة، كانت كافية لأرى تلك العينين البندقتين وقد اغرورقت بالدمع الذي لا زال ينساب على وجنتيها، ثم وضعتهما في المصحف مرة أخرى، دون حتى أن تسألني عن حالي.

فضلت ألا أكرر النداء، وتركتها في هدوءٍ بعد أن اقتربت منها وطبعتُ قبلةً حانيةً على رأسها.

قادتني قدماي إلى غرفة (أشرف) التي كانت ولا زالت كما هي، منذ أن تركها ذلك الصباح المشئوم ولم يزد عليها إلا صوتُ القرآن الذي بدأ ينساب من ذلك الراديو الموضوع بجانب مخدعه، والذي لم يُغلق أبدًا منذ وفاته وليظل هكذا للأبد، لأسمع عدة آياتٍ من سورة آل عمران، بدأت دموعي تنساب هي الأخرى بغزارة، عندما رأيتُ ملابسه المكومة على السرير وحاجياته المبعثرة في الحجرة، أغلقت الباب في هدوء، ثم ذهبت إلى الصالة مرةً أخرى لأستلقي في نومٍ عميق على الكنبة

maktabah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

حتى دون أن أبدل ملابسي.

في صباح اليوم التالي، استيقظتُ في تمام الثامنة؛ كان لديّ موعد لإجراء إحدى المقابلات الروتينية للبحث عن عمل في إحدى الشركات، وعندما دخلت إلى غرفة نومي وجدت (إلهام) كما هي منذ الأمس، لازالت تقرأ القرآن ولازالت تلومني بتلك النظرات دون أن تفتح فمها أبدًا.

وكالعادة انتهت المقابلة على الثانية عشرَ ظهرًا، تلك المقابلة المملة والتي تنتهي دومًا بجملة سمعتها مئات المرات:

- حسنًا؛ سوف نتصل بك في أقرب وقتٍ، شرفت

ولم يتصل أحد أبدًا أبدًا..

يأس يأس يأس في كل الحياة وحياتي أنا بالأخص؛ فمنذ أقل من عامٍ، كان كل شيء على ما يرام وظيفة جيدة، أسرة سعيدة، ابن بار ومستقبل مضمون، لكن دومًا تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، اللعنة، وأيُّ رياحٍ ألقت بسفينتي في خِضم بحر الأقدار دون حتى أن يكون لي القدرة على العوم، وكل ما لديّ الآن هو أن أستقبل نهايتي بصدرٍ رحب، أو حتى رغمًا عني؛ فهي الأقدار دائمًا التي ليس لنا فيها أي حيلة

لم يكن لديّ أي رغبة في العودة إلى المنزل فقد أصبحت حياتي في الأيام الأخيرة هي الرغبة في النزول فقط إلى الشارع حيث لا يوجد أي شيء أفعله بداخله؛ فأنفاسي تختنق فيه ولا أريد المكوث في الخارج؛ حيث لا يوجد أيضًا ما أفعله خارجه.

في عصر هذا اليوم، استمريت في السير ساعاتٍ وساعات حتى قادتني قدماي أخيرًا حتى اقتربت من المنزل، ولكن لم

maktabah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

يكن لديّ أي رغبةٍ في الصعود، حتى قابلت أستاذ (فاروق) جاري الذي حياني بحرارةٍ شديدة واندهاش؛ متحججًا أنه لم يرَني منذ فترة طويلة، وطلب مني إن احتجتُ أيَّ شيء؛ فعليَّ أن أزوره في شقته في الطابق الثاني، ودعاني إلى صلاة العشاء، التي كنت أسمع آذانها في نفس الوقت.

شكرته وانصرفت، لكني خجلتُ من نفسي؛ بسبب عدم انتظامي في أداء فروض الله، وكأني أصبحتُ في الفترة الأخيرة أصلي كارهًا وأسمع الاذان كارهًا أو مضطرًا، ما الذي حدث لي لا أعلم، توقفت دقيقة؛ لأشرب سيجارتي مستندًا على إحدى السيارات، وعند إقامة الصلاة ألقيت بما تبقى منها ودخلتُ خجلا إلى المسجد، فتوضأت سريعًا ثم أديتُ صلاة الجماعة على مضض، وخرجتُ، ولكني كالعادة لم أصعد إلى شقتي فقد فضلت أن أسير في رحاب الجامع، خاصة أن كان هناك زحام شديد؛ فربما اقترب مولد السيدة نفيسة، لا أدري كل ما أعرفه أني كنت أسير دون وعي، وسط الحشود الضخمة ولا أدري إلى أين ستقودني قدماي، تذكرت (إلهام) في هذا الأثناء؛ فأخرجتُ هاتفي لكن للأسف؛ وجدتني نسيته مغلقًا منذ ميعاد المقابلة ظهرا في الشركة ففتحته لأطمئنها عليّ، وإن كنتُ أعلم أنها لا تود سماع صوتي من الأصل.

وبمجرد تشغيلي للهاتف، وجدت اتصالًا من شقيقي الملعون (ياسر) تأففتُ بمجرد قراءة اسمه على الشاشة، انتظرتُ حتى أنهى الاتصال وحاولت الاتصال بزوجتي، لكنه كان مغلقًا هو الآخر وكأنما بعد وفاة ابنها لم يعد لديها أيّ رغبةٍ في الحياة، أو حتى التحدث مع أيّ شخصٍ وبخاصٍ أنا بالطبع.

@alanbyawardmsr

حاولت الاتصال بها مرة أخرى لكن في نفس اللحظة عاود (ياسر) الاتصال بي فأجبت على الاتصال رغما عني؛ ولذلك صرخت فيه بمجرد سماع صوته فلم يتوقف هو الآخر واستمر في الصياح.

- أين أنت؟ هل أي شخص يحدث له بعض الظروف يختفي يا أخي؟ وحد الله، أمك تكاد تموت كمدا عليك، اتقِ الله فأمك تود رؤيتك حتى وأنت في تلك الحالة بعد كل ما أصابك، كل شيء سيمر يا شقيقي ونحن سنظل إلى جوارك مهما حدث.

أغلقت الخط في وجهه وأنهيت الاتصال معه، نعم قاطعت حديثه الممل وأغلقت الهاتف كله.فلم يكونوا مقدرين لحجم المصيبة التي أنا فيها، وأخي الذي تهمه مصلحتي ويقوم بنصحي وإرشادي الآن بعد أن كان لا يهاتفني إلا عندما يريدني أن أذهب للعناية بأمنا المريضة، التي أصبحت مقعدة في سنينها الأخيرة، وخاصة عندما يكون لديه أي رحلة تبع جامعته وعلى الرغم من الظروف التي أمر بها إلا أنه دومًا ما يبدأ كلامه لي باللوم أني لا أزورهم أو أقضي لي إلى مع أمي أثناء سفره، ذلك هو (ياسر) أخي، الشاب المستهتر الذي أنجبته أمي بعد سنين كثيرة من ولادتي، لا يهتم بأي شيء في الحياة سوى السهر والخروج والرحلات والفتيات؛ ولذلك كان الرسوب هو مصيره كل سنة في كليته رغم أنه اقترب من الثلاثين تقريبًا.

كنت قد اقتربت من ناصية شارعي؛ فتوقفت لمدة ثانية واحدة ولكني صممت على ألا أذهب للمنزل واستمريت في السير من شارعٍ إلى آخر ومن حارة إلى أختها حتى قادتني قدماي إلى مكان ربما لم تطأه قدماي قبل ذلك، كانت المباني فيه عتيقة

maktabah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

الطراز في شكل الأربعينات وهناك في آخر الحارة ركن مظلم يجب أن أجتازه حتى أكون على ناصية الشارع المؤدي إلى المقام، استمريت في السير حتى لمحت دكانا قديمًا من ذلك الطراز العتيق وعلى يافطته كُتِب:

-أبناء مسوط-

اندهشت من غموض الاسم وخاصة أن الدكان لم يظهر بداخله ما يبيعه، اقتربت منه وكان هناك فرجة في الباب الخشبي لأطل عما هو بالداخل.

لم أستطِع كبت الفضول الذي نما بداخلي، وخاصة عندم لم أرَ جيدًا بالداخل؛ فقد كان مظلمًا هو الآخر، إلا من شمعة بسيطة وعلى ضوئها وجدت شبحًا لرجلٍ جالسٍ في آخر الدكان الذي كانت تتصاعد منه أبخرة نفاذة الرائحة؛ فطللت برأسي وألقيت التحية ولكني لم أسمع سوى همهمةٍ بالداخل؛ فسألته مباشرة وأنا أدخل الدكان وكأن قدماي هي التي كانت تحركني رغمًا عني:

- لو سمحت أريد أن أذهب إلى شارع.

قطعت حديث بنفسي عندما وجدت نفسي وجهًا لوجهٍ أمام ذلك الرجل الأسود ذو الملامح المرعبة والذي ابتسم بتلك الابتسامة التي لم ترق لي أبدًا، وخاصة عندما انتابتني تلك القشعريرة الغريبة؛ فكررت سؤالي وهو لايزال على ابتسامته المريبة، ولكن هذه المرة هو من قطع حديثي عندما أخبرني بتلك الجملة التي قلبت حياتي رأسًا على عقب، فلم أدرِ بنفسي والأرض تميد بين قدمي؛ فتهاويت على تلك الكنبة الخشبية؛ فكرر الرجل سؤاله

maktabah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

مرة أخرى:

- لو كان في يدكَ أمرُ إعادة ابنك(أشرف) للحياة، هل كنت ستعيده؟

لم أشعر بنفسي وقتها؛ فقد أظلمت الدنيا في وجهي وربما غبتُ عن الوعي لمدة دقيقةٍ أو أكثر، ولما أفقتُ وجدتني لازلت على جلستي تلك وبدأت في البكاء بصوتٍ مسموع دون أن أعي ماذا الذي أفعله أمام الرجل الذي كان لا يزال ينظر إليّ بنفس تلك النظرة المريبة، رغم أن وجه الرجل لم يكن واضحًا وخاصةً بعدما بدأت أدخنة البخور في التصاعد، إلا أني كنت أشعر أن عيناه تخترق الدخان وتخترقني معها.

قطعت أنا ذلك الصمت القاتل؛ لأخبر الرجل بعد أن هدأت قليلًا:

- هل تعرف من أنا؟ هل تعرف ابني أشرف؟ وكيف يمكن أن أفعل ما تقوله؟

ابتسم الرجل ابتسامة خبيثة، وأكمل:

- يااااه أعرفك بالطبع، وأعرف كل شيءٍ عنك، منذ عشرات السنوات ورغم ذلك فقد قرأتك وقرأتُ عينيك وما بها من آلام وأحزان، لذلك سألتكَ هذا السؤال ولم تجبني؟

- تعرفني منذ عشرات السنوات وقرأتني، كيف ذلك! أنا لاأفهم شيئًا مما تقول، فسر لي من فضلك؟

تأفف الرجل وزفر بضيقٍ قائلًا:

- هل هذا وقت أسألتكَ؟ اسمع يا هذا، أمامك من الآن خمسُ

maktabbah.blogspot.com

دقائق فقط قبل أن أغلق دكاني هذا لتجيبني على هذا السؤال.

- لست أفهم ما الذي تقصده؟

- تبًا لغبائك، سألتكَ لو كان هناك وسيلة ما تستطيع بها إعادة ابنك (أشرف) للحياة، هل كنت ستعيده؟

نظرتُ للرجلِ كمن ينظرُ إلى مجنونٍ يهذي أمامي، لكن الجو المحيط أثارني فاستمريت في تلك المهزلة السخيفة:

- وكيف أستطيع أن أعيد ابني للحياة يا سيدي؟ هذا مستحيل بالطبع، فأشرف مات من أسبوع لذلك حاول أن تُفهمني ما الذي تقصده من فضلك؛ فالميت لا يعود!

نظر إليّ الرجل بعينين ثائرتين وأنهى اللقاء، حاول أن يقوم من على كرسيه الخشبي وهو يردف في اشمئزاز:

- حسنًا، حسنًا، اذهب إلى بيتكَ الكئيب ولزوجتك التيستموت قريبًا ولحياتكَ الفاشلة يا (أيمن)، اذهب إلى عملكَ الذي طردوك منه شر طردة، ودع نفسك تموت كمدًا على ولدك الوحيد الذي مات منذ أسبوع في حادث القطار، لا لا دع هؤلاء واذهب إلى (ياسر) الذي يبتزك ليل نهار وتلك العجوز التي لا تطيق سماع اسمك وستتبرى منك في القريب العاجل هيا، أكمل حياتك تلك؟

كنتُ مذهولًا مما يتفوهُ به الرجل؛ فكيف يعرف عنى كل ذلك، وعندما لم أجبه قام من على كرسيه، ولأول مرةٍ ألمحه جيدًا، وقتها أشار بيده إلى الدخان المتصاعد فتوقف فجأةً ثم قام من أمامي ليذهب إلى ناحية باب الخروج؛ ليبدأ في فتحه وكأنه يشير لي أن أخرج، وخاصةً عندما أشار لي بذلك وقتها لمحته جيدًا على ضوء تلك السيارة التي رُكنت بالقرب من الدكان؛ فقد

maktabah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

كان طوله لا يتعدى المتر ونصف ويرتدي عباءةً سوداء فوق جلبابه، ومن أسفلها ربما لم أرَ جيدًا ولكني شكتُ أن للرجل ذيلًا يظهر من خلف العباءة، ربما لم أرَ جيدًا فاستعذتُ بالله من الشيطان الرجيم؛ فالتفتَ إليَّ مرةً أخرى غاضبًا قائلًا بصوتٍ عالٍ:

- بمَ تفكر؟ اخرج إذن طالما لم تجبني على سؤالي.

هرعتُ إليه ممسكًا بعبائته متمتمًا في توسُل:

- من أنت يا سيدي؟ إن كان كلامُك هذا صحيح؛ فأنا على استعدادٍ للتضحية بعمري مقابل عودة ولدي الوحيد، حتى ولو...

قاطعني بنفس ملامحه القاسية:

ليس ذلك مهمًا الآن، كل ما أريد معرفته هي إجابةً صريحةً منك نعم أم لا؟

- نعم، ألف نعم، وهل هناك أيَ اختيارٍ في تلك الإجابة يا سيدي؟

توقف الرجل هنيهة وهو ينظر إلى السماء ويشير بأصابعه وكأنه يخطُّ أمرًا ما وأردف:

- اليوم، كم مرّ على موتِ ابنك؟

- ثمانية أيام.

- إذن، اجلس وأنصت إليّ.

أكمل الرجل إغلاق الدكان من الداخل؛ لينفرد بي ووقتها وجدت الدخان قد بدأ يتصاعد مرة أخرى من نفسه، وأزاح المنضدة

maktabbah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

الخشبية التي كان عليها الموقد؛ ليظهر من أسفل منها فتحة في أرضية الغرفة يبدو أنها تؤدي إلى غرفة أسفل المحل، وعلى الفتحة رسمت دائرة حمراء على الأرض، بداخلها نجمة سداسية على رؤوسها الستة رصت كلمات لم أرَ منها إلا عدة حروف لا تُكون أيّ كلماتٍ معروفة، مدَّ الرجل قدميه داخلها، ثم هبط ساجدًا على الأرض وبدأ يهمس بصوت خفيض في الأول وبدأ يعلو الصوت وهو يترجف رويدًا رويدًا.

اقتربت منه محاولًا فهم ما يقوله فلم أسمع إلا بعض الكلمات التي وكأنها رسخت في عقلي ولم تمحى أبدًا:

- طهماش صخيوقاش رهياع عوقار رعديار برنبار طهياش صعضياش شهبراش طهياخ برماش عيكلاش مبراخ طباخير شمراخ صعقروش بارال صهقال درداس صرعال طهروقان غيلان صعمراخ طهدباش رهطياش صعيون هيلوث طرمروخ روقاهياش بغماش جليار طمران سلهرار قهراش برناخ شهجمان

وبدأ الرجل في الصراخ والعويل؛ فاقتربت منه محاولًا جذبه عما يقوم به لكن بمجرد اقترابي من الدائرة، شعرت وكأن لوح ثلج اخترقني، وزادت ضربات قلبي دونما سبب؛ فابتعدت عنه وتركته لما كان يقوم به، دار في عقلي فكرة أن أترك ذلك المخبول وأفعاله وأذهب إلى حال سبيلي، لكني سألت نفسي، ألا يوجد أي أمل فعلا في رؤية (أشرف) مرة أخرى؟ فعدت بظهري إلى الجدار وأنا أرى المصيبة التي بدأت في الحدوث أمامي فقد رأيت أشخاصًا كثيرة في الدكان لا أدري من أين أتوا وكلهم في حجم الأطفال الصغيرة، ملامحهم غير واضحة أبدًا، وكأنها كانت مطموسة أو ربما كل ذلك كان تهيؤات لا أدري إلى هذه

@alanbyawardmsr

اللحظة وخيالات كثيرة بدأت تتراقص على الحائط في ضوء تلك الشمعة البسيطة التي كانت أمامي وبدأت تقرب وتتبعد وتتجسد وتختفي وكل ذلك خلال خمس دقائق فقط والتي ظل فيها الرجل يهمس بتلك الأسماء التي عرفت بعد ذلك أن كل هؤلاء هم خدام إبليس وحاشيته، انتهى مما كان يقوم به وجلس في منتصف الدائرة وعلى وجهه شحوب الموتى وبدأ يشير إلى شيءٍ ما إلى جواري ويحدثه مما كاد أن يصيبنى بأزمة قلبية، عندما نظرت بطرف عيني فوجدت خيالا ضخما نصفه في الحائط والآخر بداخل المحل، وبدأ الرجل يشير بعده إشاراتٍ إليه بينما يرد الخيال بصوتٍ نحيب هو الآخر.

وعلى الرغم من الرعب الذي كان حولي إلا أنني استعدت رباطة جأشي، وبالطبع كان لديّ السبب أتعلمون الغريق الذي يتعلق بأي قشةٍ حتى ينجو؟

كنت أنا ذلك الغريق الذي يكاد يتعلق بهذا الخيط الواهي، أيعود (أشرف) للحياة؟ مستحيل، أعلم أنه مستحيل لكني أصررت على معرفة ما الذي يقصده هذا الرجل فربما كان لديه القدرة على إعادة ابني حتى إلى أحلامي، نعم ربما كان ذلك سيتحقق في أحلامي فقط، حتى وإن كان ذلك فسوف أستطيع أن أراه وأتحدث إليه وألمسه وبالتأكيد سيكون هذا شيء في منتهى السعادة بالنسبة لي، كنتُ أفكر في كل ذلك حتى قطع حبل أفكاري بصوت آخر غير الذي حدثنى به أولًا قائلا بصوت أنثويّ مما جعلنى أتكوم في مكاني أكثر وأكثر:

- أهلًا يا ولدي أبشر، أبشر فقد حلت مشكلتك وسوف يعود ابنك مرة أخرى إلى الحياة لكن.

maktabah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

رفعت حاجبي دهشة وجلست أمامه على الأرض دون أن أهتم حتى بخيالات الأطفال التي بدأت تبتعد عن الدائرة بمجرد اقترابي وهمست له بتوتر:

- لكن ماذا، أكمل أكمل أو أكملي من فضلك.

- قبل كل ذلك هناك طلبات لابد أن تقوم بها، لابد أن تثبت لنا ولائك وطاعتك لأوامرنا كي يكون لك عهدًا عندنا وإن صار لك عندنا عهدًا أجبناك لما تريد

قاطعته وقد بدأت أتشبث بتلك القشة مرة أخرى:

- كل ما أملك يا سيدي خذ، كل ما أملك.

عاد إلى الابتسامة الخبيثة مرة أخرى قائلا بذلك الصوت الأنثوي:

- مال؟ إن آخر ما نفكر به هي الأموال يا ولديّ كل ما نريده هو أن نراك سعيدًا ما تبقى من عمرك، إنما سيحدث لك وسنجيبك لطلبك لأننا رأينا فيك تلك اللهفة، وما سوف يحدث لك في ما تبقى من عمرك لقد رأينا أقدارك المظلمة والتي ستؤدي بك إلى الانتحار

- حسنًا، شكرًا لك وأنا موافق إذن على كل ما تطلبه

- حسنًا، كل طلباتنا ستكون أن توافق على العهد معنا

- معكم؟

- أتظن أني صاحب القرار يا أيمن؟ أنا مجرد أداة في يده.

- من هو؟

maktabbah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

- أبوك وأبي مسوط سيدنا وابن سيدنا

رفعت حاجبي دهشة وقد تذكرت اسم الدكان فاردفت

- مسوط؟ حسنًا، أنا في انتظار أوامره.

- لا، بل أنت من ستذهب إليه في أرض العور لتقدم إليه ولائك حتى يرضي عنك ويستطيع إعادة ابنك إلى الحياة

بدا الأمر كله مريبا بالنسبة لي ولكني كنت كالتائه الذي يبصر ضوءا في نهاية طريقه المظلم.

- حسنًا، وكيف الوصول إلى مسوط؟

- سيدك مسوط ولا تطلق اسمه هكذا هو أبي وأبوك وأب كل من ضاقت به السبل ليصبح اليأس هو صديقه الوحيد، هو من يمد يده ليأخذك من قدرك الأسود ليغيره إلى آخر كما تريد من يتحكم في مصيرك ومصير التابعين المخلصين الذين لن يصيبهم أذى أبدًا، من ظل بجواره وتوشم برموزه وجب عليه حمايته للأبد.

- حسنًا، حسنًا، سيدي مسوط كيف يمكن الوصول إليه؟

- انتظرني غدا أمام مرفأ المراكب القديمة في جزيرة الوراق، أتعرفه؟

- لا، للأسف لكني سأصل إلى المكان وأسأل عليه

- حسنًا، غدًا في تمام الحادية عشرة مساءً بالتحديد وسوف نذهب أنا وأنت لزيارته.

- ولكن، لكن ما الذي يؤكد الذي...

maktabah.blogspot.com

قاطعني بإشارةٍ من يده وقد عاد إلى صوته الطبيعي وهو يخرج إلى خارج الدائرة قائلا:

- أعرف ما تقصده، ما الذي يؤكد لك أني لا أكذب عليك أو أن كل ذلك كان مجرد من أوهامك يا صديقي؟

- نعم، اعذرني هذا تحديداً ما قصدته.

ابتسم الرجل بابتسامته الملعونة قائلا:

- سأعطيك إشارتين إن لم يحدثا الليلة فتأكد أني أكذب عليك

- حسنًا، وما هما يا سيدي؟

- أول تلك الإشارات هي زوجتك التي رحلت دون رجعه من منزلكم الكئيب ولو حاولت الاتصال بها فلن تجيبك مرة أخرى

- نعم، حاولت ذلك اليوم عدة مرات فلم تجب وكلما حاولت الاتصال.

قاطعني الرجل:

- أما الإشارة الثانية هي أشرف بنفسه.

- أشرف!!!

- سيأتي إليك في حلمك اليوم وستراه وسيحدثك.

- يأتي إليّ؟

- سترى، وإن حدثت لك تلك الإشارتين عليك بمقابلتي غدًا في المكان المتفق عليه والآن هيا انصرف، وتذكر دوما تلك الكلمة من أتى إلينا وحصل على عهدنا وأصبح من تابعينا لن يضار

مكتبة
مكتبة الحصريات
maktabah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

أبدًا.

وقبل أن أرد عليه انطفأت تلك الشمعة الوحيدة وأصبح الدكان في ظلام حالك، وعلى الضوء الآتي من الشارع في تلك الفرجة الضيقة من فوق باب الدكان توجهت ناحيته وفتحته من الداخل وخرجت، وقبل أن أخرج نظرت بطرف عيني ناحية الرجل لأجد أن الخيال الذي كان في الحائط يجلس إلى جوار الرجل يتحدثان مع بعضهما البعض ولكنه كان واضع ملائه سوداء على جسده الذي بدا معه أنه ليس آدميًا أبدًا.

***

وتركت الدكان وخرجت سريعا وأنا أكاد أعدو بالقرب من الجامع، تركت الرجل وفي عقلي مليون علامة استفهام، ربما كان الرجل يهذي ويعرفني من بعيد بصورة ما أو كان عنده القدرة على التحدث مع قريني الذي يعلم بالطبع كل شيء عني ومنه عرف كل أسراري، لكن موضوع إعادة ابني إلى الحياة مرة أخرى كان يشغل تفكيري بصورة لا يمكن زحزحتها أبدًا .

أقنعت نفسي إذا ذهبت إلى منزلي ولم أجد زوجتي فتلك أول إشارةٍ أخبرني بها الرجل، أما لو كانت هناك فكل ذلك سأعتبره محض هراء وكل ذلك كذب في كذب، على الرغم من أن كل ما قاله أثار دهشتي، استمريت في السير حتى وقفت أمام بيتي نظرت في ساعتي وجدتها قد قاربت الواحدة صباحًا وكيف مر ذلك الوقت لا أدري.

صعدت حتى شقتي وقبل أن أفتحها بمفتاحي الخاص دققت الجرس لا أدري لماذا، بل أحببت أن أجدها تفتح لي أو (أشرف) الذي يلومني أني أنسى مفاتيحي كل مرة، وبالطبع لم يجب

maktabah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

أحد.

فتحت الباب بهدوء وناديت على (إلهام) لكنها لم ترد ،سرت ناحية مكانها المعتاد في غرفة نومنا، تسارعت دقات قلبي عندما وجدت المصحف إلى جوار المخدع لكني لم أجدها، ذهبت سريعا إلى غرفة (أشرف) للبحث عنها وكل مكان في الشقة، فلم أجدها حتى الغرفة الصغيرة المغلقة بذلك القفل الصدئ التي أغلقها والديَ منذ قرابة الستين عامًا، كما أخبرتني أمي وقتا ما وأنا صغير، عدت سريعا إلى الدولاب لأجدها وقد أخذت كل حاجياتها مع الحقيبة الكبيرة التي كانت فوق الدولاب.

رحلت إذن وتحققت نبوءة الرجل الغامض ابن (مسوط).

آه، نسيت أن أخبركم لماذا رحلت، وإن كان ذلك سيضطرني إلى العودة إلى يوم وفاة (أشرف) وما حدث يومها، فبمجرد أن أفقت يومها وقعت عيني على تاريخ اليوم الأربعاء، أول إبريل وبعد ذلك أفقتُ أكثر على صوت شجار (أشرف) مع (إلهام) لأنها كانت تمنعه من الذهاب مع أصحابه في تلك الرحلة، لتأتي إليّ لتخبرني أن قلبها منقبض وأنها لا تريد أن يسافر في تلك الرحلة وعندما أتى (أشرف) ليشكو إلي وقفتُ معه وأصررت على ذهابه إلى تلك الرحلة مع أصحابه، وأنه لم يعد صغيرًا وعليه الاعتماد على نفسه وألا يظل ابن والدته للأبد، وياليتنى كنت أعلم، ومن بعدها كنت أنا المسئول عن موت أشرف في نظر (إلهام) ومن وقتها وهي في حالة صدمة مني

ولم تحدثني بعدها أبدًا أبدًا

تناولت كوبًا من الشاي وخلعت ملابسي واستلقيت في غرفة نوم (أشرف)، ولكن تلك أول إشارة قد تحققت أيكون كل ما

maktabbah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

قاله صحيحا إذن؟ هل يمكن أن يحدث ما قاله ويعود ابني إلى حضني ثانية؟ الميت لا يعود، أعلم لكني حتى تشبثت بذلك الحلم حتى في أحلامي المهم أن أحتضنه ولو مرة أخيرة، وظللت أفكر حتى غلبني النعاس لفترة من الوقت.

لا أدري كم مر علي لكني شعرت بيدٍ دافئة تربت علىكتفي في حنان، فتحت عيني على اتساعهما عندما سمعت صوت أشرف إلى جواري على الكرسي المجاور للمخدع وهو يبتسم في هدوء:

- بابا بابا ألم تستيقظ بعد؟ أتنام طوال الوقت هكذا هل لأنهم فصلوك تقضي طوال حياتك على سريري، يا أبي العزيز هيا قم إن لديك شيئا ما عليك إنهائه

أفقت وقمت مفزوعا من على السرير وأنا أنظر إليه فيرعب، اقتربت منه واحتضنته وبكيت بشدة وأنا ألمسه وألمس وجهه الذي لم يتوقف عن الابتسام ولو لحظة واحدة طوال تلك الدقيقة التي لم يفارق وجهه يدي، أقسم لكم أنه كان (أشرف) بجسده بكل تفصيلة أحفظها فيه، احتضنني بشدةٍ وهو يتمتم بهمس في أذني وكأنه يخشى أن يسمعه أحد

- أبي العزيز، افعل كل ما يطلبوه منك في أسرع وقت؛ فأنا لا أطيق المكوث في هذا المكان المظلم صدقني هو من بيده كل الحلول، هو من بيده إعادتي إليكم مرة أخرى، هيا يا أبي هيا لا تتأخر.

كنت مرعوبًا من الموقف ككل، وبعد أن أخبرني بتلك الكلمات بدأ يتقهقر عائدًا إلى الخلف بظهره حتى وصل إلى باب غرفته ففتحها وخرج، قمت وراءه مسرعا أبحث عنه في أرجاء الشقة لكني لم أجده، لو لم تكن حرارة وجهه لازالت بين يدي لكنت

maktabah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

قلت أني أحلم، لكني أقسم لكم أن يومها لم يكن حلما أبدًا

وقتها علمت أنها تلك الإشارة التي قد تحققت وما عليّ سوى الذهاب مع ذلك الرجل إلى مقابلة مسوط، لا أعلم إن كان ما أقوم به حرام أم لا، فالموتى لا يعودون ولكن، لا أعلم هي متاهة وضعت قدمي فيها ولا أستطيع الآن الهروب منها وقتها قررت أن أذهب في ميعادنا غدا وليكن ما يكون وكل ذلك سيهون مقابل ذلك العناق الذي فقدته وإلى الأبد دون أي تدخل مني.

***

في مساء اليوم التالي الذي مر عليّ كأصعب ما يكونوأنا أنتظر عقارب الساعة تقترب من الميعاد المنتظر، حتى وصلت إلى العاشرة مساء؛ فركبت تاكسي ووصلت إلى الوراق في المكان الموعود والذي لم تطئه قدمي أبدًا؛ فكنت غريبًا عن كل شيء، سرت حوالي مائة متر حتى وجدت عدد من الصيادين على ما يبدو أنهم اندهشوا من وجودي أنا الآخر، وعندما سألت أحد الجالسين عن مرفأ المراكب القديمة دلني عليه، سرت عدة دقائق مرة أخرى حتى اقتربت من الشاطئ الذي كان بجواره عدة مراكب متهالكة لم تعد صالحة للاستعمال، جلست على أحد الصخور ونظرت إلى ساعتي، كانت قد تجاوزت الحادية عشر والربع، ولم أجد ذلك الرجل الغامض، بدأت أتأفف من الوضع وتأخير الرجل، وعندما تجاوزت نصف المسافة قمت من مكاني وصممت على الإنصراف والعودة إليه في المحل ولكن بمجرد قيامي، وجدته جالسًا خلفي بصورة أصابتني بالقشعريرة مرة واحدة، نظر لي مرة أخرى بابتسامته الصفراء وهو يعتذر من تأخره على الميعاد وأشار بيده ناحية أحد المراكب التي لم أرها

maktabah.blogspot.com

أثناء جلوسي؛ فأقترب المركب بذلك العجوز الذي بدأ يجدف ببطء حتى توقف بالقرب منا، فقفز الرجل ومد يده ليمسك يدي لأجتاز الرصيف الكبير ما بينى وبين المياة ولكن ملمس يده أصابتني برعدة مفاجأة سارت في أوصالي دونما أيّ سبب، جلست في طرف القارب بينما جلس أمامي وهو ينظر إليّ بتلك النظرة التي لم ترق لي أبدًا، ثم همس في أذن المراكبي الذي كانت ملامحه غير واضحة تمامًا حيث غطى وجهه بشال أبيض لم يظهر منه إلا عين واحدة ونظر لي بها ثم بدأ في التجديف إلى منتصف النهر .

(أرض العور)

كان الإسم نفسه يثير فضولي؛ فلم أسمع عن ذلك المكان في أي وقت من الأوقات لكن كان من المستحيل العودة إلى ما كنت عليه من قبل أو الرجوع في قراري لمساعدتي من مسوط، مرت حوالي عشرون دقيقة حتى اقتربنا من إحدى القرى الواقعة على الضفة الأخرى من نهر النيل دون أن أعلم أين أنا على وجه التحديد، توقف القارب في مكان بين شجرتين ثم قفز الرجل ليمد إليّ يده مرة أخرى لكني تجاهلتها دون سبب وأشار لي أن أتبعه.

تذكر أنك حملت رواية راجيم ما تتلو الشياطين حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك .

@alanbyawardmsr

الفصل الثاني

وكأني خُلقت للذبح

بمجرد أن وضعت أقدامي على تلك الأرض الملعونة، سارت في قلبي قشعريرة والذي كاد أن يتوقف وقتها دون أن أعلم السبب، ظل المراكبي في قاربه وظللت أسير خلف الرجل الذي أقسم لكم أنه لم يكن آدميًا أبدًا، حاولت أن أرى أي شخص آخر ولكني لم أجد طوال مدة سيري خلفه والذي امتدت حوالي عشرة دقائق وقد شعرت وكأني فى مكان قد انسلخ منه الزمن ووقف عنده، أرض غريبة مقززة واضح جدًا أنه لايذهب إليها إلا من ينتمي إلى هذا المكان الغريب، حارات مقبضة يكتنفها الضباب والظلام، لو كان للموت رائحة لأقسمت أني أشتمه في كل أرجائها، حتى الهواء كان ثقيلًا لدرجة أني أصبحت وكأني أجده بصعوبة؛ فشعرت بضيقٍ في صدري، مما صعب معه تنفسي، أما البيوت فكانت عبارة عن عشش بسيطة جدًا على جانبي الحارات التي كنا نمشي بها، والتي كانت مضاءةً بضوءٍ خفيف أصفر اللون أثار انقباضي أكثر، دلف الرجل ناحية اليسار فجأة فدخلت ورائه، وفي نهاية الحارة الكئيبة كان هناك ظل أسود لمبنى كئيب لم أنتبه ما هو وكنا في الطريق إليه.

على يميني لاحظت أن هناك ضوء خافت يسطع من أحد العشش فرغما عني نظرت إلى الداخل، في بداية الأمر رأيت أربعة أشخاص جالسين حول منضدة خشبية دائرية، وعلى رأس المنضدة يوجد حيوان شبيه بالثور، لم تخدعني عيناي إذن ولم أكن أتخيل ذلك، كان بالفعل ثورًا أسود اللون هائل الحجم، يجلس على ذلك الكرسيّ وهم من حوله يمدون إليه أيديهم كأنما

maktabah.blogspot.com

@alanbyawardmsr
ينالون البركة، المرعب أكثر أن هذا الحيوان نظر إليّ فجأةً؛ فإذا هو بعينٍ حمراء وحيدة، اقشعر جسدي أكثر وانتفضتُ أكثر عندما وضع الرجل يده على كتفي قائلا: -

- وصلنا.

جفلت فجأة عندما تحدث إليّ ونظر إليه مندهشًا، هل كنتُ أسير أم ماذا! وخاصة أن السواد الذي كنت أراه في آخر الحارة كان لذلك المنزل المقبض الذي توقفنا أمامه، بينما نظرت من خلفي مرة أخرى على البيت المفتوح فلم أجده من الأصل.

وقفنا أمام بيتٍ من دور واحد، طرق الرجلَ الباب بالمطرقة الموجودة على الباب الخشبيَ الذي كان يمتلئ بعدة رموزٍ لم أفهمها وأعلاه ثبتت جمجمة حيوان يبدوا أنها ثور آخر من القرنين الموجودين أعلاها، كم تمنيتُ بعد ذلك اليوم أن أهرب، مجرد أن أعدو في الطرقات بعيدًا عما سأراه بالداخل بعد أن قبلتُ تلك المقابلة حياتي رأسًا على عقب.

بعد عدةِ ثوانٍ فتحت الباب امرأة نحيلة جدًا عجوز يبدو أنها تخطت المائة عامٍ أو أكثر ترتدي السواد وأخفت نصف وجهها الذي يبدو أنها بعينٍ واحدة هي الأخرى، حاولتُ ألا انظر إليه ولكنها اقتربت مني وهي تستقبلني بترحابٍ أصاب الرجلَ بدهشةٍ؛ فهمس في أذنها ولكني سمعته بوضوح:

- ليس الآن هو ليس منا، اهدئي، لكلّ وقتٍ أوان.

صدر عن المرأة صوت أشبه بالنحيب ولكنها تراجعت إلى الوراء وهمست بصوتٍ مبحوح خفيض وهي تنظر إلى عيني بتلك العين الوحيدة التي أمامي بينما اختفت الأخرى تحت القماش

maktabah.blogspot.com

- حسنًا، ليس الآن، اخلعوا الأحذية أنتم في حضرة سيدنا.

قبل الرجل يدها في إجلال وأردف في خشوع

- سمعًا وطاعة يا أمي

نظرت إليه مندهشًا بعدما خلع الرجل حذائه سريعا وهو يتأسف وحذوت حذوه، المهم أن هذا الصوت هو نفسه من خاطبني به بالأمس عندما كنت في دكانه، نفس صوت تلك المرأة العجوز ودخلنا إلى صالةٍ فسيحة بنفس ذلك الضوء الأصفر الملعون الذي ينبعث من لمبةٍ عتيقة في أعلى الحجرة، بينما تركتنا السيدة لتذهب لإخباره، كانت الرائحة في الجوار بشعة دون أن أدري مصدرها، مع ذلك الدخان الأسود الذي كان يملأ الغرفة والذي كدت معه أن أختنق وكلما حاولتُ الخروج تشبث بي الرجل أكثر ناهرًا إياي عن التحرك من الأصل، مرت عدة دقائق أخرى وتناهى إلى سمعي صوت رجلٍ يئن يأتي من خلف الجدران بالتحديد من خلفي تمامًا، في بداية الأمر كل دقيقة مثلا كنت أستمع إلى تأوهاته الخافتة والتي بدأت تزيد شيئًا فشيئًا؛ فنكزت الرجل إلى جواري هامسًا إليه للصوت فنظر إليَ نظرةً أسكتتني وقال:

- في حضرة سيدنا أنت مسير ولست مخير، كل ما تسمعهو أصواتُ المعذبين الذين يجيئون من كل مكانٍ لالتماس بركته، هو من بيده تغيير قدرك وإعطائكَ ما تريد، وكل ما تريد، ما دمت في حضرته فكل الأمور هينةَ، لا تقلق ولكن إن كنتَ ستسأل عن أي شيء ستراه فالأفضل بنا أن نذهب إلى حال سبيلنا، أبونا لا يطيق تلك الأسئلة، هنا أخشع وسلم له أمرك، ولا تسألني عن شيءٍ أبدًا لم يصرح لي أن أخبره لك.

مكتبة
maktabah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

كان كل حديثه لا يروقني وزاد من انقباض قلبي وكلمة أبينا في حد ذاتها كانت تثير اشمئزازي من الرجل الجالس إلى جواري والذي بدأ هو الآخر بإمالة رأسه أمامًا وخلفًا دونما أي سبب، دقائق بدأت بالمرور؛ فنصف ساعة؛ فساعة ولم يتوقف الرجل خلالها على تطويح رأسه والآخر الذي يأتي صوته من خلف الجدار والذي تحول في بداية الأمر إلى أنينٍ، ثم في آخره إلى عواء، وأنا أكاد أموت في جلدي.

وفجأة وجدت السيدة العجوز إلى جواري على الكنبة الخشبية وقد خلعتْ ما تُخفِي به عينها الأخرى فبدت مجوفة دون حتى أن يكون هناك أيّ عينٍ بداخلها، منظر مقبض أرعبني أكثر مما أنا فيه وخاصة عندما شعرت بيدها تصل إلى ظهري ما بين أكتافي تتلمسني وهي تهمس مرة واحدة في أذني.

- أبينا مسوط في انتظاركم.

قمت مفزوعًا من جوارها إلى منتصف الغرفة وقام الرجل إلى جواري في صمت، وأشار إلى أن أتبعه واقتادني إلى طرقةٍ رفيعةٍ امتدت إلى مالا نهاية، توجد بها غرف على الجانبين مغلقة ولاحت مني التفاتة نحو أحد الغرف المفتوحة، وجدتُ ست نساء متشحات بالسواد يجلسنَ أرضًا أمام جسد فتاة ترتدي كفنًا أسود ثم بدأن في الندب والنحيب وهن يضربنَ بأيديهنَ على رؤوسهنَ، ثم يطرقنَ بها على الأرض ثم رؤوسهنَ وهكذا.

أشار إلى الرجل وهمس في أذني:

- تلك ابنة إحداهن التي غرقت منذ ثلاثُ ليالٍ في النهر وأتين بجثتها إلى أبينا مسوط ليحييها مرة أخرى، وعليهم أن يظلوا

maktabbah.blogspot.com

هكذا لشروق الشمس ويبدأن في تلبية شروطه الأخرى وسوف تعود للحياة، هيا، هيا لا تقف أمام كل غرفة، لا نريد التأخر على حضرة سيدنا، لا تظهر هذا الفضول في كل ما تراه، إنما هي معجزات سيدنا، هيا معي.

نظرت إليه نظره أخيرة وإلى جثة الفتاة المنفوخة والتي أقسم لكم أنها فتحت عينيها عندما شعرت أني متسمر أمامها، بينما لم تلحظني بقية النسوة اللاتي لا زلن يضربن وجوههن، جذبني الرجل وسرتُ ورائه كأني داخل كابوس لا يمكنني الإفاقة منه حتى وقفنا أخيرًا أمام غرفةٍ بابها أسود، فوقف وصفق بيديه؛ ففُتح الباب مرة واحدة، وعلى الرغم من ضيق المنزل والطرقة الخارجية إلا أن الغرفة كانت واسعة ومستطيلة الشكل وعلى آخرها يوجد رجل جالس على كنبة خشبية ومن خلفه كان هناك باب أسود كبير، أشار إليّ بالقدوم فدفعني الرجل وهمس في أذني.

- هذا دورك تقدم واسمع كلام سيدنا وابن سيدنا العظيم، ليرتاح قلبك وتنال ببركته ما أتيتَ من أجله، لبى كل ما يطلبه منك وكن صادقًا معه وإلا..

- وأنت؟

- أنا لم يأذن لي بالقدوم سأنتظرك هنا لا تخف هيا.

وجلس الرجل جالسًا القرفصاء على الأرض بجوار الباب وبدأ في مد يديه أمام رأسه في حركة شبيهة بما تفعله الكلاب بينما أشار لي الرجل مرة أخرى بالقدوم.

بمجرد رؤية الرجل شعرت أني في حضرة شيطان فزادت

ضربات قلبي بصورةٍ مؤلمة؛ فالرجل كان أسود اللون تمامًا متدثرًا بعباءةٍ سوداء أخفته لا يظهر منها إلا وجهه فقط حتى الإضاءة في تلك الغرفة الملعونة كان مصدرها من عدة شمعاتٍ موضوعةٍ على كوات في ذلك الباب من خلفه مما أعطى الرجل مزيدًا من الرعب، وخاصةً أن ظله بدأ في التراقص أمامي على الأرض، بينما هو ظل ثابتًا وهو ينظر إليّ، حتى اقتربت من الكرسي الموجود أمامه فأشار إليّ قائلًا بذلك الصوت الذي شعرت معه يتخلل داخل عقلي:

- اجلس يا أيمن، أجيبت دعوتك لي، وأخبرني (هرماز) بمشكلتك؛ فأبشر.

رفعت حاجبي دهشةً من الاسم قائلًا بتعجب:

- هرماز؟!

- نعم، ابني هذا.

وأشار إلى الرجل الجالس راكعًا في آخر الغرفة بجوار الباب.
وقطع تفكيري قائلًا:

- علمتُ بكلِ ما لديك وعرفتُ حالتكَ أنت وأسرتك وماحدث وقدرك السيء الذي سيجعلك تعيش وحيدًا حتى آخر العمر، ها أنا أرى مصيرك أمامي الآن، أخبرني يا ولدي، هل أنت على أتم استعداد؟

قاطعتُه حتى بدون أن يكمل جملته فقد وصل بي الأمر إلى الاستعداد بالتضحية بأي شكلٍ لمجرد أن تضم يدي ابني مرة أخرى.

maktabah.blogspot.com

- نعم، وأنا على استعدادٍ لعمل أيّ شيء، لكني أرجو الصدق.

- صدق؟ ألم تجد الصدق إلى الآن يا ولديّ؟ ألم يخبركَ (هرماز) على تلك الإشارات التي تيقنت منها وتأكدت أنه لا يخدعك؟

- نعم، يا سيدي.

- حسنًا، حسنًا، فلنبدأ الخطوات سويًا ولكن أخبرني هل تقبل بالتضحية؟

- تضحية؟ لا أفهم يا سيدي.

- نعم، تضحية ولكن لا تقلق؛ فكل شيء ستعلمه في وقته، ولكن أرى أنكَ أبديتَ موافقتكَ على كل ما سأطلبه منك، من حديثك مع (هرماز) بالأمس

- وأنا وافقت مقابل وعدك لي أن أراه مرة أخرى وألمسه بيديّ

- بالتأكيد، ولتعلم أنك لست الوحيد الذي لجا إلينا، وكن على يقينٍ أني أخبرتك أمرًا أو وعدتك وعدًا، ثق أني سأفعله، ما أقوله وعد، وما أفعله صدق وما أخبرك به حق، وما أن أعطيتكَ عهدي؛ فلن تحزن أبدًا، أما ابنك ستراه وسيعيش معك سنوات كثيرة ولكن الأهم موافقتك.

- حسنًا، ما هو المطلوب مني تحديدًا؟

بدأ الرجل في الحديث بصوتٍ هامس مع نفسه، ويمد يده في الهواء لنفس الحركات الغريبة التي كان يقوم بها (هرماز) من قبل ويستمع بأذنيه وكأن هناك من يجلس إلى جواره حتى انتهى من تلك الأفعال بعد حوالي ثلاث دقائق، لم أجرؤ فيها

maktabah.blogspot.com

على الاقتراب أكثر.

أشار إليّ بالاقتراب منه وكأنه شعر بما كنتُ أحدث به نفسي قائلًا:

- أترى تلك الفتحة في الجدار الموجودة على يساري والتي تخرج منها النيران، ضع يدك فيها وكرر ما سأقوله لك.

بدأ جسمي في الارتعاد كلما اقتربت منه ودققت النظر إلى جواره؛ فقد كان هناك العديد من الفتحات، والتي يخرج منها النيران، توقفت أمام الجدار؛ فأشار لي بيده وقد ظهرت في وجهه عين واحدة، بينما كانت الأخرى مطموسة، لم تكن آدمية أبدًا، حاولتُ أن أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم لكن لساني عجز عن نطقها فأردفت في خوف:

- سأحترق يا سيدي، إن مددتُ يدي في تلك الكوة، فالنار ت...

توقفت النيران في الفتحة بمجرد أن رفع يده اليسرىناحيتها وأردف مقاطعًا:

- لا تخف، إنَ النيران لا تحرقنا وأنت ستكون قريبا كذلك، ضع يدك ولا تخشى النار أبدًا، وكرر ما سأقولة دون نقصان،حتى تنال العهد.

وضعت يدي في الفتحة ولم أشعر بأيّ احتراق أو حتى حرارة، وبدأ هو في في ترديد بعض الكلمات التي كان يجب عليّ قولها وقتها تمامًا، ولا أتذكر ما تلك الكلمات التي رددته أو الجملة إلا بعض الكلمات البسيطة ومنها:

- أتيتك زحفًا إليك، أبانا القدير المجيد يا إله المعرفة والسحر

يا من تملك الخلود والقدرة في يديك، يا حامل الضياء المبجل، يامن له الكبرياء كله، أتيتُ إليكَ ذليلًا مؤمنًا بك وحدك، ما بين عهودٍ سابقة قدمتها برضاي وعهودٍ آتية سأقدمها بلا أدنى تفكير؛ فما عليّ سوى السمع والطاعة، يا من تملك الأمر كله يا أبانا القدير المبجل، يا سيد الأرضين يا سيد الجحيم يا وليّ النعمة الأبدية، يا مالك النيران، ماشر، بلا جد زيع في كل وقت وادان كل وقت وادان مع هاموش وبلبوش سجود طوع عبد طوع.

واستمر في تلقيني تلك الكلمات وأنا أرددها كالببغاء من ورائه، حتى شعرت أن هناك يدًا دافئة بداخل تلك الكوة، تتحسّس يدي في بداية الأمر وكنت على وشك أن أجذبها، لكن صدرت عنه صيحةُ غضب، أمرني بالثبات، شعرتُ أن تلك اليد التي كانت ممتلئةً عن آخرها بالشعر، بدأت في إمساك يدي ثم قبضت عليها بشدة، استمر الوضع عدة ثوانٍ وفجأة وجدتني أمسك شيئًا صلبًا كزجاجةِ دواءٍ صغيرة؛ فنظرت إلى (مسوط) قائلًا برعب:

- لقد أعطتني اليد شيئا ما، أأسحب يدي الآن؟

أشار برأسه علامة الموافقة؛ فسحبتها وقد فزعت من منظر الدماء التي غطت يدي مع تلك الحروف العربية المكتوبة بطول ذراعي، وكان هناك من نقش وشمًا أسود بطول يدي، استمرت تلك الحروف دقيقة، ثم ما لبثت أن اختفت، نظرت إلى تلك الزجاجة التي كانت في حجم علبه الدواء الصغيرة فوضعتها أمامه مشيرًا إليه وأردفت:

- وما تلك الزجاجة يا سيدي؟ وما تلك الوشوم الغريبة التي ملئت يدي وما لبثت أن اختفت..

maktabbah.blogspot.com

- تلك الرموز التي ظهرت على يدك لن يراها غيرنا من إخوانك التابعين المخلصين لسيدنا المعظم وتلك معناها أنك أصبحت معنا وقبلت العهد وقبلت التضحية، لن يتعرض لك أحدنا بسوءٍ وسوف نقوم بحمايتك في بداية الأمر وتنفيذ ما تطلبه فقد تم قبولك أخيرًا، أبشر لقد نلت العهد.

- وما تلك الزجاجة؟

- هي من ستعيد ولدك لدنيانا مرة أخرى، ما تراه داخلها لمنتصفها هو سائل الحياة وستقوم بملئ النصف الآخر بدم بشريّ.

رفعت حاجبي دهشة مردفًا:

- دم بشريّ؟

- نعم، وليس أيّ دم، لابد أن يكون من أصلك، دم من أسرتك يا أيمن، وهذا في خلال ثلاث ليالٍ فقط من اليوم، وإلا فسد السائل الموجود بها

- ولكن، لكن، كيف سأحصل على الدم البشري من أسرتي؟

- تلك هي مشكلتك وليس مشكلتى، أتجادلني في القتل وهو أبسط طلبٍ سأطلبه منك؟

تراجعت فزعًا بعدما سمعت كلمة القتل التي تفوه بها (مسوط) مردفًا:

- قتل؟ ومن أهلي،؟ لا لا لا يا سيدي اطلب أمرًا آخر، أنا لم..

تأفف الرجل بضيق هو الآخر وبدأت نبرة صوته في الارتفاع:

maktabah.blogspot.com

- إن كنت ستظل على تلك الصورة؛ فسنلغي الاتفاق ولتتحمّل أنت عقاب نقض العهد ولتنس فكرة استعادة ولدك إلى الأبد، بالإضافة إلى الجحيم الذي ستراه بعد ترددك أيها الغبي، ولتعلم أنك بعد أن تملأ تلك الزجاجة ستملأ زجاجة أخرى أكبر بدم الضحية، ثم تذهب إلى بيتك لأداء الشرط الثالث وهو استكمال الطقوس التي سيعلمك إياها (هرماز) وصلاة النار التي ستؤديها سبع ليالٍ كاملة قبل رحلة الأربعين، أفهمت؟ هل ستتصرف أم تنصرف من أمامي حالًا؟

عاودت صورة (أشرف) أمام ناظري مرة أخرى؛ فلم أتردد وأجبته مسرعًا:

- لا لا أقسم لك سأتصرف، لكني لا أفهم ما هي صلاة الأربعين أو النار.

- لا تقاطعني ودعني أكمل.

- حسنًا، معذرة يا سيدي، أكمل بقية الشروط من فضلك

- ستحتفظ بالزجاجة الصغيرة حتى مساء الخميس القادم ويومها تتوجه إلى قبر ابنك وتفتحه وتظل هناك من عشاء الخميس حتى فجر الجمعة

كدت أن أصاب بالجنون من هذا الطلب فقمت مفزوعا من الكرسي قائلا بغضب:

- مستحيل، هذا الطلب مستحيل، على الرغم من صعوبة الشرط الأول سأحاول تحقيقه كيف! لا أدري، ولكن أن أحاول تقضية ليلةٍ داخل قبر ابني! مستحيل يا سيدي، كيف يطاوعني قلبي

maktabah.blogspot.com

على المكوث إلى جواره وقد أصبح جثةً هامدة؟

وقتها وقف الرجل على قدميه ورفع رأسه وصرخ فيّ بغضب، لم أتوقع أبدًا أن يخرج ذلك الصوت منه لدرجة أني وضعت يدي على أذني مرعوبا، بينما بدأ (هرماز) من خلفي يعوي وهو ينظر إلى أبيه أو سيده الذي وصلت رأسه إلى السقف وبدأ في النحيب بصوتٍ أشبه بالصوت الذي سمعته خارجًا؛ فلم يلتفت له مسوط وأكمل في غضب:

- ستأخذ تلك الزجاجة وتفتح كفن ابنك وتفتح فمه ولوعنوةً ولو حطمته لتسقيه مما فيها من دم ضحيتك وسائل الحياة وتظل إلى جواره ملقنًا إياه بتمائم سيحفظك إياها (هرماز) عن ظهر قلب أفهمت أيها الغبي؟ هذا هو الشرط الثاني .

هززت رأسي في رعب وتيقنت وقتها أني ميت لا محالة من غضب مسوط هذا إن عصيته؛ فأردفت في خوف:

- يا سيدي صعب عليّ رؤية ولدي في تلك الحالة

- إن ذلك هو أهم شرط، لأنك ستسقيه من دمائنا المقدسة والتي ستعيده للحياة، لماذا لا تفهم أو تعي؟

- حسنًا، حسنًا، ، ويعود إليّ بعدها؟

- تلك ثاني خطوة..

- أهناك الكثير إذن؟

- أخبرتك ألا تسأل..بعد ذلك تعود إلى منزلك ومن وقتها تحرق كل مصاحف المنزل ولا تصلي ولا تتوضأ ولا تصُم ولا تذكر إلهك أبدًا ولا تكلم أحدًا ولا ترى أحدًا ولا تفتح باب منزلك، ثم تقوم

maktabbah.blogspot.com

بالطقوس التي ستفعلها بزجاجة دم ضحيتك تمامًا كما ستتعلمها من (هرماز) ثم أغلق كل العالم على نفسك حتى ليلة الأربعين، أفهمت؟

- تلك خطوة سهلة وما بعد ذلك؟

- سترى ما سيحدث ليلة الأربعين يا أيمن.

- حاضر.

- وقبل كل ذلك أن تقبل بالتضحية كما أخبرتنا دون مجادلة

- لست أفهم تلك النقطة يا سيدي.

- أوليس كل ما تتمناه هو رجوع ابنك إليك لتعِش معه عمرًا فوق العمر الذي انقضى، وترى أولاده وأحفاده، أعتقد أن أي تضحيةٍ مقابل ذلك ستكون تافهة مقابل نظرةٍ منه مرةً أخرى

- رغم أني لا أفهم، ولكني موافق بالطبع على كل ما تقوله لي يا سيدي.

لم يتفوه بكلمةٍ لمدة دقيقتين وهو يهمس لنفسه ويميل برأسه ناحية الباب من خلفه وكان هناك من يهمس له هو الآخر، وبعد فترةٍ أشار بيده إلى (هرماز) ففهم الأخير؛ فأقترب مني يبدو أنه زحفا هو الآخر، لأنه جذبني من قدمي حتى خرجنا من الغرفة المعتمة إلى الطرقة الكئيبة مرة أخرى، ثم إلى الصالة الفسيحة التي كانت ممتلئة بعدة أشخاصٍ في مكان انتظارنا من قبل، لكن المريب أن الجميع كانوا يرتدون زيًا موحدًا منكّسي رؤوسهم أرضًا، يتمتمون بهمسات على إيقاعٍ واحد، المرعب أكثر أن تلك السيدة التي فتحت لنا الباب كانت تجلس بجوار كل

maktabah.blogspot.com

شخص منهم وكان لديها عشرات التوائم، توقفت ثانية واحدة غير مستوعب ما أراه أمامي حتى جذبني (هرماز) وهو ينظر إليّ بغضب حتى نخرج من البيت.

- أخبرتك ألا تطيل النظر إلى كل ما تراه، وإلا أصبت بالجنون.

ارتديت حذائي على باب المنزل وفي رأسي آلاف التساؤلات، والتي لم يجبني عليها أبدًا، سار من مكان آخر من خلف المنزل غير الطريق الذي وصلنا منه ويطل على نهر النيل الذي سرنا إلى جواره لمدة عشر دقائق حتى وصل المركب القديم فقفزت فيه محاولًا جذب الرجل للحديث، لكنه لم ينطق إلا بما أخبره به مسوط وتعليمي لتلك الطقوس والتي يجب أن أفعلها خلال أسبوع، حاولت سؤاله مرة أخرى، ما رأيته أثناء خروجنا؛ فصمتُّ تمامًا، وكان كلّ ما كنتُ أراه منه هى تلك الابتسامة الشيطانية التي تظهر على وجهه بمجرد رؤيته لتلك الوشوم المغطى بها ذراعي، والتي عادت مرةً أخرى إلى الظهور بصورة أكبر وكأنها تزحف إلى بقية جسدي..

***

في تلك الليلة، لم أنم حتى السادسة صباحًا وأنا جالس في الصالة أفكر في بداية معرفتي بمسوط مروزًا بهرماز مروزًا بكل ما رأيته الليلة، لم أعرف إلى أين ستقودني قدمي؛ فربما سقطت في هوة عميقة، ولكن في المقابل رأيت أن الرجل ربما كان صادقًا في كل ما قاله وماذا سأخسر! ما الذي سأخسره أكثر مما أنا فيه الآن؟ أكل ذلك سيكون هراءًا بالفرض كان كذلك ماذا سأخسر؟ قررت وقتها أن أقوم بكل ما قاله، لو انسحبت الآن سأظل طوال عمري في ندم حتى على عدم المحاولة، فكرتُ في

maktabah.blogspot.com

الخطوة الأولى، الدم، وعلى الرغم من صعوبة تحقيق هذا الشرط حيث أني لم أجرب أبدًا في حياتي أن أذبح ولو فرخة فما بالكم ببشر ومن أهلي؟ حتى إن كان سهلا فمن ستكون ضحيتي؟

هناك من عائلتي الكثير والكثير الذي أستطيع الحصول على دمٍ منهم، ولكن موضوع القتل هذا، وطوال الساعة المتبقية على شروق الشمس كنت أفكر في الشخصية التي أستطيع الحصول منها على المطلوب.

عم إبراهيم، قفز ذلك العجوز الذي تعدى الثمانين عامًا إلى ذهني فجأة؛ فهو الأخ الأوسط قبل والدي والذي لم أرَه منذ سنواتٍ طويلة، وعلى ما أتذكّر، كان يعيش في شقته القديمة بأحد ضواحي الجيزة بالقرب من شارع البحر الأعظم، كانت علاقتي به شبه معدومة؛ فلم أرَه في بيته إلا لتعزيتي له لوفاة زوجته منذ أربع أو خمس ربما عشر سنوات، لا أتذكر، وكل مناسبةٍ دينية كانت أمي تلح عليّ في الاتصال به والاطمئنان عليه؛ فهو لم ينجب فى حياته ولذلك كان علينا مراعاته، لكني بالطبع كنتُ أضجر من كل تلك المشاعر الأسرية.

بالتأكيد هو عم إبراهيم سيكون ضحيتي، ولم لا؟ هو في طريقه المحتوم إلى الموت فلماذا لا يكون موته وسيلةً لاستعاد أشرف؟ إن موت رجلٍ وحيدٍ في منزله لن يشك فيه أحد، وخاصةً أن العجوز يشكو من مرض القلب منذ سنواتٍ وسنوات، بدأت وقتها تلمع الجريمة في رأسي وكيف كان عليّ أن أخطط لها جيدًا حتى لا أثير أي شكوكٍ بعد وفاة العجوز.

دلفت إلى غرفة (أشرف) واستلقيت في مخدعه ومكانه،

مكتبة نادي القراءة
maktabah.blogspot.com

وبدأت جديًا في التفكير في التنفيذ، وقتها كانت الساعة تقترب من السابعة والربع صباحًا وكان من المستحيل زيارته في ذلك الوقت، انتبهتُ على صوت الشيخ (محمد رفعت) في ذلك الوقت اليومي في محطة القرآن الكريم، شعرت بضيق فجأةً وحدث شيء غريب جدًا؛ فقد كان صوت القرآن يخنقني أكثر فأكثر؛ فمددتُ يدي ناحية المذياع؛ فجذبتُ سلكه بعصبيةٍ ليصمت صوتُ القرآن في منزلي إلى الأبد..

***

كانت الساعة تشير إلى الثالثة وأنا أقترب من ذلك المنزل مرتديًا قبعةً على رأسي وأنا أضعُ شالًا على وجهي ونظارةً شمسية كبيرة، كنتُ لا أريد أن أتركَ ولو أيّ أثر بسيطٍ قد تكتشفه الشرطة، وجدتُ أن هناك في الطابق الأول معمل طبيّ، مما سهل عليّ الأمر ولكن خوفي من وجود كاميرات قريبة؛ فكان عليّ أن آخذ حذري أكثر.

دخلتُ إلى المنزل بخطواتٍ ثابتة واقتربت من باب المعمل، حيث كان هناك عدة رجالٍ يقفون بالخارج، أحدهم يشرب سيجارته وهو يسعل، توقفتُ عدة ثوانٍ ناظرًا إلى المكان كله،وعندما لم أجد أيّ أحدٍ يلاحظني، صعدتُ مسرعًا إلى الطابق الثاني حيث كان العجوز يسكن .

أخرجتُ قفازين مطاطيين من المستخدَمين طبيا وارتديتهم، لم أكن أريد أي أثر لبصماتي أبدًا، دققت الجرس مرة واثنتين وثلاثًا لكنه لم يجِب.

ارتعبتُ من فكرةِ وفاة العجوز وحيدًا قبل أن أستفيد من موته وبدأت الأفكار السوداء تدور في مخيلتي عن من سيكون

maktabbah.blogspot.com

ضحيتي الجديدة، لكن قطع حبلُ أفكاري سماع صوته وهو يسعل قادمًا لفتح الباب، خلعت كوفيتي والنظارة ورسمتُ ابتسامة نفاقٍ على وجهي، عندما فُتِح العجوز ووقف عدة ثوانٍ فرحًا..

لم تمضِ نصف ساعةٍ حتى كنتُ جالسًا في الصالون القديم والرجل ذاته لم يصدق أني زرته أخيرًا، ظل يتحدث ويتحدث عن الوحدة وعن أمراض الدنيا التي أصابته وذاكرته وزوجته التي رحلت فجأة دون مرض وظل يتذكر مواقف مملةٍ مع والديّ وأنا أحاول أن أبتسم له رغمًا عني، كنتُ فقط أنتهزُ الفرصة التي كلما أقدمتُ عليها، ما تبقى لي من ضمير كان يمنعني أن أقتله، قمت فجأة فجفل الرجل لكني بادرته مبتسمًا:

- تشرب شاي يا عمي؟

شعر العجوز بحرجٍ شديدٍ من الجملة واعتذر كثيرا بحجة أنه كان يفتقدني ولم يقدم واجب الضيافة، لكني ألححتُ عليه أن يجلس مكانه وسأقوم بعمل كوبين في عدة ثوان .

ذهبتُ إلى المطبخ سريعًا وبدأت في إعداد الشاي، لم يلحظ العجوز أبدًا ما أرتديه في يدي؛ فقد اشتكى أيضًا من ضعف نظره، كانت الفكرة في رأسي ما بين مؤيدٍ ومنكر، فكيف أقدم على ذلك؟ أخرجتُ هاتفي المحمول وفتحته على ألبوم صور أشرف، كان يشبهني في شبابي بصورة أنا نفسي لم أصدقها، كم اشتقتُ لابتسامته وحديثه وسخريته وغضبه، تملكتني ابتسامات باهتة تلتها تلك الدمعة التي تحجرت في عيني ورفضت النزول وكأنها تقرر هي الأخرى أن لا مفر، وعلينا المضيّ في هذا الموضوع أيًّا كانت النتائج.

maktabah.blogspot.com

أجننت؟ ربما جننت نعم، ولكنها كانت الطريقة الوحيدة أمامي حتى أحصل على ما أريد، نظرت حولي فوجدت سكينًا كبيرًا وضعته بين ملابسي وأعددتُ كوبين من الشاي وخرجتُ إليه بيدي مرتعشة،.حاولت كثيرًا ألا انظر إلى عيني العجوز التي ترقرت وهو ينظر إليّ سعيدًا، أنّ هناك من يتذكره أخيرًا من أهله، ظل يتحدث عن ذكرياته في العمل وزوجته حتى ضجرت وكان عليّ التنفيذ حالًا، تركته وأشرتُ له أن يكمل ما يتحدث به متظاهرًا أني انظر إلى تلك الصورة الكبيرة التي تقع خلفه والتي كان جالسًا فيها وسط أعمامي اللذين ماتوا جميعًا؛ فنظر إليّ وبدأ يتحدث مرة أخرى، حتى وقفت خلفه تمامًا ودون أن أشعر أو يشعر هو من الأصل، فقد ألجمته المفاجأة عندما وقفت فجأة خلفه، مستلًا سكينه الكبير، ممسكًا برأسه، ممررًا إياها على وتينه سريعا وكأني خُلِقتُ للذبح..

لم يستمر الوقت، أقسم لكم أكثر من ثلاث ثوانٍ فقط

كانت عيني العجوز على اتساعهما وهو يضع يده مكان الجرح محاولًا إيقاف الدم الذي بدأ ينزف وينزف، حاول الصراخ دون جدوى، حاول أن يجري ناحية باب شقته لكن أقدامه خانته ووقع صريعًا على الأرض، بدأت انظر إليه ببرود، وهو كالدجاجة المذبوحة تتلوى من الألم كما كانوا يظنون، كنت أعلم أن تلك التشنجات التي تأتيه ليس من الألم إنما هي طبيعة الجسم حينما يفتقد المخ جزءًا من الدم الواصل إليه فيرسل إشاراتٍ بالنجدة لجميع أجزاء الجسم بسرعة الضخ إليه؛ فتبدأ الأعضاء كلها في التشنج على هذه الحالة أملا في إسعافه.

لم يكن وقت تلك النظرية الطبية ولم أشعر بالشفقة على

الرجل، كل ما كنت أشعر به وقتها رعب من أن تتصفى دمائه وهو لا يزال حيًا حتى خمدت أنفاسه أخيرًا، أخرجت الزجاجة من جيبي سريعًا واقتربت منه وفتحتها ببطء مقربا فتحتها من مكان نزول الدم الذي بمجرد لمس السائل الموجود في الزجاجه بدأ يتحول إلى اللون الأزرق.

وبمجرد امتلائها بدأ دخان أسود يتصاعد منها فأغلقتها سريعًا واضعًا إياها في ملابسي.

هرعت إلى المطبخ باحثًا عن أي زجاجة مياه، وبالفعل وجدت أحدها فارغًا فأمسكتها وعدت مرة أخرى إلى جرح الرجل الذي كان لا يزال ينزف فوضعت الزجاجة مكان الجرح وهكذا حتى امتلأت تمامًا، فأغلقتها ووضعتها على المنضدة القريبة، تنفست ببطءٍ وحاولتُ تهدئة نفسي وكان عليّ بعد ذلك محو أي أثر للجريمة التي قمتُ بها.

عدت إلى المطبخ وغسلت أكواب الشاي والسكين من آثار الدم وعدت مرة أخرى إلى الصالة حيث يرقد العجوز، دخلت إلى غرفة نومه ففتحت دولابه وأخرجت قميصًا ارتديته فوق ملابسي المغرقة بالدماء ثم قلبت الدولاب رأسًاعلى عقب وكأنني أبحث عن أي أموالٍ حتى تظهر الجريمة بدافع السرقة، وبالفعل وجدت ذهب امرأته وكثير من النقود؛ فوضعتهم في كيسٍ صغير وألقيتُ نظرةً على مسرح الجريمة؛ فلم أجد ما يدل على وجودي، عدت إلى المطبخ مرة أخرى، لأحضر أي شيء أستطيع كسر الباب به من الخارج لكني وجدت عبوةً بلاستيك ممتئلة بكيروسين، وقتها خطرت في بالي فكرة الحريق، فربما نسيت أثرا هنا أو هناك أو وقعت شعرة مني هنا أو هنا، لمعت

maktabah.blogspot.com

الفكرةُ أكثر في رأسي فأحذت العبوة ورجعت مرة أخرى إلى الصالة، لكني أقسم لكم لم أجد العجوز مكانه.

شللت في مكاني، كل ما رأيته هو دم العجوز على الأرض وكان هناك من يجذبه حتى باب الشقة، حيث وجدته هناك وكأنه حاول الزحف خارجًا.

كان عليّ أن أنهي ما أعمله سريعًا لكن تلك الكلمة التي يبدو أنه كتبها بدمائه على باب شقته أثارت رعبي أكثر من كل ما قمت به فقد كتب كلمة واحدة فقط

-مسوط-

تعمدت ألا أفكر في أي شيء؛ فسكبتُ الكيروسين عليه وفي الصالة، مروزاا بغرفة نومه فالمطبخ وأنا أرتعد من لا شيء، حيث تملكتني رغبة قوية في التقيؤ مع تلك البرودة التي سرت في أنحاء جسدي، أخذت كيس النقود وفتحت الباب بهدوء فلم يكن هناك أي أحد على السلم حتى أسفله وأخرجت علبة الثقاب التي حصلت عليها من المطبخ مشعلا أحد الثقاب وألقيته داخله وأغلقت الباب ونزلت مسرعًا بعد أن ارتديتُ الكوفية والنظارة الشمسية ومن حسن حظي بالفعل، لم يكن هناك أيّ محلٍ قريب يبدو أن لديه أي كاميرات.

سرت بعيدًا عن المنزل وركبت تاكسي إلى أقرب نقطةٍ ناحية النيل، جلست وحيدًا في إحدى المناطق، خلعت قميصي الداخلي الممتلئ ببقع الدم وألقيته في النيل وأخرجت كيس النقود وأخرجت منه المال فقط وتركت الذهب واضعًا حجرًا ثقيلا بداخل الكيس وألقيته في منتصف النهر إلى صاحب نصيبه، جلست قليلا لأهدأ من أنفاسي ويدي التي كانت قد

maktabah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

أصابتها الرعشة.

***

بعد ساعتين، كنت مستلقيًا في غرفة (أشرف) واضعًا تلك الزجاجة على المنضدة إلى جواري، وأنا انظر إلى تلك الفقاعات التي تتكون بداخلها وأنا أبتسم لتحقيقي الشرط الأول، وبجوارها كانت الزجاجة الأخرى الممتلئة حتى آخرها بدم عمي، كان عليَ التفكير جديًا في سرعة تحقيق الشرط الثاني وهو بياتي ليلهة الجمعة القادمة في قبر ابني ومحاولة جعله يشرب ذلك المحلول، ناديت على (إلهام) لأسألها عن اليوم؛ فتذكرتُ أني وحدي بالمنزل، فتحتُ هاتفي لأعرف، فوجدت اليوم الموافق الأربعاء، بمعنى أن عليَ التنفيذ غدًا مساءً، لقد اشتقتُ فعلًا ل(إلهام) و(أشرف)، وقبل أن أسترسل في أفكاري وجدت اتصالًا هاتفيًا من شقيقي الملعون ياسر؛ فأغلقت هاتفي بوجهه ملقيًا إياه إلى باب الغرفة، المدهش أني لم أكن أشعر بأي تأنيب ضمير، كنتُ فرحًا جدًا، بدأت أحاول النوم وأنا انظر إلى تلك الزجاجة والتي تحمل ترياق الحياة لابني، ناظرًا إلى تلك الكلمات الغريبة الموجودة في الوشم على ذراعي وأنا أضعه تحت رأسي وقد بدأت تلمع هي الأخرى.

***

-ادعوا لصاحبكم، إنه الآن يسأل-

كانت تلك الجملة التي كنت أسمعها بالقرب من قبر (أشرف) والذي كان يقولها شيخ ومن خلفه وقف العشرات من المشيعين للتأمين على دعواته، بينما كان اللحاد ينتهي من إغلاق قبرٍ يبدو وكأنه استقبل ميتًا لتوه، وقفت بالقرب منهم دون أن أردد ما

maktabah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

كانوا يقولونه فكل همي الآن هو ضرورة انصرافهم، فميعادي من المفترض أنه من بعد صلاة العشاء حتى فجر الجمعة، كيف سأقدر على ذلك! لا أعلم، ولكنه كان ذلك الشرط الثاني والذي كان أصعبهم بالطبع، بدأت بالضجر مما أنا فيه ونظرت إلى ساعتي للمرة الخمسين خلال فترة بسيطة؛ فقد كان الوقت يسير سريعًا ولا زال الرجل يدعو ويدعو بذلك الدعاء الذي كان يبدو أنه لن ينتهي وأنا عيني مثبتة على قبر (أشرف) الذي يقع من خلفهم بعدة قبور، ومن المستحيل محاولة فتحه دون أن ألفت الأنظار، خاصة أنه ليس معي المفتاح وبالتالي سأكسر القفل، وسأضع آخر قمت بشرائه ووضعه في حقيبتي..

انتهى الرجل أخيرًا وبدأ انصراف المشيعيين ولم يتبقى إلا رجلين، كانا يضعان رمل أمام الباب؛ فتحركت بعيدًا عنهم حتى لا ألفت أنظارهم وأخيرًا أصبحتُ وحيدًا في المقابر، اقتربت من قبر الأسرة حيث يرقد أبي وأشقائه وابني الوحيد وعمي هو الآخر، إن كان لم يتعرف أحد على جثته ودفنه في مقابر الصدقة، ولكني حمدت الله كثيرا بعد ذلك حيث أنه لم يتم دفن جثة عمي إلى الآن وإلا كنت سأبيت ليلة لن أنساها ما حييت بين ضحيتي وفلذة كبدي.

كانت المقابر كعادة البعض مقسمة إلى بابين أحدها على اليمين، وهو المكان الذي تدفن فيه النساء من أهل الأسرة، والباب الآخر الموجود على اليسار هو للرجال كما هو مكتوب فوق الجزء الرخامي على المقبرة، أخرجت قضيبًا حديديًا كان في الحقيبة القماش التي على ظهري، ووضعته في القفل، وبعد عدة محاولاتٍ بسيطة تم كسره بسهولة، فاحت تلك الرائحة الصعبة؛ ففتحت الباب قليلًا لتهوية القبر، وأنا انظر من خلفي حتى لا

maktabah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

يكون صوتُ كسر القفل آثار انتباه أحدهم .

كانت الرائحة لا تطاق ولكن كان عليّ الدخول بأي شكل من الأشكال، ارتديث ذلك القناع الذي ابتعته قبل مجيئي وهو مخصص للوقاية من الغازات السامة في المصانع، كان عليّ اجتياز العتبة والدخول بأي شكلٍ كان، كنت أرفض ما أقوم به ولكن قدماي هي من قررت الدخول، فتحت الكشاف الكهربائي ودخلت..

كانت الرائحه تزكم الأنوف بالفعل ولا يطيقها بشر، على الرغم من القناع الذي أرتديه، تراصت الأكفان البيضاء المتهالكة في أرجاء القبر، شعرت أن هناك العشرات من الأشياء التي لا أعلم ما طبيعتها تهرب بداخل الجدران وإلى الأرض، كنت أعلم أني سأرى ما لا يمكن وصفه أو تخيله، ولما لا، وأنا في هذا المكان الذي يهرب منه الأحياء فما بالكم بالمبيت داخله..

وفي المنتصف هناك جثة كفنها لا يزال جديدًا، اقتربت منها زحفًا لأن بداخل القبر لا مجال للوقوف، وجهت ضوء الكشاف ناحيته ولكني تذكرت أن الظلام قد حل وأنه ربما يلفت نظر أحدهم ذلك الضوء الساطع من داخل القبر فأغلقته من الداخل، وأنا يكاد قلبي يتوقف مما أفعله، ولم أكن أتخيل منذ عدة أسابيع أني سأفعله بل ولا أعلم كيف سأبيت ليلتي في هذا المكان المقبض، أما بداخلي كان هناك العشرات من المشاعر المختلطة، ما بين خوفٍ على رعبٍ على عدم تصديق ما أقوم به على مشاعر افتقاد (أشرف) وخوفي من رؤية ابني في هذه الحالة؛ فكيف أقترب من جثته وأنزع عنه كفنه بعد موته بهذا الشكل المهين؟

maktabah.blogspot.com

بدأت في البكاء بمجرد اقترابي منه، لم يكن في القبر سوى والدي وعمي الأكبر وجدي الذي بالطبع كان الكفن المهترئ في آخر القبر مكومًا بالقرب من الجانب..

استندتُ على الجدار مكومًا رأسي بين ركبتي محاولًا التعود على الرائحة القاتلة بالداخل، ومقنعًا نفسي بضرورة إنهاء ما أتيتُ من أجله سريعًا، لم تمضِ سوى ربع ساعة مرت وكأنها الدهر، اعتدت بسيطًا على الرائحة واقتربت أخيرًا من جثة (أشرف) وبدأت في فك أكفانه.

منظر بشع، لم أستطِع تحمله، فقد كانت الأكفانُ ممتلئةً بالدود الذي بدأ يسير على يدي ووجهي وبدأت في الارتعاد، وحاولت أن أنتظر قليلًا لكن يدي كانت كمن تنفذ أمرًا لم أصدره إليها أو بمعنى أدق أصبحت لا أتحكم فيها، وقتها حاولت أن أبتعد لكن يدي تشبثت في الكفن مرة أخرى فجذبت القماش الأخير الذي كان مغطيًا وجه (أشرف)، هل تتخيل يداك لست متحكما بها؟ تخيلوا فقط تلك الفكرة وستعرفون أنها كانت وبالا على أسرتنا وكأنها اللعنة الأبدية التي أصابنا بها الملعون.

مهما أصف لكم بشاعة المنظر لن تتخيلوه فقد تحول وجه ابني الوسيم خلال أيامٍ فقط إلى جلد داكن ميت ممتلى بالدود والتقيحات، نعم أقسمت وقتها أنه ليس (أشرف).

وجه أسود شيطاني مخيف ولهذه اللحظة لا أعلم أكان كل ما أراه حقيقيا أو أنها مجرد تهيؤات، فعندما فتحت عيناه فجأة على اتساعهما كانت بيضاء تمامًا، لم أستطِع الإبتعاد عنه مع يدي التي كانت مشبثةً في كتفيه، بل كنت أغمض عيني من بشاعة ورعب المنظر ذاته.

maktabah.blogspot.com

شعرت بشي يتحرك أسفل الكفن ووجدت يده تخرج من فتحة الكفن هي الأخرى وقد تسلخت تمامًا ويشير إلى شيء ما خلفي وهو يئن، لا أدري أكان كل ذلك كابوسا أم ماذا، بل هو نفس الصوت الذي سمعته في بيت (مسوط) إنه هذا الأنين الذي لا يصدر إلا من شخصٍ يتألم ويتجرع أشد ألوان العذاب، ورغما عني وأنا أكاد أموت من الرعب لم أستطِع إمساك نفسي ورأسي تستدير ببطء ناحية الجدار الذي كنت أستند عليه منذ دقائق، وقتها كم تمنيتُ أن أسقط مغشيًا عليّ إلى الأبد، عندما رأيت على الضوء البسيط الصادر من هاتفي ذلك الكفن الذي يجلس صاحبه مستندًا على جدار القبر محاولا الاقتراب مني هو الآخر..

تحررت يدي بسهولة هذه المرة وأنا أسلط الضوء عليه،فرفع هذا الآخر يديه بدوره ناحيتى وبدأ في إصدار نفس صوت الأنين الملعون وهو يشير إليّ أن أقترب، كان يحاول أن يخبرني شيئا ما دون جدوى مع ذلك الأنين الصادر منه، لم أتحرك بل فتحتُ عيني على اتساعهما وكنتُ على وشك الصراخ بدون سبب، عندما وجدت أن صاحب هذا الكفن الذي يشير إليّ هو أنا...

نعم، هو أنا، أقسم لكم كيف ذلك لا أدري، كنت أنا بوجهي وجسدي جالسًا متدثرا بين كفني الأبيض وأنا أحاول أن أصرخ وأشير إليّ بشيءٍ ما دون أن أفهم، للحظةٍ اختلطت جميع المشاعر في رأسي مرةً أخرى، أغمضت عيني بقوةٍ وحاولتُ أن أتجاهل ما أراه أمامي من نفسي التي تشير إليّ وإن كنت لا أعلم كيف سأصبر إلى الفجر في هذا المكان الملعون..

اقتربت من جثة (أشرف) بينما عيناه كانت لا تزال على

maktabah.blogspot.com

اتساعهما، حاولت أن أفتح فمه دون جدوى فتيبس بالطبع بعد هذه المدة ولذلك كان علي الاختيار الأصعب، أخرجت من الحقيبة مفك صغير وضعته بين أسنانه وحاولت فتح ولو جزء صغير، نجحت في ذلك رغم تلك السنة التي تكسرت أثناء فتحي للفم..

اللعنة على هذا الشرط القاسي، لم يكن هناك أيّ مجالٍ للتراجع فأسندته على الجدار وأخرجت الزجاجة، أمسكتها بكل حرص واحتضنته مرةً أخرى وأسندته على صدري، وأنا أضع الزجاجة بين شفتيه وبالفعل سكبت كل ما فيها لآخر نقطة، ثم أغلقت فمه ولففتُ الكفن مرة أخرى حوله، وضعته مكانه مرة أخرى ملفوفا بتلك الأكفان.

نظرت مرة أخرى بطرف عيني ناحيتي، أقصد ناحية الجثة التي كانت أنا فلم أجدها، عدت بظهري حتى حافة الجدار البعيد المقابل للباب ودفنت رأسي بين ركبتي، كنت ألمح جثة (أشرف) تبدأ في الانتفاض، ربما حركات بسيطة في الأول ثم بدأت ترتج أكثر فأكثر ثم تصمت وهكذا

أقسم لكم تلك كانت أسوأ ساعاتٍ تمرّ عليَ في عمري كله مرت كأنها الدهر، أصوات صرخاتٍ وبكاء وعويل رجال على نساء تصرخ من الألم، وسط ضحكات أطفالٍ تارة وغنائهم بلغاتٍ غير مفهومة تارةً أخرى، وصوت يهمس باسمي في أذني ولم أجرؤ بالطبع على فتح عيني ورؤيته، شعرت بتلك المرأة العوراء بجواري في القبر وتهمس في أذني وتتحسس ظهري مرة أخرى، كل دقيقة كان رعبي يزيد حاولت أن أقرأ قرآن، ربما خفف عني أهوال عذاب القبر هذا، ولكني تذكرت الشرط النجس من

maktabah.blogspot.com

(مسوط) فكان عليّ أن أرتضي بالأمر الواقع وأرضى وأرضيه بأيّ شكل، طمعًا في الفوز بعودة (أشرف)، أصوات متداخلة في بعضها أصواتُ أبي وجدي وعمي مع أصوات (أشرف)، أصوات الجميع متداخلة في مواقف مشتركة، كنتُ أميز أصواتهم جيدًا ولكني لم أقوَ على فتح عيني، وكل ثانية تمر وكأنها عمر بأكمله.

وأخيرًا، من بعيد سمعتُ صوت آذان الفجر، لم أسعدفي حياتي إلا في تلك اللحظة، في سماع الآذان، لملمت حاجياتي ووضعتها في الحقيبة وبدأت أفتح باب القبر بهدوء، تنفستُ لأول مرةٍ ذلك الهواء الذي أعاد لي الحياة مرةً أخرى.

خرجتُ من القبر ثم أغلقته خلفي بالقفل الجديد وحانتمني التفاتة على القبر المجاور، فوجدت كلبًا أسود، لم أرَ في ضخامته من قبل، وكأنه كان يحرسني وخاصةً عندما كان ينظر إليّ بعينيه الناريتين دون أن يحيد عني، تحرك بهدوء من فوق القبر وبدأ في السير ثم نظر خلفه وقبل أن يذهب إلى حال سبيله، نظر إلى مرة أخرى،وكأنه يخبرني بتلك الجملة التي سمعتها داخل عقلي وهو ينظر إليّ بعينيه:

- هيا اذهب، لقد حققتُ الشرط الثاني.

***

كمن أصبح دميةً تتحركُ كنت أنا، خرجتُ من المقابر مستقلًا أول تاكسي حتى ميدان السيدة نفيسة، حيث بيتنا القديم أصبحت غير عابئ بنظرات الناس من حولي وخاصة السائق الذي كان ينظر إليّ كل فترة بريبة، وأنا تعلوني تلك الأتربة الموجودة بالقبر، أو ربما تلك الرائحة التي علقت في ملابسي، ربما ظنني مجذوب أو ميتًا عاد إلى الحياة مرة أخرى، ولم لا؛

فأنا ميت بالفعل وفي انتظار عودة روحي بعد تنفيذ الشرطين السابقين.

لم يتبقى إلا ذلك الشرط البسيط الثالث والأخير، ألا وهو انتظاري فقط في المنزل حتى ليلة الأربعين، وذلك بعد عمل الطقوس التي علمني إياها (هرماز) بناء على أوامر (مسوط) وبعدها على ألا أرى أحدًا أو أحدًا ما يراني ولا أخاطب أحدًا، عزلة تامة في منزلي وطبعًا لا صلوات ولا قرآن ولا أي شيء، ولم لا؛ فأنا لم أعتد الصلاة بصورةٍ منتظمة، هي فقط صلاة الجمعة وإن قمتُ بها من الأصل .

ابتعتُ أشياءً كثيرة جدًا من بعض المواد التموينية التي تكفيني شهرًا على الأقل، حتى لا أضطر للنزول أو حتى طلب أي شيء من الخارج ومخاطبة الجميع حتى التاسع من مايو القادم.

وذهبت إلى منزلي وأغلقت الستائر وأغلقت الباببمتراس حديدي من خلفه، نزعت سلك الهاتف المنزلي وأغلقتُ جوالي إلى الأبد، حتى (إلهام) كان من المستحيل مخاطبتها هي الأخرى، كسرت جميع المصابيح الكهربائية كما أخبرني (هرماز) هو الآخر، حتى أعيش في ظلامٍ تام أو تحت أضواء شمع أسود كئيب..

كان عليَّ الانتهاء من الطقس الأخير والذي سأبدًا في إتيانه يوميا لمدة سبع ليال، وبدأت في تنفيذه كما أخبرني فخلعت كل ملابسي وأخرجت كل أثاث إحدى الغرف وبدأت في إشعال شمعٍ أسود كثير، كما بدأتُ في رسم نجمةٍ خماسية بالفحم على أرض الغرفة واضعًا شمعة على كل رأسٍ من رؤوس النجمة، وبدأت في كتابة بعض الحروف على رؤوسها..

-ا ب ل ي س-

لا أفهم ترتيبها أو تعمدت ألا أفهم شيئا وأتيتُ بالزجاجة المحتوية على دم عمي وبدأت أسيل منها قطرات على الفحم المخطط وبدأت أغمس إصبعي وأكتب بعض الحروف التي حفظتها عن ظهر قلب ثم أغمس إصبعي فيه مرةً أخرى واضعًا تلك النجمة على جبهتي، كاتبًا حروف كلمة (مسوط) على كل مكان استطاعت يدي الوصول إليه من جسدي بمداد أحمر من دم غزال أخذته من (هرماز)، وقتها بدأت الوشوم في الظهور وملئ جسدي وكلها تكونت كلمات (مسوط) و(إبليس) و(ناصور) و(هرماز) وأسماء كثيرة لم يكن لديّ أي وقت لقرائتها، جلست وسط الدائرة وأخذتُ وضع السجود، ثم بدأت في ترتيل التعويذة التي أخبرني (هرماز) أن أحدهم سيلقنني إياها في القريب، وقتها بدأت الأصوات تتداخل إلى رأسي وسمعت وقتها صوت (هرماز) نفسه يأتي إليّ لأردد من ورائه هامسًا:

- أقسمت عليك يا مسوط ويا ابن سيدي العظيم، أقسمتعليك بيوم البعث والنشور وبحق النار والنور ومدبر الأمور وإسرافيل النافخ في الصور، بحق يوم هاجت الجن في القبور وزعقت الشياطين بالحضور، بحق النار والنيران والبرد والوهجان وكفتي الميزان، بحق طلوع الشمس البهية وتشعشعت والقمر هابط في الدبران، أقسمت عليك يا سيدي وابن سيدي حق سكان الجسور أجب، بحق هذه الأسماء لديكم وطاعتها لديكم زوبعة ولوبعة والعفارت الأربعة دنجال ومجيال ومهقال وعابد النار، بحق دنهش وفقطش ودندن ودندان، وبقطر وسمعان والعكيس، بحق بهلال وبلال ومزلزل الجبال وهاروت وماروت ويأجوج ومأجوج ورسول الجن ياقوت، بحق عيطوش الهلاس

أقسمت عليك بالصليب وما صلب وسيدنا إبليس وما طلب، أجيبوا واحضروا ولاتهملوا وأسرعوا ولاتتأخروا بحق أطش أطش وبحق سفرس سفرس بهطيوم أجيبوا يا أولاد سيدي وافعلوا ما أمركم به سيدنا، أجيبوا، اجلب اجلب الأعوان من العفاريت وأولاد الشياطين، اجعلهم يجيبوا مطيعين ونفذوا أمري مسرعين ولا تغفلوا عني وافعلوا ما أمرتكم به مأمورين قبل أن ينزل عليكم الشرار واللهيب، أجب يا ناصور يا ابن سيدي العظيم يا أسرع ياش ياش مراش مراش مالوش مالوش تخليش تخليش أجيبوا يا خدام هذا القسم أجيبوا واجلبوا، بحق هذه الأسماء طيل طيل مطال مطال يال يال موطال موطال أجب يا ناصور وافعل ما أمرتك به الوحا الوحا العجل العجل الساعة الساعة.

ظللت أردد تلك التعاويذ مراتٍ ومرات، حتى لاحت الشمس في الخارج فتوقفت ونمت بداخل الدائرة على هيئتي تلك..

وبدأت رحلتى لليلة الاربعين ..

تذكر أنك حملت رواية راجيم ما تتلو الشياطين حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك .

الفصل الثالث

من يرحل قد لا يعود أبدًا

بدأت الأيام تمر ثقالًا، كأطول ما يكون ومحظور عليّ حتى التحدث مع نفسي، كل يوم أشعر أني أتحول إلى مخلوقٍ آخر؛ فقد طالت ذقني بشكل مبالغ فيه، شعر رأسي بدأ في التساقط وظهرت بقع غريبة الشكل على جسدي في آخر الأيام، أما في أولها فمن المحزن أنه عاودتني آلام الأسنان القاتلة، في هذا الوقت في أول أسبوع وكأنها ترفض ما كنت أقوم به ولم يكن في حسباني ألم أسناني في تلك الأوقات ولم يخطر ببالي أبدًا شراء أدويةٍ حتى في تلك الظروف.

لم أتغلب على تلك المشكلة الصعبة إلا بماءٍ دافئ وملح، كل يوم عشرات المرات ولم أتوقف عن تناوله ولم تتوقف أسناني عن الصراخ هي الأخرى، حتى سكن أخيرًا ذلك الخراج اللعين الموجود تحتها..

لا أكذب عليكم مر أول أسبوع في هدوء، وكل يوم كنت أقوم بما فعلته أول ليلة مواظبًا على صلاة النار لمدة سبع ليالٍ كاملة، كما أخبرني (هرماز) لكي أثبت ولائي لهم، أما الأسبوع الذي يليه بدأت أفكر في مئات الأشياء العقائدية في الحياة والموت والجنة والنار والملائكة والشياطين والحساب والبعث والإنسان والجن، كل ما كنت أؤمن به يومًا ما بدأت أفكر في وجوده وحتميته وبدأت أحكم عقلي في كثيرٍ من الأشياء المقدسة، لا أعلم وقتها كيف وصلني التفكير في كل ذلك لماذا كنت أشعر براحة أكبر عندما كنت بجهلي أتوصل إلى نتيجةٍ ما، وأبني عليها

استنتاجاتي الكافرة، رغما عني أقسم لكم.

اه؛ نسيت أن أخبركم في بداية الأسبوع الثاني تأكدت أني لست وحدي في المنزل، أطياف وخيالات لأشياء كثيرة بدأت في الظهور وتمر إلى جواري، منها أطفال مطموسي الوجه، تختفي فجأة عندما أشعل ضوء شمعة بسيط، أصبحت أجلس في صالة المنزل أشعر بوجودهم من حولي يحاولون الاقتراب مني، وعندما انظر إليه فجأةً لا أرى أحدًا، ألمحهم فقط بطرفِ عيني دون إشعارهم أني أراهم...

وأحيانًا عندما أصحو من النوم ليلًا للذهاب إلى الحمام، أجدُ أن هناك رجلين جالسين على أرضية الصالة وجههما بالحائط وكأنهما يحدثان ما بداخله، كانا رجلين على نفس هيئة (هرماز) الدميمة والقصيرة، ولكن عندما دققتُ النظر في المرة الثانية التي وجدتهم فيها كانوا بالفعل (هرماز) وتلك المرأة العوراء، يجلسان جنبًا إلى جنب وهما يرتلان طقوسهما الشيطانية، وعندما رأيا أنني بجوارهما، لم أرهم بعدها أبدًا، أتتخيلون الوضع الذي كنت أمر به؟

وهل تعتقدون أنه كان لديَ القدرة على الاختيار وقتها، بأن أترك المنزل وأهرب وليكن ما يكون، عشراتُ السنواتِ زادت على عمري من الهم الذي كنت أعيشه يوميا، وطوال الوقت أمني نفسي أن كل ما أقوم به هو لرؤية (أشرف) وكل ما عليَ هو الصبر ومحاولة التأقلم عما أنا فيه.

هي مرة واحدة، كنت على وشك أن أفتح باب الشقة وأعدو خارجًا مهما كلفني ذلك من لعنة تصيبني من (مسوط) كنتيجةٍ لنقض العهد معه، مرةً من المرات سمعت أنين امرأةٍ أثناء نومي،

وكان صادرًا من مكانٍ ما في الشقة؛ فقمت على أطراف أصابعي خوفا من أن تكون (إلهام) قد حضرت فجأة إلى المنزل ورأت أيّ شيءٍ مما أراه؛ فبدأت في النحيب والعويل؛ فأشعلتُ شمعة وسرت نحو مصدر الصوت الذي كان صادرًا من دورة المياه، فدخلت بهدوء لأسمع ذلك الأنين يأتي من خلف ستارة البانيو؛ فبدأت في إزاحتها بهدوء ولكني ارتعدت عندما وجدت قزمةً صغيرة لا يتعدى طولها المتر، دميمة الشكل بشكل مرعب، صلعاء تمامًا، عارية الجسد، وعندما رأتني أصدرت صراخًا، شعرت أنه سيسمعه كل الموجودين في الشارع مع صوتها الذي يصم الآذان؛ فكان عليّ أن أخرسها بأيّ شكل؛ فلم أشعر بنفسي إلا وأنا ألقي بالشمعة عليها لتحترق وأخرج سريعًا من الحمام، وأنا أسمع صرخاتها المدوية ورائحةً بشعة انبعثت من الداخل وفجأة سكت كل شيء، بمجرد أن وضعت يدي على مزلاج الباب وحاولت فتحه، سكت الصراخ تمامًا فهرعت مرة أخرى، أشعل هاتفي هذه المرة وأدخل الحمام فوجدتها تجلس بهدوء على حافة البانيو وهي تنظر إليّ بعينيها الناريتين، ثم ما لبثت أن دخلت فجأةً إلى الجدار الملاصق للبانيو وقفزت فيه، كأن الحائط صنع من ماء، لم تكن تلك الحادثة المرعبة التي حدثت لي طوال الشهر وإن كنت بدأت أعتاد على كل ذلك حتى أتى الأسبوع الأخير، وقتها أقسم لكم أن المنزل كان فيه كل ما تتخيلوه من جنٍ أو شياطين أو أشياء زاحفة ما بين الإنسان والحيوان، لا أستطيع وصف ما كنتُ أراه بعيني ومرة رأيت ثورًا بأرجل آدمية وبشر على هيئة مرعبة من القزامة أو الطول أو النحافة، أحيانًا كانت أرضية الصالة تختفي من كثرة أعدد الأطياف الحالكة السواد التي تتحرك عليها وكأني أسير على

مياه سوداء تتحرك فقط عندما تغوص قدمي داخلها .

كل هؤلاء أصبح يجمعني بهم شيئًا واحدًا فقط، هي تلك الوشوم الموجودة على يدي والتي بدأت تزحف حتى رقبتى ويدي الأخرى وكأنها مرض جلديّ لعين لن أستطيع الفكاك منه..

بدأت أفقد عقلي حرفيًا وخاصة من الصداع المستمر الذي لم يسكت أبدًا طوال الأربعين ليلة، كثيرا ما كان يدق جرس الباب عشرات المرات من شقيقي ياسر، الذي تجاهلت صياحه يوميًا عليّ حتى يأس ومعه جاري المتطفل، وكم كنت أتمنى أن أفتح له وأعتذر له وأنسى كل ما أقوم به، ودون سابق إنذار أتى إليّ الضيف الثقيل وبدأت آلام أسناني القاتلة التي بدأت في الصراخ مرة أخرى، لم يهزمني الجن والشياطين الممتلئ بهم المنزل، ولكن أبعد كل ذلك تهزمني آلام الأسنان اللعينة؟

فقدت الكثير من وزني لأني أصبحت لا أستطيع تناول الطعام إلا سوائل فقط، وعندما نظرت إلى نفسي في المرآة، لم أتخيل أن هذا الوجه المرعب هو وجهي، لم أحاول أن أقرأ قرآن أو أستعيذ بالله مما أراه، خوفا من العقاب ورعبا من نقض عهد (مسوط).

ياربي، كلما تذكرت كل ذلك كان يهون، مقابل ما قم به في آخر الأسبوع بعد أن أصبحت آلامي مستحيل أن أتحملها، كان هناك حل وحيد تمنيت أن أقوم به منذ الأسبوع الأول، لكن كانت تنقصني الجرأة، ذهبت إلى درج عدة الأدوات المنزلية في المطبخ وأخرجت تلك الكماشة التي تستخدم في خلع المسامير، والتي تشبه الآداة الموجوده عند أطباء الأسنان التي تستخدم في الخلع..

نعم هو ما طاف في مخيلتكم بالظبط، كانت المشكلة كلها في ضرسين في آخر الفك العلوي فاضطررت إلى إشعال هاتفي أمام مرآةٍ كبيرة، لأرى ذلك الشيطان القزم داخلها وهو يقفز من الجهه الأخرى من سطح المرآة أو بداخلها بمعنى أدق، ولذلك أطلقتُ عليه ساكن المرآة.

اه؛ هنا كان أول ظهور له فكنت أراه أول مرة، لم أفزع من رويته يقفز هنا وهنا داخل المرآة، وعندما رآني ثابتًا لم أخف بالطبع مما يقوم به؛ فسكت هو الآخر وبدأ ينظر إليّ مندهشا، كانت هيئته كهيئة طفلٍ صغير لكنه كانت أذنيه طويلة جدًا وملامحه مطموسة إلى حد كبير ولا يحتوي جسده على شعرةٍ واحدة، عينيه كلها سواد بينما يديه كانت تصل إلى الأرض وقصرت ساقيه التي تنتهي بحافرين وليس أقدام، أما كفيه كانا ينتهيين بإصبعين غلاظ فقط، يومها بدأ بقترب مني في المرآة وهو ينظر مندهشًا عما كنت سأقوم به، كان الرعب مما سأقوم به أضعافًا مضاعفة مما أراه أمامي ولكنه كان عليّ أن انتهي من تلك التجربة المؤلمة.

وضعت الكماشة على ضرسي المصاب وبدأت في رجه رويدًا رويدًا، لكني لم أستطِع إكمال ما أقوم به على الرغم من شعوري في هذا الوقت بالاستمتاع بالألم والاستمتاع بما أقوم به ولكني عجزت عن الاستمرار، يا ربي هل تتخيلوا الآلام التي كنت أشعر بها؟ ولم يشعر بي أحد إلا من ذاق ذلك الورم القابع أسفل الضرس.

بدأ ساكن المرآة يقترب من سطحها وتسمرت وأنا انظر إلى عينيه الممتلئة بالسواد دون أيّ جفون،فهي مفتوحة باستمرار

ووقتها أخرج يديه الطويلتين من المرآة ليمسك الكماشة ويشير إليَ بها وقد فهمت ما يقصده، اقتربت أنا الآخر وفتحت فمي على اتساعه وهو ينظر داخله ودون أن أشير له أي شيء وضع إحدى يديه خلف رأسي ليمسكني جيدًا والأخرى بدأ بها في القيام بما كنت سأفعله.

بدأت وقتها كالمجنون كلما زاد الألم كنت أقبضُ على ذراعيه أكثر فأكثر فيقوم برجي أكثر فأكثر وكلما نزفت وملئ الدم فمي كنتُ أبصقه فينتظر يكمل وأنا أكاد يغشى عليَ من الألم لكن المصيبة أني لم أتحرك بل استمتعت بهذا الألم وطعم الدم الذي ينزف مني ووقتها شعر أنها تلك اللحظة المناسبه فجذبه مرةً واحدة، وألقاه مع الكماشة وعاد بيديه إلى داخل المرآة.

توقفت قليلًا ألتقطُ أنفاسي بعد أن كاد قلبي يتوقف، نظرت إلى الضرس الملعون وقد وجدت ثقبا فيه بحجم حبه الأرز، لم يتوقف الألم وكان عليَ القيام مرة أخرى بالضرس الآخر.

أشرتُ إليه على الضرس الآخر وكان الألم لا يطاق هذه المرة والنزيف لا يتوقف وأخيرًا جذبه ولكنه كسره ووقتها سقطت مغشيا عليَ وسط ضحكات ذلك الأبلة ساكن المرآة.

***

لم يتبقى على التاسع من مايو إلا يومًان فقط ولم يتغير أيَ شيءٍ مما كنت أقوم به، فكنتُ أغلب فترات الوقت جالسًا دون حراك في انتظار ليلة الأربعين، بدأت في الأيام الأخيره أشعر بهزال وضعفٍ عام وأصبحت لا أرى جيدًا وأقسم لكم أنه في أحيانٍ كثيرة كنت أعيش في عمى كامل ولم يساعدني في ذهابي إلى دورة المياه إلا شيئا ما كان يمسك بيدي لتوصيلي

هناك..

أصبحت لا أندهش مما كنت أراه أو أشعر به أو أسمعه ليلا من تلك الأصوات المتداخلة التي كنت أسمعها في القبر فقد أتت إلى منزلي هي الأخرى أصبحتُ لا أندهش من أيّ شيء، وظللتُ على هذا الوضع لم يغمض لي جفن حتى أتيتُ أخيرًا إلى اليوم الموعود

-التاسع من مايو يوم الأربعين-

مرّ النهار لم يحدث أيُّ شيء أصبحت أدور في المنزل كالحيوان المحبوس داخل قفص، جريت عدة مرات على باب الشقة كلما صعد أحد إلى الطابق العلوي، لسذاجتي كنت أظن أن (أشرف) ربما أتى سائرًا على قدميه.

لم أنم منذ يومين انتظارًا لليوم الموعود، شعرتُ بضعفٍ عامٍ وقتها ولم تقوَ قدماي على السير إلا مستندا على الجدار، بدأت في الاختناق والسعال والدوار، أصبحت بمرور الوقت ليس لديّ القدرة على التنفس وكل فترة انظر إلى ساعتي حتى مر منتصف الليل ولم يحدث أي شيء.

أيكون كل ذلك خدعة من ذلك المسخ؟ ولم كل ذلك، لماذا يعطيك بعض الأمل ثم ينتزعه منك بلا رحمة؟ جلست منهارًا على أقرب كرسيّ وأنا أشعر بدوارٍ هائل وبدأت أعرق بشدة مع تنميل في ذراعي الأيسر، كنتُ أعلم أن كل ذلك مبادئ جلطة؛ فحاولت السعال لمقاومتها، زاد العرق على جبينى وضاق نفسي أكثر فأكثر، حاولت القيام والاستناد على الجدران والخروج من الشقة والنداء على أيّ جار لمساعدتي ولكن خانتني قدماي

فسقطت على الأرض وأنا أكاد ألتقط أنفاسي بصعوبة.

و بعد دقيقتين كنت في غيبوبةٍ أقرب للموت

***

- بابا، بابا.

ظلام في بداية الأمر وكل ما كنت أراه خلال هذين الكابوسين الذين لم يفارقاني حتى الآن، حتى الأمس أقسم لكم فقد كانا يتكرران مرارا ومرارا ربما في أغلب أيامي كنتُ أرى في إحداها أني مقيد من قدمي بسلسلة حديد تنتهي إلى حفرة في الأرض وكل يومٍ هناك من يجذبها رويدًا رويدًا حتى أسقط في الحفرة التي بدأت ألسنة اللهب تصعد منها وكل يوم أصحو مفزوعًا عندما تلمسني النيران.

والكابوس الآخر، أرى نفسي أغرق وسط بحرٍ أسود ليس له أي ملامح ووجدت هناك من يمد لي يده الممتلئة بذلك الوشم الأسود فأتشبث بها بكل قوتي وأنا أحاول جاهدًا أن أتنفس وكلما صعدت لألتقط أنفاسي مرة أخرى كلما قام بإغراقي وهكذا

ووقتها عاد الصوت مرة أخرى:

- بابا..

رويدًا رويدًا بدأ الظلام ينقشع لتظهر أشعة الشمس البيضاء التي تسللت إلى غرفتي الكئيبة وفتحت عيني بهدوء متوقعًا أني لا زلت بذلك الكابوس، لكن الصوت الذي عاد صارخا مرة أخرى ينادى باسمي نبهني أني لست أحلم؛ فتنبهت حواسي في تلك

اللحظة على صاحب ذلك الصوت، نعم هو صوت (أشرف) صارخا في الصالة، نظرت إلى المكان من حولي فإذا بى أجد نفسي في غرفة نومي وتغير الأثاث ليصبح أكثر بهجةً دونما سبب، شعرت أني لا زلت داخل حلم جميل بينما ظل صوت ابني لا يزال على صراخه لكني لم أصدق نفسي عندما وجدته يقتحم على غرفتي ولم يتوقف عن شجاره مع (إلهام)

نظرتُ إليه وهو غاضب؛ فلم أصدق نفسي في بداية الأمر وهتفت بصوتٍ مسموع:

- أشرف؟

قاطعني ولم يزل على عناده القديم:

- أبي من فضلك أخبر أمي أني تعديت مرحلة الطفولة من زمن وهي بعد كل هذه السنوات لا تزال تملي عليَ تصرفاتي، افعل هذا ولا تفعل هذا، فقد أصبحت رجلًا يا والدي أخبرها بالله عليك.

لم أسمع حرفًا مما يقوله كل ما كان على لساني:

- أشرفَ هل أنت أشرف؟

توقف أشرف عن الشكوى وهو ينظر إليّ مندهشًا من رد فعلي وخاصةً عندما بدأت فجأة في البكاء فاقترب مني وهو يربت على كتفي:

- ما بك يا أبي هل تشعر بأي تعب؟

لم أنطق ولم أستطِع النطق، وقتها تيقنتُ أني فعلًا لا أحلم، كيف حدث ذلك لا أعلم وخصوصًا عندما حانت مني التفاتة

ناحية الحائط لأرى نتيجة اليوم تشير إلى الأربعاء أول إبريل ميعاد الحادثة الملعونة، وقت وفاة (أشرف)

هل عاد الزمن؟ هل يمكن إعادته حقًا؟ هل أكون كل ما قمت به لأعود مرة أخرى إلى نفس اليوم ومنع ما كان سيحدث؟ حتى وإن كان ذلك فكل ما عليّ فعله هو منعه بأي شكل، لم أفكر في أي شي وكل ما أردته وقتها هو عناق حار وبالفعل احتضنته بشدة، وبدأت فى البكاء مرة أخرى وأنا في أشد حالات ضعفي وعدم تصديقي لما أراه أمامي، لم يقاطعني سوى صوت (إلهام) تصرخ هي الأخرى وهي تدخل إلى الغرفة لتجدني على هذه الحالة، فصمت الاثنين وبدءا ينظران لبعضهما البعض في دهشة، وقطع ذلك العناق صوت (إلهام):

- هل منكما من كان مسافرًا؟أو لم تريا بعضكما مثلا؟ المهم أخبر (أشرف) يا (أيمن) أنه لن يخرج ولن يسافر مع أصحابه، فلديّ هاجس وأنتما تعلمان جيدًا ذلك الهاجس و..

قاطعتها وأنا أمسح دموعي قائلًا له:-

- أشرف، بالله عليك أنا أشعر أني لست على ما يرام وأريدك اليوم تكون بجانبي فوالدتك ستذهب إلى عملها وأريد فقط أن..

قاطعني (أشرف) صارخًا هذه المرة:

- لا يا أبي لقد وعدت أصدقائي أني سأكون معهم لنركب قطار التاسعة ولم يتبق إلا ساعتين؛ فبالله عليك دعني أذهب وأنا أعلم أن صحتك على ما يرام وكل ذلك من أجل هاجس أمي الذي دوما ليس له أي أساس من الصحة و..

قاطعته مبتسمًا:

- أشرف، أريد أن آخذ رأيك في عدة مواضيع وأريدك بالمثل أن تفتح لي قلبك فقد أصبحت رجلًا الآن، و...

قاطعني وهو ينظر إليّ وإلى أمه بحنقٍ قائلا:

- أبي، إن الساعة السابعة صباحًا وأي مواضيع هذه التي تريد أخذ رأيي فيها الآن؟ عندما أرجع يا والدي بالله عليك، المهم أن أرجع إلى تلك الرحلة.

- مهلًا فقط انتظر ودعني أتحدث للآخر، ما المقابل الذييمكن أن أقدمه لك حتى تمكث معي اليوم؟ فكر جيدًا، اليوم هو يوم حظك تمنى أي أمنية أحققها لك..

سكت فجأة وقد بدأت الفكرة تختمر في رأسه

- مقابل؟

زادت ابتسامتي اتساعًا؛ فقد كانت تلك طريقته عند طلبه شي أو احتياجه لشي فأردفت ضاحكا:

- نعم، نعم، تمنى أي أمنية مقابل أن نجلس مع بعض هذا النهار وأقسم لك أني سأعمل على تحقيقها، جربني ولن تندم يا ولدي، الاختيار لك وسوف أكون لك كمارد المصباح، اليوم فقط وفي الغد لن أعرفك

أطرق (أشرف) عدة ثوانٍ وابتسم وهو يحك في رأسهوسط غيظ (إلهام) التي كانت تنظر في ساعتها حتى تنصرف إلى عملها ولكنها انتظرت حتى ننتهي من المسألة برمتها، نظر إليه (أشرف) بدوره وابتسم خجلا وأردف:

- حسنًا، أنت من قلت، لو أخبرتك أن لديَ زميلة ما فى الكلية وأريد أن..

قاطعته ضاحكًا قبل أن يكمل كلامه وسط غضب (إلهام) التي كانت تتوقع بالفعل ما سيقوله:

- سأخطبها لك، أقسم لك أنا جاد، سنجلس اليوم نخطط لكل ما تريده و...

وقتها لم تتمالك (إلهام) نفسها لتخرج من الغرفة صارخة من تدليلي لأشرف ولكن مهما يكن فخطوبة ابني ستكون أفضل ملايين المرات من عودته إلينا جثة هامدة..

***

لماذا لا نشعر بقيمة الأشياء إلا بعد فقدانها؟ لحظاتالسعادة التي كنا نحياها لا نستشعر قيمتها إلا بعد أن نمر بلحظات يأس وندم فنتذكر ما كان بين أيدينا وفقدناه لم نشعر وقتها أنه سيأتي يومًا ما ولن نجدها، شعور الفقد من أصعب ما قد نختبره، يستحيل معه ترجمة الألم إلى حروف وكلمات فتمتلئ القلوب بمشاعرٍ شتى تحيلها إلى مرتع للخواء والنحيب والجراح ولكن هيهات؛ فلن يستطيع سطرًا واحدًا أن يعبر عما بها، فما يدور في داخلها أعظم من أن يُختزَل في جملةٍ واحدة، أو حتى في ملايين الأوراق ويولد وقتها شعور قابِس بأنه انتقام عادل، فقد جاءك عقابك الذي تستحق؛ فأنتَ من تعاميتَ وتجاهلت تلك النعم التي بين يديك، الآن والآن فقط قد حان وقت الندم لرؤية جنتك وهي ترحل، ولتعلم جيدًا أن من يرحل قد لا يعود أبدًا؛ فتمتع بعقابك الأبديّ وأنت تعضّ بنان الندم على ما ضاع من

بين يديك.

طوال ساعات النهار التي قضيتها مع ابني لم أتذكر أني كنت بهذه السعادة من قبل واندهشت من كمية الحب والدفئ التي كنت أشعر بها ومرت عليَ من قبل دون حتى أن أهتم، لم أتوقف عن الحديث مع (أشرف) دقيقة واحدة وسمعت منه علاقة الحب البريئة التي نشأت بينه وبين زميلته بالجامعة وطموحه في خطبتها؛ فلم أمانع وإن كنا بدأنا بكيفية محاولة إقناع (إلهام) التي إلى الآن تظن أنه لا زال صغيرا..

وعلى الرغم من لحظات السعادة التي عرفت قيمتها الآن وسعادتي بقضاء اليوم مع(أشرف) إلا أن قلبي كان منقبضًا بشدة دونما سببٍ واضح، كانت حادثة القطار في الثالثة عصرًا، أتذكر بالفعل أنها كانت في نفس هذا الوقت وكلما اقتربت الساعة من هذا الوقت كلما زادت ضربات قلبي خوفًا أن يلقى حتفه بأي وسيلةٍ كانت، حتى بعد أن مر الوقت بعدها بساعتين، نظرت إلى ساعتي كانت تقترب من الخامسة مساءًا، تركته لأعد طعام الغذاء حتى عندما تعود (إلهام) يكون الطعام معدًا، لكنها هي الأخرى تأخرت دونما سبب..

لم تمر عدة دقائق وأنا في المطبخ حتى وجدت (أشرف)يدخل عليَ صارخًا يخبرني بأن زميل (إلهام) في المدرسة يبلغنا أنها صدمتها سيارة وفي العناية المركزة في القصر العيني، وأنها أبلغته قبل غيبوتها بضرورة اتصاله بنا.

دارت الدنيا في وجهي ولم أعلم ما سوف أفعله، لم أرى إلا (أشرف) الذي كان يقف مرتعدًا أمام الباب وهو يحاول الاتصال بوالدته التي لا تجيب، ثم ينهار على أحد الكراسي ويبدأ في

النحيب، أسرعت إليه وأخذته ونزلنا سريعًا لنقفز في إحدى السيارات إلى القصر العيني..

قبل أن أصعد وجدت زملائها يجلسون في مدخل المستشفي وبمجرد رؤيتي احتضنني بعضهم والآخر اقترب من (أشرف) ليحدثوننا بأعينٍ باكية:

- أنا آسف يا أستاذ (أيمن) لم أقوَ على إبلاغكم بالخبر مرة واحدة، كان عليَ الكذب حتى تصلوا إلى هنا دون أن يصيبكم مكروه..

استندتُ إلى يد زميلٍ آخر ولم أفهم ما كان يحاول أن يوصله لي، لكني الآن علمت سبب انقباض قلبي منذ الصباح؛ فأردفت في حزن وقد تيقنت بما يدور من خلفي في أعينهم:

- لم أفهم، أين زوجتي؟

- اهدأ بالله عليك، أنتَ رجل مؤمن والمؤمن مصاب، وهذا أمر الله لا رادَّ لقضائه، اصبر واحتسب، هي شهيدة بإذن ربنا؛ فلقد لقيت زوجتك المسكينة حتفها على الفور نتيجة إصابتها بسيارةٍ مسرعة، ولم يتم التعرف على صاحبها بعد هروبه مباشرة إلى هذه اللحظة، والمرحومة في المشرحة منذ الصباح وقسم الشرطة الذي أبلغ إدارة المدرسة بعد أن سرقت حقيبتها بعد الحادثة ولم يتمكنوا من معرفة اسمها إلا من بطاقه المدرسة الموجودة بداحل ملابسها؛ فقمنا بإبلاغكم على الفور..

لم أشعر بنفسي إلا وقد أغشي عليَ من الصدمة، وسط صراخ (أشرف) الذي لم يستطِع أحد إيقافه.

مع آذان ظهر اليوم التالي، وجدت نفسي في المقابر، مرت

الساعات الماضية، لا أعلم كيف مرت عليّ، أو ما الذي حدث كل ما أراه أمامي كأني أرى فيلمًا سينمائيًا أبطاله لا أعرفهم، حتى أنا لم أكن أشعر بأي شي أفعله، لم يكن لديّ أي شعور إلا الرؤية فقط عيناي فقط هي من كانت تنظر إلى كل ما يدور أمامي دون أي وعيٍ مني؛ فكنت أرى نفسي ما بين استلام الجثة من المشرحة وإمضاء على عشرات الأوراق مع الشرطة ومئات الأسئلة، إن كان الحادث متعمدًا من عدمه أم إن كنتُ أشتبه في شخصٍ ما، أو لدى المسكينة أيُّ أعداء، لم أدرِ بأيّ شيءٍ كنتُ أرى نفسي فقط، وأنا أقوم بعمل كل ذلك كأني مسير لما أقوم به دون حتى وعيٍّ أو حتى دون أن أقوم بشيءٍ آخر عكس ما كنت مجبرًا على إتيانه..

و الآن في نهاية المطاف كنت أرى عشرات الأشخاص الذين لا أعرفهم، يقفون إلى جوار (أشرف) ليشدوا من أزره وأنا جالس على تلك الصخرة أرى ما يحدث أمامي، رأيتُ جثمان (إلهام) المكفّن في الأبيض وهو يدخل القبر الذي كنتُ فيه منذ أكثر من شهرٍ بالكامل، ولكن في المكان المخصص للنساء..

لماذا إذن؟ هل كل ما قمت به من أجل استعادة (أشرف) وفقدان (إلهام)؟ هل كتب عليّ الحياة مع الحرمان بأيّ صورةٍ كانت؟ هل أستعيض بابني مقابل زوجتي؟ هل يأتي (أشرف) وتذهب (إلهام) بلا رجعة؟ تبًا لتلك الصفقة الملعونة وتبًا لكل ما قمت به، هل لا بد من وفاة أحدهم حتى يكون أحدهم مكان الآخر، اللعنة وألف لعنة، على (مسوط) و(هرماز) والعهد والتضحية.

تركتُ الجميع ينتهون من مراسم الدفن، وأنا انظر حولي فلم

أعرف في كل الوقوف إلا (أشرف) فقط، حتى زملائها في المدرسة لم أجدهم، تذكرت وقتها شقيقي (ياسر) أو حتى أيّ فردٍ من أسرتي بحثت بين الوجوه عليهم فلم أجد أحدًا، كل يوم تزداد كراهيتي لهم وللدنيا ومن فيها..

بعد أن انتهى الجميع من الدفن كنتُ انظر بخوفٍ إلى (أشرف) الذي بدأ يغشى عليه أثناء الدعاء لها، كنتُ مرعوبًا عليه، الآن من الانهيار الذي بدا عليه؛ فلم يقوَ على الوقوف واقترب اثنان من زملائه فقاموا بإسناده، لذا أخذته إلى أقرب تاكسي حتى دون أن أتلقى العزاء ولم يلحظني أحد أصلًا، وتوجهت سريعًا إلى المنزل وظللتُ بجواره حتى ذهب إلى النوم أخيرًا بعد أن حاولت إطعامه دون جدوى..

ارتديتُ ملابسي على عجل؛ فكان عليّ أن أتوجه إلى هذا المحل الملعون بأيّ شكل وكل همي أن أفهم لماذا، نزلتُ مسرعًا، وظللت فترةً أبحثُ عن تلك الحارة الملعونة التي تقع ذلك المحل الأسود بداخلها حتى اهتديتُ أخيرًا إليها وتمامًا كما حدث في المرة السابقة، وجدت (هرماز) الملعون يجلس في نهاية المحل مشعلًا ذلك البخور المقبض..

لم أستطِع أن أتمالك أعصابي؛ فدخلتُ مسرعًا على الرجل الذي جفل من دخولي فجأةً، ولكني قبل أن أمسك بتلابيبه، أصابني الشلل وتيبست تمامًا وكان هناك من يمسك جسدي بأكمله وكأنه قد رأى الشر في عيني؛ فلم أستطِع الاقتراب منه، ووقفت مكاني عدة ثوانٍ قبل أن يشير إلى فمه بإصبعه أن ألزم الصمت فهززتُ رأسي موافقا بعد أن شعرتُ أن روحي تكاد أن تنسحب مني من أثر تلك القبضة على رقبتي وصدري، تهاويت على

المقعد الخشبيّ إلى جواره بعد أن تحررت من القيد على جسدي، لم أستطِع كبح غضبي مرة أخرى؛ فصرخت في الرجل:

- لماذا، أريد أن أعرف فقط لماذا؟ أكلَ ذلك من أجل أن أفقد امرأتي في النهاية؟ لما فعلت كل ذلك إذن؟ أليس من أجل لم شمل الأسرة؟ ما الفائدة التي جنيتها من جراء كل ذلك؟ أخبرني لماذا؟ لماذا لم تتركوني في حالي، أيعود إليّ (أشرف) ثم أفقد (إلهام)، في أي منطقٍ هذا، الألم واحد يا (هرماز) لم لا تفهم!

قاطعني الرجل ببرود وهو لايزال يضع بعضا من البخور ليزيد اشتعاله:

- أنا مندهش من عصبيتك يا (أيمن) أنت طلبت ابنك حيّ، وأبانا (مسوط) أعاده إلى الحياة، أبانا (مسوط) أحياه بعد موته، أتفهم؟ أنتَ طلبت ذلك وقمنا به، فلمَ كل هذاالغضب؟

- كل هذا الغضب؟ هل تهزي يا رجل؟ نعم، طلبت مساعدتكم لا أنكر ذلك ولكن في مقابل ذلك توفيت (إلهام) زوجتي وسيخيم الحزن على الحياة مرة أخرى، ولو كنتُ أعلم ذلك، ما كنت وافقت من البداية على التعاون معكم، لو كنتُ فقط أعلم..

- كنت تعلم، ولكنك لم تفهم يا (أيمن) ألم يكن ذلك هو المطلوب؟

لم أتمالك نفسي وعدت إلى الصراخ مرة أخرى:

- مطلوب؟ أيّ مطلوب، ألا تفهم يا هرماز؟ تحيوا ابني من أجل وفاة زوجتي؟ ما الذي استفدته بما قمت به من قتل وبيات في قبر ابني وكل ذلك..

بدأ الرجل يصرخ هو الآخر وبدأت عيناه تتحول إلى جمرتي نار:

- أنت أيها الغبي من وافقت على الشروط ووافقت على التضحية

- تضحية؟

- نعم تضحية؟ أنسيت؟ أليس تلك هي التضحية التي وافقت عليها؟ ألم نسألك مرتين، وقلت أنكَ موافق أنسيت..

- لم أنسَ، ولكني لم أعلم أن تلك التضحية يا (هرماز) كنتُ أظنها شيئًا آخر، ولو كنتُ أعلم من بداية الأمر ما كنت وافقت، كنتُ أظنّ أنّ تضحيتي ستكون في اقتناعي بتلك الأفكار وطلب العون منك ومن (مسوط) وإحياء ابني مرة أخرى، على الرغم أني أعلم أن ذلك مستحيل، وبذلك أكون ضحيتُ بكل إيماني مقابل ذلك، تلك هي التضحية من وجهة نظري، أن أرفض كل ما تعلمته من..

قاطعني (هرماز) بضحكةٍ ساخرة، وردد معه ضحكات أخرى، في نفس المكان تأتي من خلف الجدران:

- لا، لا هذا أمر آخر، طلبك معناه أنك ستصبح من التابعين الذين لن يصيبهم أسى ولا حزن ما حيوا، التابعين الموالين لسيدنا وابن سيدنا الأعظم، أفهمت يا أيمن؟ أما عن التضحية ؛ فهو فعلًا ما حدث لك بوفاةِ زوجتك وتلك الشروط التي قبلتها، روح مقابل روح، دم مقابل دم، هذا ما يسري عليك وعلى كل التابعين، إلا المقربين فقط..

لم يكن في يدي أيّ شيءٍ، آخر سوى الصمتُ ومحاولًا عدم معاداتهم، وقتها طرأت في رأسي نفس الفكرة التي خطرت في

بالكم تمامًا، ولم أدرِ بنفسي إلا وأنا أركعُ تحت قدميه متوسلًا باكيًا:

- أقسمتُ عليك بمقام أبيك مسوط..

قاطعني بإشارةٍ من يده مردفًا وكأني أخطأت:

- أبونا مسوط ابن سيدنا الأعظم سيد الأرضين..

- حسنًا، أبونا وسيدنا مسوط ابن سيدنا الأعظم، سيد الأرضين أن ينجدني، أريدها يا سيدي هي و(أشرف)، لا أريد تلك التضحية لا بد من وجود طريقة أخرى للحفاظ عليهم..

أطرق (هرماز) برهةً في التفكير وبدأ يشير بإصبعه مرة أخرى في اللامكان ويهمس وينصت بأذنيه، ثم ينظر لي بقلق ويكمل ما يفعله ثم نفث في البخور فاشتد مرة أخرى، وأردف:

- أنا لا أعدكَ بشيء، الأمر كله في يد سيدي (مسوط) إن شاء إعادها لك للحياة مرة أخرى، وكل ذلك حسب رأيه، فلننتظر حتى يأذن لنا بالقبول وإجابة دعائك.

- سيدي من فضلك دعني أراه، أو خذني إليه وأنا ربما أستطيع إقناعه.

- لن يسمح لك بالحضور إليه مرة أخرى، لكن انتظر سأخبره وأرى رأيه.

قام الرجل بهيئته المشوهة وظل ناظرًا إلى عيني، ثم إلى شيءٍ ما خلفي فلم أستطِع بالطبع النظر ورائي، كنت لازلت راكعًا وهو يدور من حولي وبدأت نفس الخيالات اللي كانت موجودة من قبل تظهر مرة أخرى، وظلَ على تلك الحالة قرابة العشر دقائق

وهو يدور من خلفي ثم يسير بظهره ويجلس إلى جواري وينصت، وعندما انتهى اقترب من أذني وتحدث بصوتٍ مختلف أثار رعبي أكثر،

- إن أبانا (مسوط) يبدو أن مقامك كبير عنده جدًا، بصورةٍ أنا نفسي لم أكن أتصورها، أخبرني أن تتنظرنا قبل الفجر وسيقوم بعمل كل ما تريده..

كمن القي إليّ طوق نجاةٍ وأنا في خِضمَ المحيط أصارعُ الأرواح، تشبثتُ بعبائته أكثر وبدأت في البكاء فرحًا..

- حسنًا، يا سيدي أنا في الانتظار وأنا مستعد لتلبيه كل طلباته أيضًا هذه المرة وعنواني هو...

قاطعني الرجل ببرود:

- أننا نعلمُ عناوين كل أصحاب الوشوم السوداء يا أيمن، أتظن أننا وشمناك عبثًا؟ كل ما تتخيل من تفاصيل حياتك وحياة أسرتكَ كتاب مفتوح لكلَ منا، آه، نسيتُ أن أخبرك لقد أوصاني أبونا عليك أتعرف لما؟

- لما يا سيدي؟

ضحك مرة أخرى بسخريةٍ وهو يقول:

- لأننا أخوة..

وعادت الضحكات الساخرة تأتي هذه المرة من تحت الأرض، لم أفهم جملته فوقفت منتظرا أن يكمل حديثه لكنه تجهم فجأة مشيرا إلى ناحية الباب صارخًا دون سبب:

- هيا، انصرف..

وقتها خرجتُ مسرعًا حتى دون أن ألتفت ورائي..

***

عندما عدت إلى المنزل كان (أشرف) لا يزال نائمًا، وكل فترةٍ أدخل إلى غرفته للاطمئنان عليه، محاولًا تغذيته دون جدوى مرت ساعة وساعتين، ومرت الليلة كأنها عمر بأكمله، وكل دقيقة يعود شكي مرةً أخرى في تنفيذ طلبي.

جلستُ في انتظار (مسوط) حتى غلبني النعاس قبل الثالثة صباحًا على ذلك الكرسي في الصالة، وقمتُ مسرعًا عندما سمعتُ عدة طرقاتٍ على زجاجِ الباب..

فتحته لأجد (مسوط) أمامي وجهًا إلى وجه، هذه المرة بوجهه المقبض الدميم ومن خلفه كان (هرماز) وشخصان آخران بنفس حجمه، ويرتدي الجميع نفس العباءة السوداء، وعلى أيديهم شاهدت نفس الوشم الأسود الذي رأيته بوضوح هذه المرة وبدأ يظهر على يدي بوجودهم بجانبي، لمحتُ بطرف عيني المرأة العوراء العجوز بظهرها المقوس وقدميها التي تجرها بصعوبة هذه المرة وهي تلحق بهم وتدخل إلى المنزل قبل أن أغلق الباب، أفسحتُ لهم الطريق للدخول، وبمجرد دخولهم انقطع التيار الكهربائي بداخل شقتي فقط، وعلى الضوء الآخر من الشارع كنتُ أرى الجميع يتحركون وكانت أرجلهم لا تصل إلى الأرض، إلا العجوز التي جلست في منتصف الغرفة وبدأت في العويل بصوتٍ خفيض جدًا وهي تضربُ بيدها على الأرض على شكل نصف دائرة، وظلت طوال مدة جلوسهم تقوم بذلك لم

تكل ثانية..

تصاعدت الحرارة بالداخل بصورةٍ لم أكن أتصورها وكأن شياطين الأرض احتواها المنزل.

وقف (مسوط) في منتصف الغرفة بينما اقترب مني (هرماز) وهو يربت على كتفي قائلًا بودٍّ مصطنع:

- نحن نعلمُ النكبة التي حدثت لك وأبونا (مسوط) ابن سيدنا الأعظم أتى بنفسه إليك؛ لتعلم أنه لا ملجأ إلا إليه، لينقذكَ من جميع مصائب الدنيا يا أيمن، أنتَ من أتباعه ومن أبنائه المخلصين، أليس كذلك؟

نظرت إلى (هرماز) برعبٍ في هذه اللحظة فقد صور لي أن كان حجمه بدأ في الإزدياد ومن خلفه الرجلين أو الكائنين نفسهم بدأوا في الركوع من خلف عبائته متمتمين طلاسم، لم أفهم منها حرفًا واحدًا؛ فأردفت في خوفٍ وأنا أنظر إلى غرفة نومي أنا و(إلهام) بعد أن لمحت عدة خيالاتٍ تطوف داخل الغرفة من ظلالهم على الزجاج..

قبل أن أجيبه، شعرت أن (إلهام) عادت للحياة مرة أخرى في غرفة نومي فهرعتُ إلى الغرفة لأفتحها لأجد منظر شيب الشعر في رأسي؛ فقد وجدتُ نفس النسوة المتشحات بالسواد اللاتي رأيتهن في بيت (مسوط) وهم يجلسون بجوار جثة امرأة، اقترب أكثر فوجدت تلك جثة (إلهام) مزجازة في كفنٍ أسود، بينما كانت العجوز على رأسهم وهي تعوي كالذئاب، بينما بدأ الآخرون يقلدونها فيما تقوم به حاولت الحديث، لكن يد (هرماز) رجتني فأفقتُ لأجد نفسي لا زلتُ أمامهم في صالة المنزل على

نفس الوضع فأردفتُ في رعب:

- ماذا كنتَ تقول يا سيدي اعذرني؛ فقد رأيتُ الآن ان..ان...

قاطعني هرماز قائلا:

- كنت أقول لك أنت من أتباعه ومن أبنائه المخلصين، أليس كذلك؟

- نعم، وأنا مقدر ذلك، وأنا من أتباعه المخلصين، نعم أقسم لك نعم، ولكن أعيدوها إليّ، وهذه المرة، أنا مستعد لتنفيذ كل أوامر سيدي (مسوط) دون أن أفتح فمي أو حتى يكون لي حق الاعتراض وأقسم ب..

قطعت حديثي عندما وجدت (هرماز) ينظر من خلفي هو و(مسوط) ومن معه وصوت (أشرف) يأتي إليّ وهو يمسك يدي بيده المرتعشة قائلا برعب:

- أبي، من هؤلاء يا أبي؟

أمسكته من كتفيه محاولًا إلهائه على الرغم من ثبات عينيه على عيني (مسوط) فبدأ في الارتعاد أكثر:

- أشرف، ادخل غرفتك الآن وليس لك أي دخل فيما تراه، سأشرح لك الأمر كله بعد انصرافهم، لا تخف يا ولدي كل ذلك لمصلحتنا أقسم لك، عد إلى غرفتكَ وأغلق بابكَ ولا تفتحه أبدًا مهما سمعت، هيا انصرف من فضلك

- لن أدخل إلا بعد أن أفهم ما الذي يدور من حولى .

لم يكن من الأمر بد سوى الاعتراف له على الرغم من آلاف الأسئلة التي ممكن أن يريد إجابتها في هذه اللحظة فأردفت

بهمس:

- هولاء من في استطاعتهم إعادة أمك إلى الحياة يا ولدي.

نظر إليّ (أشرف) كمن ينظر إلى مجنون وهو يتقهقر إلى الخلف عندما بدأ (مسوط) في التقدم ناحيتي بينما أردف (أشرف) مرعوبا:

- هل جننت يا أبي؟الموتُ والحياة بيد الله فقط، اصرف هولاء أنت لا تعلم ما..

قاطعه (مسوط) وهو يقترب منه بينما شلَ (أشرف) في مكانه وهو يستمع إلى (مسوط) والذي أتى صوته داخل عقلنا مرةً واحدة دون أن نسمعه بآذاننا:

- لا، أنا أيضًا أستطيع إعادتها للحياة، أنتَ نفسكَ كنت ميّت وأنا من أحييتكَ أيها الطفل من أجل خاطر والدك الذي توسل إليّ لإعادتكَ مرةً أخرى.

بدأ أشرف في الضحك الهيستري دونما سبب وكأنه يسخر من جميع الموجودين؛ فبدأت أحاول تهدئته خوفا عليه من غضب الموجودين فأزاح يدي بشدةٍ وهو يشير إلى (مسوط)

- أبي، أيًا كان هذا المهرج ومن معه اطردهم من المنزل أو سأطردهم أنا.

كدت أن أبكي وأن أستعطفه متذللًا:

- من فضلك يا (أشرف) ادخل غرفتك، أنت لا تفهم أيشيء، سأتصرف أنا، من فضلك اصمت وادخل غرفتك يا بنيّ أقسم لك في الصباح سيكون كل شيء مختلف..

- أقسم بالله أني لن أتحرك من هنا إلا بعد أن أرى نهاية تلك المسرحية السخيفة

- حسنًا، أخبرني هل تريد رؤية أمكَ مرة أخرى؟

- بالطبع أودُّ أن أراها ألا تغيب عني ثانية واحدة، لكن ذلك مستحيل، لن نراها إلا في أحلامنا يا أبي، أفق يا أبي بالله عليك..

صرخت فيه بعد أن شعرت أن كل شيء سيذهب أدراج الرياح بسبب غبائه:

- اصمت وادخل غرفتك ولا تفتح فمك مرة أخرى.

تركته يهذى وذهبتُ إلى (مسوط) الذي كان واقفًا يشاهدما يحدث وعلى وجهه علاماتُ الغضب فاقتربت منه وأردفت في خشوع:

- دعكَ يا سيدي من هذا الأبله، أنا طوعُ أمرك، اؤمرني بكل ما تطلب وسوف أنفذه لك عن طيب خاطر، لكن أعد (إلهام) للحياة مرة أخرى..

عاد (مسوط) إلى منتصف الغرفة بظهره وبدأ ظهره يستطيل ولتقع عبائته أرضا حتى وصلت رأسه إلى السقف في مشهدٍ مرعب بينما تحولت ملامحه إلى صورةٍ بشعة، لن أستطيع وصفها، وبدأ (هرماز) والشيئان اللذان لم أعرف ما طبيعتهما، شياطين أم إنس أم ماذا وتلك المرأة العوراء بالسجود، نظر بعينيه إليّ وأشار اليّ بيده التي تحولت إلى يدٍ حيوانية ممتلئة بالشعر والمخالب بشكل آثار فزعي بإشارةٍ لم أفهمها إلا بعد أن

صرخ (هرماز) وهو ساجد وينظر إلى:

- يخبركَ أبي أن تسجد أيها الغبي تلك فرصتك لتضع إليه ولائك التام وتقديسك له

نظرت للجميع مندهشا وأنا أردف بإنكار:

- اسجد؟

سمعتُ صوت (مسوط) يدوي كدويّ الرعد في عقلي وهو يصرخ:

- آمرك بالسجود الي..

- لكن يا سيدي..

- أتجادلني هنا والآن؟ أبعد أن قبلت الأرض من تحتي من أجل إعادة ابنك للحياة وأعدناه، والآن جئت تطلب إعادة زوجتك مرة أخرى إليكم، أنا فقط أستطيع ذلك وأنت تعلم فاسجد..

قطع حديثه (أشرف) وهو يهرول ناحيتي وهو يمسكني صارخًا محاولا منعي بعد أن بدأتُ أفكر فعليًا ما سوف أقوم به، كل شيء لا يهم مقابل ألم شمل أسرتي مرة أخرى، وأنا أعلم أن (مسوط) صادق في وعده كما أخبرني من قبل..

- أبي بالله عليك أفق من كابوسك هذا، لن يستطيع إنس أو جن إعادة الموتى للحياة، هل جننت يا رجل؟ أفق يا أبي لا تشرك بالله لا تسجد إلا لله فقط، إياك والكفر، لا تطعه يا أبي إن ما ستقوم به كفر كفر كفر ..

سكت فجأة على صوت ضحكات السخرية من (مسوط) وهو

يردف بشكله الشيطاني:

- كفر؟ الآن تنصحه بألا يكفر؟ أبوك أصبح كافرًا من وقت دخوله إلى عالمي ومع أول خطواته داخل مملكتي ليتوسل إليّ لإعادتك إلى الحياة وهو كافر، أبوك أصبح كافرًا بمجرد إحراقه لكل مصاحف المنزل وتوقف الصلاة وعن ذكر إلهك وهو كافر، أبوك أصبح كافرا بعد تأدبته لصلاة النار سبع ليال كاملة وهو يستنجد بعشيرتنا لتغيير قدره، انظر إليه انظر إلى هيئته الآن وتوسلاته من أجل إحياء أمك مرة أخرى وهو على يقين من قدرتي على ذلك، لأنه رآكَ تقف أمامه وسأفعلها، أتعلم لماذا؟ لأنه أمن بي وأصبخ من أتباعي المخلصين، نعم أنا الوحيد القادر على ذلك..

حاول (أشرف) منعي مرة أخرى ولكن أشاره من يد (مسوط) سقط سريعًا على الأرض فاقدًا للوعي وهرعت إليه لكن صوت (مسوط) داخل عقلي بدأ في مخاطبتي منفردًا:

- لا تخف، سأعيده اليك مرة أخرى بعد التسليم .

- أيّ تسليم يا سيدي إن كنت تقصد نفسي وروحي فأنا خضعتُ لك عن طيب خاطر وسلمت لك كل حياتي وعقلي وجسدي، وموافق على أي شروطٍ تطلبها لكن من فضلك استجب لي..

كان مجرد حديثي إليه يثير فيه الغرور أكثر فيرفع يديه ويعلو في سقف الصالة أكثر فيزيد أتباعه خضوعًا وسجودًا وهم يرتلون كلماتٍ لم أفهمها، شعرت أن آلافًا من النمل يسير على جسدي ويدغدني بعنف، رفعت يدي لانظر لكنه كان ذلك الوشم الأسود الذي بدأ يسري على جلدي ليغطيني تمامًا شعور مؤلم

وخاصة مع تلك ال....

قاطعني صوته في رأسي مرة أخرى بسخرية:

- لا تخف، هو فعلًا شرطي الوحيد، أنا قنوع ولست مثلكم أيها البشر، أعتقد أنك عرفت الآن من أنا؟

- أنت سيدي وسيد أهلي جميعا وسأقوم بعمل كل ما تطلبه ولكن طلبي الوحيد يا سيدي هو..

قاطعني مرةً أخرى:

- أنتَ هنا ليس لك طلبات، أنت البشري عبدي الذليل وسترى مكافأتي لك ولكن اسجد.

وقتها هرعت إليه وأنا أتلاشى النظر إلى وجهه الشيطانيَ ووقتها تحولت الصالة إلى أرض فسيحةٍ جدًا ممتلئة عن آخرها بعشرات بل مئات وربما الآلاف من الأطياف والبشر والجن والمردة، وكلها في خنوع تام للسيد الأعظم الذي يجلس على كرسي من نار، هرعت وسط الحشد و(هرماز) يمسك يدي وأحد يشبهه تمامًا من اليد الأخرى حتى اقتربنا من العرش، وقتها حدث لي شيء غريب جدًا كنت على أتم استعدادٍ لعمل كل ما أمرني به، ولكن قلبي كمن كان يرفض الخضوع له، فكلما كنت أقترب من عرشه زادت دقات قلبي وسال العرق على جبيني وبدأت معه صعوبة تنفسي .

وضعت يدي على قلبي الذي كاد يخرج من مكانه وللحظةٍ كدت أن أنكر كل ما أقوم به لكن صرخة من (مسوط) زلزلت جسدي كله وكأنها اخترقته وهو يصرخ مشيرا إليّ غاضبًا

- اسجد

وسجدت...

كنت أختنق حرفيا أثناء سجودي، كنت أشعر بألم في جميع أنحاء جسدي، كل عظمةٍ بجسدي كنت أشعر بها وكأن كل ما لديّ يرفض ما أقوم به، زادت سرعة دقات قلبي بصورةٍ مفزعة واسودت الدنيا بوجهي، شعرت أن آلاف الأطياف تدور من حولي سعيدة بسجودي، كنت آخر ما رأيته هو هيئة (هرماز) وتلك المرأة الملعونة ذات العين الواحدة بالقرب مني وبعدها غبتُ تمامًا عن الوعي.

تذكر أنك حملت رواية راجيم ما تتلو الشياطين حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك .

***

الفصل الرابع

ما تتلو الشياطين

- بابا، يا بابا.

أفقتُ مفزوعًا على صوت (أشرف)كالعادة الذي أتى إليّ من الصالة صارخا، تلتفت حولي لأجد ضوء الشمس يغمر غرفة نومي، حاولتُ النداء عليه لكن صوتي خرج محشرجًا، مع ألمٍ شديد في ذراعي اليسرى، جلستُ دقيقة أخرى على السرير

متذكرًا أحداث ذلك الكابوس المرعب الذي رأيته في أحلامي وأثر عليّ لدرجة أني لا زلت أتنفس بصعوبة.

نظرت إلى ساعة الحائط فوجدتها تشير إلى السابعة والنصف صباحًا لكن للأسف نظرة مني إلى النتيجة المعلقة على الحائط فوجدتها في نفس اليوم الأسود الأربعاء أول إبريل.

وقبل أن أنادي على (أشرف) وجدت (إلهام) تدخل إلى غرفتي وهو في أشدّ حالات الغضب كما رأيتها ثلاث مرات إلى الآن وهي تصرخ:

- أخبر (أشرف) يا (أيمن) أنه لن يخرج ولن يسافر مع أصحابه وخاصة أن لديّ هاجس وأنتما تعلمان جيدًا ذلك الهاجس الذي يجعل قلبي منقبضا و...

كنتُ انظر لها غير مصدقٍ لما يحدث أمامي، اغرورقت عيني بالدموع وأنا أرى أسرتي وقد اجتمعت مرة أخرى استمرت في الحديث بنفس السيناريو الذي رأيته من قبل وقبل أن أتحدث دخل (أشرف) صارخًا بدوره:

- أبي، من فضلك أخبر أمي أني تعديت مرحلة الطفولة من زمن وهي بعد كل هذه السنوات لا تزال تملي عليّ تصرفاتي افعل هذا ولا تفعل هذا، لقد أصبحتُ رجلًا يا والدى ، أخبرها بالله عليك .

تركتهم يتحدثوا ويغضبوا ويلومون بعضهم وأنا في أشد حالات السعادة مما أراه أمامي، قمت أحتضنهم لكن فجأة لم تقوَ قدماي على حملي ودارت بي الأرض وشعرت بالدوار فهرع إليّ (أشرف) ليسندني حتى استلقيتُ على السرير وسط

نظراتهم القلقة، فاقتربت (إلهام) وهي تمسك يدي مردفةً بقلقٍ واضح:

- ما بك يا أيمن؟

بدأ صوتي واهنًا، يخرج بصعوبة وأنا أشعر بضيق في صدري مفاجئ:

- أنصتا إليّ أنتما الإثنان، أقسم لكم أني لستُ على ما يرام، إنّ انقباضَ قلبكَ في محله يا (إلهام)، فلا تذهبي إلى العمل وأنتَ يا (أشرف) أنصت إليّ ليس هناك أيّ رحلاتٍ اليوم، لن تتركاني إلى حالِ سبيلكم..

قاطعني (أشرف) محتدًا كالمرة السابقة ولكني فعلا في تلك المرة لم أكن أكذب كسابقتها بل بالفعل شعرت أني أختنق أو مبادئ ذبحةٍ صدرية، ربما مما حدث لي بسبب مسوط والذي لم يقوَ قلبي على السجود لغير الله فأصابه ما أصابه:

- أقسم لكما أني أشعر أني في النزع الأخير لن تتركاني وحيدًا في المنزل وأنا أشعر أني أموت ابقوا بجانبي، أني أموت..

لم أقوَ وقتها على الحديث، كنتُ أشعر فعلًا أن روحي بدأت في الانسحاب مني، هل تعملون إحساس سحبِ الروح البطيء عندما يبدأ الموتى في الشعور أن أرواحهم تنسحب تدريجيا من أجسادهم رويدًا رويدًا حتى تخرج إلى بارئها؟ قدماي لم أكن أشعر بهما وبدأ ضباب كثيف يتكون أمامي لتزيد الغشاوةُ على عيني ويختفي (أشرف) و(إلهام) من أمامي تمامًا رغم أني كنت أسمع حديث (أشرف) في الهاتف مع الطبيب وبكاء (إلهام) ومحاولتها إفاقتي دون حتى استطاعتي الرد عليها، وقتها خطر

في عقلي أيكون إعادتها للحياة أو حتى عودتي إلى نفس ذلك اليوم المشئوم كل ذلك سيكون مقابل تضحيتي هذه المرة ودور الموت قادم عليّ؟ أأكون ضحيت بنفسي مقابل حياة (إلهام) و(أشرف)؟ حتى وإن كان ذلك فأنا أستقبل الموت عن طيب خاطرٍ على الرغم من أني سأفتقدهم جدًا ولكن ياترى ماذا سيكون مصيري؟ وقتها بدأت فعلا أشعر بالندم على كل ما قمت به تشبثي بتلك المنطقة الرمادية ما بين الموت والحياة، محاولة عدم الإقتناع بما كُتِب لي والدخول في صراعاتٍ شيطانية، وقتها تمنيتُ لو كنتُ رضيتُ بفكرة القضاء والقدر، الرضاء بما قسمه الله لي من خير وشر، ومعرفة حكمة الله وراء كل أمر، وبدلًا من ذلك اتبعتُ ما تتلو الشياطين وما تخدع به بنى آدم واستمعت لكل ما أمروني به وفي الآخر اسجد فسجدت، أيكون مصيري إلى النار مباشرة؟ حتى دون الوقوف أمام الله سبحانه وتعالى ومحاولة توبتي، ولكن عن أي توبةٍ أتحدث، هل أهذي؟ كان العمر أمامي متسعًا للاستغفار والتوبة والرضاء بالأمر الواقع لكني تمردت على كل شيء، النار وإلى النار فقط خالدًا مخلدًا فيها وأنا أعلم مصيري جيدًا، وعلى الرغم من خوفي من هذه الفكرة إلا أن ما أثار رعبي أكثر عندما وجدت (مسوط) في سماء الغرفة ومعه (هرماز) وعشرات من التابعين بذلك الزيّ الأسود والوشم الأسود المغطي وجوههم، بينما بدأت الضحكات الساخرة تطوف حولي من الجميع فرحين بالطبع لما سيؤول إليه مصيري، شفقت على نفسي من المصير الأسود الذي ينتظرني، أقسم لكم أني رأيت مقعدي من النار، وعادت إليّ نفس الفكرة حتى لو تم محاسبتي على أفعالي الآثمة ومقابلتي مع الله، ماذا سأقول له؟ أأخبره وهو يعلم أني

سجدت للشيطان؟ أني سجدت لمن عصى الرحمن، تبًا لي؟ هل تذكرت الله الآن؟ وأنا أصارع سكرات الموت؟ وحاولت وقتها أن أصرخ بكل قوتي وأنا أرى ذلك الجمع الساخر من حولي وأقول حتى كلمة يارب أو أتوب إليه أو أستغفره، لكن كلما عزمت على ذلك تخرج مني حشرجةً تشبه ذلك الأنين اللعين الذي كنت أسمعه في بيت الملعون (مسوط)

حاولت تذكر أي اسم من أسماء الله الحسني يشفع لي لم أستطِع بل حاولت انطق بالشهادة فوجدتنى لا أتذكرها بالطبع، أقسم لكم أني لم اتذكر ما كنا نقوله في الشهادة كل ذلك كان ينبانى بالطريق الذي في انتظارى، بدأت الغرفة تضيق من حولي بكل تلك الاطياف السوداء نتنه الرائحه بشعه المنظر حتى اختفي مسوط من بينهم وبدأ السواد يطغى على كل الاشياء، اغمضت عيني في يأس ووقتها كان هناك صرخات بجوار اذنى جعلتني افيق مرة أخرى لأرى مما هو أبشع من رؤيتى لمسوط واعوانه،

وجدت نفسي وقد أمسكَ بي من يدي طيفان، لن أستطيع وصف هيئاتهم لكم مهما بلغ بي الدقة أو الجرأة، كل ما أتذكره هو عيني التي ظلت مثبتةً على جسدي في سماء الغرفة وما لبثوا أن أخذوني معهم ليصعدوا بي إلى السماء...

هل، هل، متَ إذن؟

***

ظلام تام، جو خانق، رائحة تكتم الأنفاس، طعم مر في حلقي، كان ذلك كل ما أشعره به بمجرد إفاقتي بعد عدة ساعاتٍ على ما يبدو، حاولت أن أتذكر ما حدث أو من قيدني كل ما أتذكره

هو صراخهم من حولي عندما كنت في مبادئ غيبوبة محاولين نجدتي، حاولت تذكر ما تلا ذلك الساعات الماضي لم أذكر أي شيء، لم أشعر بالزمن إلا الآن، حاولت رفع يدي أمام عيني لكني لم أستطِع لأني كنتُ مقيد بها إلى وسطي...

بدأت في النداء على (أشرف) أو (إلهام) لكن لم يخرج مني أي صوت، مكان مغلق مجهول كئيب لا يدخله أيّ ذرة نور أو حتى هواء مع أنفاسي التي بدأت في الاختناق تدريجيًا وخاصةً مع تلك الرائحة, بدأت في محاولة الجلوس في مكاني هذا وحاولت إخراج يدي من ذلك القيد حتى نجحت قليلًا في الجلوس والاستناد إلى حائط الغرفة من خلفي، بعد عدة دقائق شعرتُ أن هناك شخصًا ما يحاول الدخول إليّ وخاصةً مع تلك الدقات الخفيفة التي كنتُ أسمعها بوضوح، ثم محاولته فتح بابٍ حديديّ كنت أسمعه يحاول كسره بوضوح..

بدأت انفراجة في الباب الحديديّ المغلق وعلى أثرها علمت أين أنا وخاصةً مع وجود تلك الأجساد البالية من حولي.

-اللعنة، أنا داخل قبر-

وقتها تذكرت كل شيء (مسوط) وأعوانه، روحي التي انسحبت مني، ظنونهم أني متّ وقاموا بدفني حيًا دون حتى التأكد من موتي أو ربما أقنعهم الملعون أني متّ، ولكن مع ذلك الشخص الذي يحاول فتح بابه فيبدوا معه أنهم تدراكوا خطئهم وأخيرًا أتى أحدهم لإنقاذي، وقتها لم تمر دقيقتين حتى شللت تمامًا عندما وجدت ذلك المتلصص على القبر، فكان آخر شخصٍ أتوقع مجئيه، لن أستطيع شرحها لكم مهما حاولت؛ فقد كان هذا الشخص الذي كان واضحًا أمامي جدًا هو، أنا

نعم أقسم لكم أنه كان أنا، الفرق بيننا فقط أني يبدو أني في عالم الأموات وهو في عالم الأحياء، لكني لم أمت، أقسم لكم لم أمت، حاولت مناداته فلم يخرج مني إلا صوتُ أنينٍ وحشرجة موتى، توقف الزمن بي وقتها وطافت بي فكرة بعيدة جدًا بنفس الأحداث والمكان والرائحة والقبر، هل تذكرتم؟ هذا الموقف حدث لي تمامًا عندما كنت أحاول كسر قبر (أشرف) ودخوله لمحاولة وضع السائل في فمه، اللعنة كل ذلك يحدث أمامي الآن ولكني الآن في الجانب الآخر مما رأيته من قبل وها أنا مرعوب من نفسي انظر إلى نفسي بنفس النظرة التي كنت انظرها من قبل عندما كنت ميتًا .

شعور لا تسطيع كلمات وصفه، وفي عز ألمي استطعتُ أن أنطق أخيرًا بكلمة يارب..

توقف كل شيء، أقسم لكم عذابي الأليم توقف وكأني لم يدر بخلدي أبدًا أن أصرخ طالبا لنجدته، هدأت صرخات المعذبين من أمثالي، اختفت النار، مجرد ضبابٍ كثيف يحيط بي من كل جانب يحجب الرؤية عن كل شيءٍ حولي ويبدأ في الاختفاء تدريجيا، ومن بعيد بدأت أسمع شخصًا ما بصوتٍ غير مفهوم يتحدث بلغةٍ غير مفهومة؛ فبدأت أصيح عليه لنجدتي لكن للأسف كل ما كان يصدر مني هي تلك الحشرجة اللعينة، وبدأ صوته يتضح بعده فقد كانت كلمات سمعتها جيدًا..

- لا تخف نحن بجوارك، لا تخف سننجدك..

أخيرًا شعر شخص ما بما يدور بداخل القبر وأتى لإنقاذي أنا و(أشرف)، بدأت في حمد الله كثيرًا، ورويدًا رويدًا بدأت الرؤية تبدو أفضل والضباب ينسحب من أمام عيني وهو مستمر في

الصياح خارجًا وشخص آخر يردد من خلف بصوتٍ سمعته بوضوح:

- الحمد لله هو بخير.

بدأت الأشياء تتضح ببطءٍ من حولي ومن بعيد جدًا لاحضوء خفيف في باب القبر ليقترب مني ببطء أولا ويغشي عيني فجأة، تلته عدة ربتات خفيفة على وجهي لإفاقتي على ما يبدو بدأت أفتح عيني وأغلقها سريعًا متلاشيًا ذلك الضوء الشديد فوضعتُ يدي على وجهي؛ فأزاح يدي وبدأ الشخص هذا في فتح عيني عنوةً ناظرًا إليها رغمًا عني سمعته يردد:

- الحمد لله، هو أفضل كثيرًاا الآن بسبب تلك الحقنة المهدئة التي أعطيتها له، ستبطء الأعراض قليلا، وفي الصباح أرجو أن تحضره إلى العيادة يا أستاذ (ياسر) فشقيقك تعرض إلى هزالٍ شديد وضعفٍ عام، ولابد من متابعته صحيًا من فضلك وخاصة مع موضوع تعب قلبه الجديد عليه.

ياسر؟ أيكون شقيقي هو سبب إنقاذي من هذا المصير المؤلم؟ وكيف علم كل ذلك وبل وكيف وصل إلى القبر؟ نظرت حولي فوجدت نفسي ممددًا على فراشي في غرفتي و(ياسر) الذي كان أمامي ينظر إليّ بقلق وبجواره شخص ما يبدو أنه طبيب من تلك الروشتة التي يكتبها ل(ياسر)، وما لبث أن قام بتوصيل الطبيب إلى الخارج، كنتُ أظهر بذهولٍ لكل ما يحيط بي وكان بالطبع لديّ عشرات التساؤلات، هل وجدوني في القبر وأعادوني إلى المنزل؟ أم أنا لم أمت من الأصل؟ وكل ذلك كان كابوسا لعينًا من آثار الملعون (مسوط) ولم أبرح منزلي؟ وإن كان ذلك فأين (أشرف) و(إلهام) في هذالوقت؟ أيكون للأسف

نجحوا في إنقاذي أو إعادة الزمن مرة أخرى، لأفقد أسرتي لأحيا بدونهم ما تبقى لي من عمر؟

نظرت إلى جسدى ويدي فلم أجد أيّ أثر لذلك الوشم الأسود الملعون فرفعت نظري إلى السماء وقبلت يدي شاكرًا ورددت في هدوء وأنا قلبي مشبع بالإيمان بصورةٍ لم أعهدها من قبل قائلًا بهمس:

- سامحنى يارب، أنا راضٍ بقضائك وقدرك ولن أغضبك ما حييت إنا لله وأنا إليه راجعون، إنا لله وإنا إليه راجعون، رضيت يارب رضيت.

أحسست براحةٍ غريبة وإيمانٍ لمس قلبي لأول مرة منذفترة طويلة جدًا، سمعت في الخارج صوت (ياسر) وهو يسعل قادمًا وهو يدفع كرسي معدني أمامه ليدخل به إلى الغرفة، نظرتُ إلى تلك العجوز الجالسة فوقه وهي تبتسم في حنانٍ بينما اغروقت عيناها بالدموع وهي تنظر إليّ،.مهلا أنا أعلم صاحبة هذا الوجه، (إلهام)

نعم (إلهام) زوجتي لكني اندهشت لأنها كانت وقد بلغ الكبر بها عتيًا وملأ الشعر الأبيض رأسها فاقتربت من الثمانين عامًا مع تلك التجاعيد الممتلئ بها وجهها، مع تلك النظارة الطبية العتيقة التي دومًا كانت ترتديها أمي.

قمتُ مفزوعًا من سريري وأنا أقبل رأسها في حنان مردفًا:

- إلهام، ما أصابك يا حبيبتى ما الذي حدث لكِ كيف مر بكِ العمر هكذا؟

نظرت إليّ عدة ثوانٍ وبدأت في البكاء وهي تقبل يدي بدورها

مردفة:

- حبيبي يا أشرف لقد اشتقت إليك.

نظرتْ ل(ياسر) مندهشا وأشرتْ إليها قائلا:

- لست أفهم ما الذي يدور حولي، لماذا تناديني بأشرف؟ وما الذي حدث لإلهام كيف مر بها العمر هكذا؟ لما تحمقلان فيّ، أخبراني ما الذي حدث؟ وأين أشرف؟ مات أليس كذلك؟ أخبرني يا ياسر أنا اقوى عن ذي قبل وارتضيت كل ما قسمه الله خيره وشره، هيا أخبرني بالله عليك.

لم يرد (ياسر) بل ربت على كتفي بحنان شديد، فجلست على الأرض مقبلا يد (إلهام) مرة أخرى قائلا:

- ليس مهمًا ما حدث سابقًا، المهم أننا سنكون سويًا وسنجد حلا للعمر الذي مضى بك حتى وإن سألت (هرماز) هذه المرة، لا تخافي أنا بجوارك ولن أتركك أبدًا أبدًا.

شعرت بيد (ياسر) تمسك يدي وأجلسني على الكرسي المجاور للسرير مناولني كوبًا من الماء قائلا:

- اجلس فقط واسترخي وستفهم كل شيء، اهدأ فقط واسمعني.

تناولت كوب الماء وشربته وأنا انظر إلى تلك النتيجة الملعونة التي كانت تشير إلى الأربعاء الأول من إبريل، ياربي التضحية ستكون على من هذه المرة؟

تمتمت العجوز وهي لازالت تبكي وهي تنظر تارةً إليّ وتارةً إلى (ياسر) وتردف:

- يا حبيبي يا ولدي، يا ليتنى كنت أنا عوضًا عنك، أنا السبب، أنا السبب في كل ما أنت فيه الآن، أنا المتسببة فيه.

اندهشت جدًا من كلمة يا ولدي تلك التي تتفوه بها زوجتي بدأت في النظر إليهم بدوري وكأني انظر إلى اثنين مجانين وبدأت في التوتر فعليا، وشعرت أن في الأمر مصيبةً ما أو خدعة ما أعدها الملعون (مسوط) وأعوانه؛ فصرخت فيهم:

- كفا أنتما عن هذه الألعاب أين إلهام الحقيقة؟ أنتم لستم سوى جن وشياطين من أتباع الملعون، أليس كذلك؟ أين زوجتي وأشرف أين هم؟ أين ذهبتم بهم، إن لم تخبراني سأحرقكم الآن.

وشرعت أقرأ في آية الكرسي ظنا مني أنهم سيحترقون فبدأ ياسر ينظر إليّ في شفقة، بينما وضعت العجوز رأسها بين يديها وبدأت في النحيب واقترب مني وعانقني وأنا أدفعه بعيدًا فأردف:

- اهدأ يا حبيبي وسأفهمك كل شي، انظر لم نحترق بالقرآن، اهدأ بالله عليك

- حسنًا، أخبرني ما الذي لديك قبل أن أكمل إحراقك؟

- أنا ياسر شقيقك الأصغر ولست جنًا أو شيطانًا أقسم لك، وتلك المرأة العجوز اسمها إلهام وهي..

قاطعته مسرعا:

- تلك ليست إلهام زوجتي هي أصغر منها بخمسين عامًا على الأقل وأنا...

قاطعني بدوره مشفقا:

- يا حبيبي إلهام ليست زوجتك، إلهام هي أمك..

نظرت إليهم في ذهولٍ أولا ثم ما لبثت أن انفجرت في الضحك وأنا أردف:

- أمي؟ أنتم تدفعونني إلى الجنون أليس كذلك؟ هذهإلهام زوجتي ولا أدري ما الذي حدث لها، أو أيّ لعبةٍ قذرة تقومون بها عليّ، هيا هيا أكمل كذبتك وأخبرني أنكَ أشرف ابني..

تنهد (ياسر) وهو ينظر إلى العجوز مردفًا وهو يكاد يبكي هو الآخر:

- لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، لله الأمر من قبلومن بعد، يا حبيبي أنت اسمك أشرف، أنت أشرف أقسم لك ولا يوجد من الأصل أيمن، أنتَ ليس لك أيّ أولاد، بل أنت لست متزوجًا من الأصل، اهدأ وتذكر بالله عليك..

تهاويتُ على الكرسيّ مرة أخرى وأصبحت غير مدركٍتمامًا ما الذي يدور حولي، شككتُ في كل شي حتى فيهم وفي نفسي وفي محاولةٍ يائسه مني بدأت أحاول الدفاع عن نفسي قائلا بريبة:

- اسمي أيمن ولست أشرف، أشرف ابني وأنا متزوج من تلك المرأة العجوز..

أخرج ياسر عدة أوراق من جيبه وأطلعني عليها قائلا:

- حسنًا، من ذلك الذي في البطاقة،؟انظر إلى جواز السفر صورة من تلك واسم من فيه؟

أخذتُ منه الأوراق مسرعًا وأنا انظر فيها وللأسف وجدتأن

كل الأوراق تشير إلى كوني (أشرف) وأعزب، عمري ٤٥ عاما، دارت بي الأرض وكنت أحاول أن أقاوم ما بين الواقع والخيال دون أن أعلم أين أنا وسطهم فلم ينجدني إلا صوت (ياسر) قائلا :

- يا شقيقي كلنا يمر علينا أوقات أو ظروف نفسية لأيّ سبب كان، وأنت من ضمن الأشخاص الذين يتأثرون نفسيًا بأقل شيء، ولذلك أنت تتعالج نفسيا منذ خمس سنوات تحديدًا، عقلك يا (أشرف) صور لك أنكَ شخص آخر، ومنذ شهرين حدثت مشادة معنا لا أتذكر ما السبب، لأنك كنت تثور علينا من أتفه الأسباب وتركت البيت ولم نعثر لك على أي أثر، ويعلم الله بحثت عنك في عشرات المستشفيات والأقسام والمشارح دون جدوى،.حتى هاتفك كان دومًا مغلق، وفي الأوقات التي كنت تفتحه بها كنت أحاول الاتصال بك فلم تجِب أبدًا إلا مرةً واحدة وقتها أخبرتك بضرورة عودتك لأن أمك تريد رؤيتك لأن حالتها تدهورت بسبب ابتعادك عنها وأخبرتني أنها تريد أن تخبرك بأشياء أنت فقط، لكنك لم تسمح لي بإكمال الاتصال أبدًا، ومع ذلك استمريت في البحث عنك ولم يخطر لنا ببال أبدًا، أنك تكون أقمت في شقة والدينا القديمة في السيدة نفيسة، إلا عندما أخبرني أحد الجيران أنه رآك في صلاة العشاء وحاول مكالمتك فصددته ولم يتصل بي إلا من يومين فقط، عندما أخبرني أنه يسمع ندائك ليلًا بكلماتٍ غريبة وأصوات صراخ تتصاعد من الشقة وحاول عدة مرات آخرها بالأمس طرق الباب لكنك لم تفتح له أبدًا أبدًا، ووقتها أصرت أمي أنها لابد أن تحضر معي حتى تحاول إفهامك كل شيء على الرغم من مرضها وصعوبة تحركها فانتظرت حتى أخذت رأي طبيب

وأحضرتها معي، حاولت فتح الباب دون جدوى وعندما سمعنا صراخك صباح اليوم كسرت الباب وأول ما دخلت إليك وجدتك مغشيًا عليك في الصالة ولا تستطيع أن تتنفس فاتصلت سريعا بالطبيب المعالج لحالتك فأتى على الفور محاولا إفاقتك وأخبرني أنك...

قمتُ مفزوعًا دون أن يكمل فتحت هاتفي، بدأت أبحث عن أيَ شيء يدل على وجود (إلهام) أو (أشرف)، لم أعثر على أي شي كلها صور لي مع شقيقي وأمي بنفس هيئتها صور (أشرف) التي كنت أحدثكم أنه صورة مني، وجدت فعلا تلك صوري وليست صور له، عشرات الصور لا يوجد أي أثر للوهم الذي كان في رأسي، خرجت مسرعًا إلى غرفة (أشرف) في محاولة أخيرة، لم أجد غرفة من الأصل، وقتها بدأت في البكاء فاقتربت مني أمي بكرسيها المتحرك وحاولت عناقي وبدأت في النحيب مرة أخرى، وبدأت الذاكرة تعود إليَ شيئا فشيئا، أمسكت يديها أقبلها معتذرًا لها على كل ما سببته في تلك الأيام من آلام نفسية طوال الفترة التي غبت فيها عن المنزل مما زاد من مرضها أكثر فأكثر، بدا صوتها مرتعشا وهي تربت على رأسي وتردف:

- سامحنى يا أشرف، يا حبيبي أنا السبب في كل ما يحدث لك أنا السبب لو كنت أعلم فقط، لو كنت أعلم يا ربي، حسبي الله ونعم الوكيل في كل من آذانا يا ولدي.

- بل أنت اللي عليك مسامحتي يا أمي ما دخلك أنت بكل الأوهام والشياطين والألم الذي مر عليَ في تجربة إن قصصتها عليك لن تصدقيها أبدًا.

تدخل (ياسر) مقاطعا:

- دعها تقص عليك كل شي تعالى ساعدنى لأنقلها إلى الغرفة الكبيرة وأتركها تخبرك بكل شيء، سأترككم لأبتاع بعض ما يلزمها من أدوية فقط نسيناها وطعام لنا وسجائر.

و فعلا حملناها ونامت في السرير وتركنا ياسر لينزل، حاولت الخروج لأدعها ترتاح قليلا لكنها أمسكت بيدي مردفة مرة أخرى:

- سامحنى يا ولدي، أقسم لك لو كنت اعرف أن هذا سيكون مصيرك لكنت قتلتك وقتلت نفسي، لو أعلم مدى العذاب الذي سنراه طول العمر والله ما كنت ذهبت ولا فعلت أي شي.

بدأت أنا في التوتر بعد سماعي تلك الكلمات فهمست في قلق

- قتلي وقتل نفسك؟ ماذا تقولين؟ لست أفهم شيئا يا أمي، كنت ذهبتي إلى أين أو فعلت ماذا؟

- عدني قبل أن أقص عليك أي شيء، إن هناك شيئان عليك فعلهم مهما حدث

- حاضر سأعدك.

- الأولى، أن تسامحني على ما قمت به فكل ما فعلته كانرغما عني والثاني، حذاري أن تبيع نفسك للشيطان مهما حدث، بدايتها ستكون سهلة أما الآخر فمصيرك سيكون إلى النار يا ولدي.

- مسامحك والله يا أمي ولتعلمي أني أعلم تلك البداية ولو أخبرتك أني رأيت نهايتها لن تصدقيني ولكني أعدكِ، أخبريني

بكل ما تودين أن تقصيه، المهم أن أفهم بالله عليك أنت لا تعلمين ما حدث لي أو ما يهيأ لي أنه حدث، لن تصدقي أقسم لك

- والله يا بني لو أنا اللي قصصت عليك ما رأيته وفعلته لن تصدقني أبدًا.

تركت يدي وأسندت رأسها على الحافة الخشبية للسرير، تنهدت تنهيدةً كبيرة فقد كان يبدو أن ما ستقصه ستزيح به جبلًا على صدرها وأنه آن الأوانُ أخيرًا لتقص شيئًا لم يعلمه أحد أبدًا

رفعت وجهها إلى سقف الحجرة وبدأت تحكي..

تذكر أنك حملت رواية راجيم ما تتلو الشياطين حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك

***

الفصل الخامس

العوراء

- منذ أكثر من خمسين عاما كان زواجي من والدك، في أحد القرى في محافظة المنوفية ثم رحلنا إلى القاهرة بعد عدة شهور حيث مقر عمله، قبل أن يتنقل للأقصر وسكنا هنا في تلك الشقة التي عشنا فيها أجمل وأسوأ لحظات حياتنا سويًا منذ أن وطأت أقدامنا هنا، كان دخل والدك يكاد يكفينا ولكننا كنا نحمد

الله يوميا على نعمة الصحة والستر والمال الحلال والخير والبركة التي كانت تملأ المنزل، كنا ندعو الله ليلا نهارا أن يرزقنا بالذرية الصالحة حتى تكتمل سعادتنا وصبرنا كثيرا ونحن ننتظر أول مولود لنا لكن دون أيّ جدوى، لم يكن العلم أو الطب متقدم كهذه الأيام بل كثرت الوصفات الطبية والدايات والحكيمات وعلى الرغم من ذلك كان والدك يصر على الكشف عند أكبر الأطباء في هذا الوقت، بل كان كثيرا ما يقترض حتى نعرف رأي كل طبيب في حالتي، وكانت فكرة أن تمر الأعوام وأكبر في السن ومعها يصبح الأمل يكاد يكون مستحيلا بإجماع أشهر الأطباء، كانت ترعبني

الغريب في الأمر أنه لم يكن هناك أي موانع للإنجاب، لا مني ولا من والدك عليه رحمة الله لكنه أمر الله الذي لا راد لقضائه، حتى سلمنا أمرنا إلى الله حتى يأذن إن كان لنا نصيب في الذرية ويمر العام بعده عام حتى صارا اثنين وتلاتة وخمسة وعشرة أعوام، وقتها كان والدك بدأ في التفكير مرة أخرى في الذرية وبدأ في التلميح لي أنه يتمنى رؤية أولاد له قبل أن يموت وعدنا ثانية للذهاب إلى الأطباء مرة أخرى، وصفات وأدوية دون أي جدوى، أموال هنا وهناك دون أي فائدة والجميع مندهش من عدم مقدرتنا على الإنجاب لدرجة أنه أخبرنا أحدهم أن علينا الانفصال، فوقتها سيستطيع كل أحد منا أن يكون له ذريةً بمفرده، لكني رفضت أن أنفصل عن والدك وله مطلق الحرية في الزواج من أخرى حتى تأتي له بالولد الذي طالما حلم به..

وكل ليلة يا ولدي كنت أبكي دمًا بدلا من الدموع وأنا أتحسر على والدك الذي شجعه أهله على الزواج وبدأوا فعليا في

البحث له عن عروس وبدأ في تلك الفترات أن يهجرني، ويقيم في بلده حتى في العطلات التي كان يحصل عليها في الشهر فأغلبها كان يقضيها في عمله بعيدا وانفصل تقريبا عني وكان يمر الشهر بالكامل لا أراه، كل ما يفعله هو إرسال النقود لي عن طريق خالك عمر عليه رحمة الله الذي كان يعمل معه في نفس المكان، فكنت أعلم أخباره عن طريقه وكلما سافر والدك إلى بلدته فى عطلته الشهرية كان عمر يقضي بعض الأيام عندى هو الآخر محاولا التخفيف عما أمر به من أزماتٍ نفسية بسبب بعد والدك عني، كانت أيام مرت عليَ كأصعب ما يكون ولم يكن في استطاعتي أيُّ شيءٍ سوى الجلوس وانتظار أمر الله، وبناء على نصيحة أمي ذهبت في كل مكان فيه بصيص من الأمل أتعلم حتى الشيوخ والقساوسة في تلك الفترة كنت أدور عليهم دون جدوى حتى بحت بسري إلى جارتنا أم الخير أو خيريه كما تحب أن يطلق عليها، اللعنة عليها أينما تكون، سبحان الله اسمها أم الخير وهي أساس كل المصائب التي مرت علي،.كان المفترض يكون اسمها أم الشر أم الشيطان أم النحس أم البوم يا ولدي، عندما أخبرتها بكلَ شيء، ابتسمت في خبث وأخبرتني أن حل مشكلتي عندها أو تعلم تحديدًا من لديه الحل، لم أصدقها في بداية الأمر حتى أخبرتني عن عم مصباح ذلك الشيخ الطيب المبروك حلال العقد والمشاكل وخاصة أن كثير من النساء المشابهين لحالتي تم شفائهم على يديه والجميع أنجب وأنها في القريب ستأخذني لزيارةٍ قريبة لها أنت كنت لا أصدقها حتى أرى بعيني بركات العم مصباح...

ولأن السمع غير الروية يا ولدي قررت أن أذهب مع خيرية لرؤية كوثر ابنة عمها، وسبحان الله كانت الفتاة تمر بنفس

مشكلتي تمامًا لكنها لم تصبر العشر سنوات بل فعلت ذلك بعد أن مرت سنتين على عدم إنجابها، ذهبت العام الماضي مع خيرية لزيارة الشيخ المبروك كما أطلقت عليه وسرعان ما حملت وهي الآن لديها بنتين توأم..

جلست مع كوثر ساعة أو أكثر وأجابتني على كل تساؤلاتي من أول خطوة خطوتها إلى مكان الرجل حتى عندما حدث الحمل بعدما عجز الأطباء عن مداواتها وإخبارها باستحالة ذلك، إلا أن بركات الشيخ كانت فوق مشيئتهم، وعلى الرغم من أنها كانت تدفعني للذهاب إليه هي الأخرى، حاولت على قدر استطاعتها بثّ الطمأنينة داخلي لكني كنت أشعر أن الأمر فيه شيء ما مريب لا أرتاح له وليس بهذه السهولة التي تتفوه لي بها فكنت متأكدة أنها تقص عليّ نصف الحقيقة فقط وخاصة عندما شعرت أنها تتلاشى النظر إلى عيني مباشرة وهي تقص علىّ الموضوع، وقتها علمت أنها لديها ما تخفيه ولكن من داخلي بدأ هذا السؤال يلح عليّ بجنون أيكون هذا الشيخ هو من لديه الحل لتحقيق حلم الإنجاب لي؟ أيكون لديه الحل فيما فشل كل الأطباء فيه؟ ولم لا وأمامي حالة تشبه حالتي تمامًا، وماذا سأخسر لو جربت؟ لن يصبح هناك شيئًا أسوأ مما أنا فيه الآن.

ركبنا أوتوبيس حتى مرفأ النيل ومنه ركبنا معدية لتعبر بنا إلى الجهة الأخرى من النهر، وهناك كان في انتظارنا مركب عتيق متهالك يقوده مراكبي عجوز يخفي ملامحه بغطاء لا يظهر منه سوى عين واحدة ومن الواضح أنه فقد إحدى عينيه وسار بنا بهدوء دون أن أي كلمة حتى وصلنا وبمجرد وصولنا إلى القرية التي كانت تبعد قرابة ربع ساعة انقبض قلبي وكنت ألح عليها بضرورة العودة، بلدة كئيبة يا ولدي أشخاصها ذوي ملامح

مرعبة يرتدون جميعا اللبس الأسود لم يظهر لي وجوههم بوضوح، استمررنا في السير وهي تمسك يدي وأنا أقدم رجلا وأآخر الثانية كمن يساق إلى الإعدام بنفسه، راودتني نفسي كثيرًا على الهرب لكن كيف؟

توقفنا أخيرًا أمام أحد البيوت القديمة كعادة أغلب المنازل المقبضة هنا، ارتعدت يا ولدي حرفيا وأنا أتطلع إلى تلك الجمجمة البشرية المعلقة على رأس الباب، أشرت لخيرية بالنظر إلى الجمجمة فلكزتني في يدي أن ألتزم الصمت، بعد عدة طرقات على الباب فتحت لنا سيدة في منتصف العمر ترتدي شالًا أسود يخفي وجهها ورفيعة بشكلٍ ملحوظ جدًا، لم يظهر منها أي شيء حتى عيناها تفحصتني بصورةٍ أرعبتني من خلف الشال عندما اقتربت بوجهها ناحيتي قبل أن تسمح لنا بالدخول بينما كانت خيرية في هذا الوقت منكسة رأسها في أدب، بعد دقيقة أشارت لنا بالدخول إلى المنزل، بعد أن أزاحت ستارة سوداء سميكة تغطي الباب من الداخل

وبمجرد دخولي يا ولدي بدأت في الارتعاد دونما سبب،المكان مقبض بطريقة بشعة ورائحة كريهة لا يطيقها بشر وعلى الرغم من أن الشمس لم تكن قد غربت بعد، إلا أن البيت كان مغطى بقماشٍ أسود على كل الفتحات، أقسم لك كأنني دخلت إلى قبر، أجلستنا السيدة على كنبة خشبية، وأمرتنا بخلع الأخذية، وما لبثت أن أخبرتنا بصوتٍ مبحوح:

- أبونا مسوط، سينتهي من الحضرة مع الشيخ مصباح وسيقابلكم حالًا..

بمجرد أن سمعت اسم (مسوط) من فم أمي قفزت وكأن

قرصني عقرب وبدأت الأوهام تأتي إلى عقلي مرة أخرى، هل يكون ما حدث لي هو ما حدث لأمي، قدماها وصلت إلى بيت الملعون وفي مقابلة مع الملعون فهل أنا فعلا مر بي ما هو حدث من قبل كانت لا زالت تقص لكني قاطعتها صارخا:

- مسوط، مسوط يا أمي هو سبب كل ما حدث لي، تخبروني أني كنت أهذي منذ ساعة والآن تخبريني أنكِ قابلتي هذا الشيطان، هذا الملعون وتابعيه هم من قلبوا حياتي رأسا على عقب.

نزلت دمعتين من عيني أمي وأمكست يدي وأكملت وكأني لم أتحدث أبدا:

- سمعت مسوط هذا الاسم الغريب يا أشرف واقشعربدني لمجرد ذكره فاقتربت من خيرية والتي كانت تمسك يدي المرتجفة وهمست في أذنها

- أي حضرة يا خيرية ومن مسوط هذا، وأين الشيخ مصباح؟

- كل شي ستعلمينه في وقته، اهدئي ما بك؟ لا تخافي شيئا أنا بجوارك وسأحاول ألا أتركك مهما..

صرخت في خيرية مقاطعة عندما أخبرتني تلك الجملة:

- نعم تحاولين؟ لن أخطو خطوة بالداخل إلا وأنتِ معي وإلا سأخرج فورا، إذا كنت سأموت قبل مقابلته ما بالك لو قابلته وحدي..

- حسنا، حسنا، سأدخل معك وأنصتي إليه، إن لم يعجبكِ ما يقوله اخرجي، فلا تخافي شيئا، اهدأي سيدنا سيغير حياتك|

للأبد يا إلهام، ثقي به فقط

وابتسمت الملعونة وقتها وربتت على كتفي مشجعة فكانت تحاول في تلك الأثناء أن تبث جزء من الطمانينة في قلبي دون جدوى، ومرت ساعة كاملة وأنا في الانتظار بالخارج يكاد أن يغشى عليّ من كل شيء، أتصدقني إن أخبرتك أني في تلك الأثناء ورغم الظلام الموجود في البيت إلا أني لمحت في الصالة البعيدة شيئا ما يزحف على الأرض هابطا من السقف الأسود وعندما سار على الأرض كان شبيها بالماعز أو جدي يا ولدي، ثم بدأ يقف على قدميه ويرج رأسه بشدة وتراجع خطوتين إلى الوراء وقفز إلى داخل غرفة في آخر الممر، قفز خلال الجدار يا أشرف أقسم لك، فتحت عيني وأغلقتهم مرة أخرى لكني لم أجد أي شي، وصلت إلى مرحلة أني أوهمت نفسي أني توهمت، حتى لا أصاب بأزمةٍ قلبية وقبل أن أهمس مرة أخرى إلى خيرية بأني أريد أن أذهب الآن وأخرج،.وقلبي يكاد يتوقف ولا أريد الدخول، حضرت فجأة تلك السيدة الرفيعة، أتت لي ولكنها هذه المرة كانت ترتدي الأسود وكشفت عن وجهها، رعبت أكثر فقد كانت بعين واحدة والأخرى مطموسة تمامًا فارتعدت أكثر وقبل أن أنطق بحرف قالت بصوتها المبحوح

- اتبعاني.

سرنا ورائها حفاة في ذلك الممر الملعون الذي كان الشيء الغريب يزحف على أربع فيه ثم قفز إلى جدار الغرفة التي وقفنا أمامها تمامًا، توقفت السيدة أمام باب أسود وطرقت ثلاث طرقات.

كنت أشعر أن دقات قلبي أصبحت مسموع، وفجأة فتح الباب

ولم يكن أي أحد بجواره وفي الغرفة المظلمة كنت أرى في آخرها رجل مرتديًا السواد ولم يظهر منه أي شيء، جالسًا على كنبة خشبية ومن خلفه جدار به كثير من الفتحات التي تطل على نار داخلها، منظر مرعب يا ولدي وأمامه موقد ضخم ينبعث منه بخور كريه الرائحة

كانت أمي تقص عليّ كل ذلك وهي لا تعلم أني كنت في نفس موقفها منذ أسابيع وهذا الملعون هو سبب لعنتي، تركتها تقص وأنا أستمع إلى ما لا يمكن أن أكن أتصوره في يوم من الأيام واستمرت في الحكي:

- كل شيء كنت أراه يا أشرف كان يزيد رعبي، لكن الأكثر هو أني وجدت شيئا ما ضخم جالسًا بجواره على الكنبة ومغطى بملائةٍ كبيرة بيضاء وكان يحرك رأسه من تحتها إلى الأمام والخلف، وقتها بدأت في البكاء من خوفي وتيبست قدماي إلى الأرض فلم أستطِع التقدم ولو متر للأمام، وقتها أشار إلي بالقدوم، وقتها مال هذا الشيء الذي بجواره وهمس في أذنه من تحت الملائة بعدة كلمات فأومئ الرجل الذي بجوراه برأسه والذي علمت أنه فيما بعد أنه الشيخ مصباح فسارت في جسدي رعشة وهو يخاطبني بصوته الجهوري.

- تقدمي يا إلهام يا ابنة عمرانة ولا تخافي أنتِ في حضرة سيدنا وابن سيدنا ومن حضر في حضرتنا وأخد عهدنا سيكون في أمان.

حتى خيرية يا أشرف لا تعلم اسم أمي ووقتها عدت بقدمي خطوةً إلى الوراء وأنا أتنفض وعزمت فجأة على الهروب لكنها كانت تقف ورائي فدفعتني وهمست في أذني:

- هذا ليس وقت خوفٍ أبدًا.

تقدمت أنا وهي بهدوء وجلسنا على الكنبة أمامه وبدأ يكلم نفسه ويهمس بعدة كلمات إلى النار التي أمامه فتخبو تارةً وترتفع مرة أخرى، ومرة أخرى عاد الشيء إلى جواره إلى الحديث معه بنفس الطريقة السابقة وأنا كلي ارتعد، ووقتها نظر الشيخ هذا إلى خيرية وصرخ فيها فجأة:

- اللعنة عليك اخرجي من هنا

ارتعدت أكثر ومسكت في يديها وصرخت بدوري:

- خيرية ستظل معي ولو خرجت سأخرج معها.

نظر إلي الرجل بغضب وأردف:

- هناك من الحديث ما قد تودين ألا تسمعه خيرية

- لا، لن تخرج وتسطيع قول أي شيء يا مسوط.

ارتج الشيء الجالس بجوار الرجل الذي ابتسم بسخرية وهو يقول

- أنا الشيخ مصباح يا إلهام وهذا هو مولاي ومولاك مسوط، وخيرية لا يجب أن تجلس معنا من الأصل أليس كذلك يا خيرية، هل تدرين لماذا؟

ارتعدت خيرية ونفت برأسها فأردف مصباح جملة كان من المفترض أني بمجرد سماعها كان على الانصراف لكن يا ولدي شيئا ما في داخلي كان يصر على الاستماع إلى ما سيقوله الرجل، كل ما قاله الرجل وهرعت خيرية خارجة وهي تعتذر له

عندما قال:

- منذ متى وأنت تدخلين علينا يا خيرية وأنت ترتدين سلسلة ذهبية عليها اسم ربك؟ ألم ننيهاكِ عن ذلك؟ سترين عقابك في القريب..

وعندما وصلت إلى باب الغرفة أشار إليّ أنا الأخرى بغضب وهو يردف:

- وأنتِ اجلسي مكانكِ ولا تتحركي إن كنتِ تريدين أن نحل موضوعك..

نفذت أمره على الفور وجلست صامتةً وبعد أن خرجت (خيرية) وهي تولول خوفًا منه، كان لا يزال يتحدث مع الشيء إلى جواره وأنا وقتها تأكدت أن الرجل المسمي نفسه الشيخ مصباح كافر حتى النخاع؛ فهو لا يطيق مجالسة أي شيء يذكره بالله، ولكني كما المسحورة كنتُ أريد معرفة طلباته بأيّ شكلٍ كانت على الرغم من أني أرفض كل ما يقوم به، تكومت أكثر على الكنبة الخشبية وبدأت في الدعاء في سري، ولكن ما رأيته كان لا يمكن أن أتخيله حتى في أسوأ كوابيسي، بدأ الرجل في الحديث عني منذ بداية زواجي، يتكلم جملة ثم يصمت ويخبرني بأدق تفاصيل حياتي وكأن هناك من يملي عليه القول وأخبرني أن هناك سحر من إحدى قريبات زوجي في القرية لمنعنا من الإنجاب بعد أن رفض زواجه بها، ومن مفعول هذا السحر أن يدوم إلى الأبد وليس حتى بعد مرور عشر سنوات ولا أحد يستطيع فك هذا السحر حتى هو نفسه إلا بعد فترة كبيرة من المتابعة والمحاولة مرة بعد أخرى، عندما أخبرني بهذا الخبر الشؤم تذكرت فعلا أن أحد قريباته كانت من المرشحين له لكنه

فضلني عنها بعد قراءة الفاتحة معها، وبدأ الشعور باليأس يدب في أوصالي.

- ولكن هناك يبقي دائمًا حل آخر، طالما أنتِ في حضرة سيدنا.

قطعت تلك الجملة التي قالها مصباح حبل أفكاري وتشبثت بها كالغريق المتعلق بالقشة الواهية فصرخت في يأس:

- انجدني يا شيخ مصباح..

وقتها بدأ الشيخ مصباح عينيه ترتفع إلى السماء ليحل محلها بياض عينيه في منظر مرعب وبدأ العرق يسيل من جبهته، حاولت مناداته دون أن يستمع إليّ حاولت أن أخرج لكن قدمي تسمرت في المكان، لكن المرعب كان عندما تحركت الملائة على هذا الشيء المكوم بجواره وتنزل قدمه، تنزل ببطءٍ على الأرض، أقسم لك أن كان لديه قدمي ماعز أو جدي أو ثور تمامًا، قدمان ممتلاتئان بالشعر الكثيف المغطي حافرين أسودي اللون، حاولت الصراخ على (خيرية) وأنا في مكاني كالمشلولة تمامًا ولكن صوت غريب صدر مني لأول مرة في حياتي، صوت حيوانٍ مخنوق يصارع الموت، صوت ذلك الخوار الذي يصدر من الذبيح وهو يحاول أن يتنفس آخر نسمة هواء إلى رئتيه، وكلما صحت كان ذلك الصوت المفزع يصدر مني وأنا أتألم.

بدأت في البكاء عندما ظهر لي هذا المخلوق الدميم،أقسم لك أن الشيطان نفسه لن يكون بهذا المنظر المخيف والذي جعل قلبي، يكاد يتوقف فعلًا ووقتها بدأت أتأكد أن ما رأيته في الممر المظلم كان هذا الشيء، بدأ يزحف على الأرض ومن خلفه كان ذيله يزيح المنضدة التي بيننا، لا أعلم كان جنًا أم شيطانًا أم بشرًا ممسوخًا أو حتى حيوانًا، سار على أربعة حتى وصل إليّ

أغمضت عيني بقوةٍ عندما شعرت بلسانه المشقوق وأنفه يقتربان مني ليشتمَّني كأي حيوان مفترس يستعد لالتهام الضحية ثم أصدر خوارًا ضخمًا بجوار اذني .

قطع رعبي الشيخ النجس عندما رأيته يتهلل ويخبرني بصوته الجهوري هو الآخر

- أبشري يا إلهام لقد وافق أبونا.

بدأت في الارتعاد أكثر وأنا أنظر إلى يد هذا الشيء الذيكان في هذه الأثناء خلفي تمامًا ويديه المشعرتين تعبثان بشعري بعد أن جذب حجابي بعيدا وأنا في أشد حالاتِ الاشمئزاز حتى أنني قاومتُ رغبةً شديدة في التقيؤ لكني اندهشت من حديث الرجل فأردفت:

- أبونا من؟ ووافق على ماذا؟ وما هذا الشيء خلفي؟ وأنا...

قاطعني النجس:

- هذا أبونا ومالكنا ومنيرنا (مسوط) سيدي وابن سيدي سيد الأرضين، وقد وافق على معاشرتك عوضًا عن زوجكِ وسينفخ في رحمك جزءًا من رحماته لك..

قاطعته بدوري هذه المرة بعد أن أمسكت بشالي الملقى على الكنبة إلى جواري وأنا أصرخ في وجهه بعد أن غيرتُ رأيي في ثانية واحدة:

- هل جننت أيها النجس؟ هل تدري ما تتفوه به؟ ألف لعنةٍ عليكَ وعلى مسوطك هذا، لو أعلم أني سأسمع تلك الكلمات لما عتبت مكانك العفن هذا..

صمتُ على صراخ (مصباح) وكان مع صراخه بدأ عشرات الخيالات تطوف من حولي وكذلك حول (مسوط) الذي كان بدأ يعود إلى مكانه على الكنبة الخشبية، لكني أقسم لك لمحت ابتسامةً على وجهه الدميم، ابتسامة لن أنساها ما حييتُ يا ولدي، استمر (مصباح) في الصراخ وبعدها عاد (مسوط) بظهره هذه المرة وهو مثبت نظراته عليَ حتى دخل إلى الجدار الواقع خلف (مصباح)، حاولت معاودة النداء؛ فخرج مني نفس الصوت المخيف لكني استجمعت شجاعتي وأغمضت عيني وصرخت بكل قوةٍ مرة واحدة:

- خيرية.

وتغير المشهد تمامًا فوجدت نفسي ما زلت واقفةً على باب غرفته و(خيرية) إلى جواري وهو جالس على بعد أمتار مني وبجواره الملعون الآخر، بينما هي قد جفلت من صراخي ولا زالت إلى جواري فصرخت بدورها.

- اللعنة ما بكِ؟ أنا لا زلت بجوارك فلم تصرخين؟

وقفت يا (أشرف) لا أدري أكان كابوسا أم ما الذي حدثعلى وجه التحديد ولكن (خيرية) أردفت موجهةً حديثها إلى الشيخ النجس قائلة:

- كيف حالك يا شيخ (مصباح) لقد أتينا أنا وجارتي (إلهام) نلتمس منك حلا لمشكلتها فهي..

قاطعها (مصباح) بأشارةٍ من يده مبتسما وهو يشير إليَ:

- المقابلة انتهت يا (خيرية) وجارتكِ عرفت المطلوب

وستنفذه وميعادنا الجمعة القادمة لتنفيذ ما أمر به أبونا..

لم أفهم أي شيء هل ما حدث كان فعلا حقيقةً أم وهم؟ ولو حقيقة كيف عاد بي الزمن إلى الوراء مرةً أخرى، فهمت من ابتسامته وحديثه أني سأوافق حيث أنه ليس لديَ أي حل آخر، وقتها قررت أني لن اعود إليه مرة أخرى ، إن كان لي نصيب في الحمل سيكون من والدك يا (أشرف) لن أسمح لنفسي حتى بمجرد التفكير في هذا العرض القذر حتى وإن عشت طوال عمري عاقرًا، يكفيني أني لن أغضب الله مهما حدث.

جذبتُ يدي من يد (خيرية) وصرخت في الجميع:

- لن آتي ولنى تراني مرة أخرى أيها النجس أنت وصاحبك الملعون، لعنة الله عليكم لعنة الله عليكم.

ابتسم الملعون وهو يشير إليَ قائلا بانتصارٍ غريب:

- سيحدث ما أمرنا به وستأتين ساجدة وسيتم المراد.

عدت للصراخ مرة أخرى، لكنها وضعت يدها على فمي لإسكاتي وبدأت هي في الصراخ بدورها وهي تركع على الأرض:

- سماح يا سيدي، سماح أقسم بأبينا فهي لا تفهم أي شيء ولا تعي أي شيء، إنها جاهلة يا سيدي أقسم لك لا تعرف جبروتك ولا غضبك، سامحاني وسامحاها..إنها مجنونة أقسم لكم..

تركت هذا المشهد العبثي وخرجت مسرعة ولم يلحق بى حتى تلك المرأة العوراء التي كانت في الصالة في انتظار إدخال عددٍ من الأشخاص، هرعت إلى مكان القوارب ولكني لم أجد تلك المعدية التي ستقلني إلى الجانب الآخر من النهر وبعد دقيقة

أسرعت إليّ (خيرية) وبدأت في توبيخي لكني لم أعطِ لها أي فرصة والتزمت الصمت طوال طريق عودتنا حتى وصلت إلى بيتي أخيرًا وهنا فقط انفجرت فيها دون حتى أن أسمح لها بأيّ حديث:

- دعيني وشأني، لن أذهب مرة أخرى إلى ذلك الملعون،عليكم لعنة الله ولو أعلم أنكِ ستجريني إلى ذلك الكافر ما كنث تحركت شيخ! أعوذ بالله منكِ ومنه ومن أمثالكم.

و أغلقت الباب في وجهها وهي لازالت تحاول إقناعي ثم تركتني وآخر ما سمعته منها:

- حسبي الله عليكِ يا إلهام خيرًا تفعل شرًا تجد.

حمدت الله كثيرًا أن والدك لم يكن هذه الأيام بالمنزل؛فميعاد حضوره كان السبت غالبا من كل أسبوع في أحسن الظروف، وكانت أسوأ ليلةٍ تمرّ بي منذ فترة، كل دقيقة كابوس وأرى هذا المسخ يقترب مني مرة أخرى ويتحسس جسدي بيده القذرة وأنا مشلولة تمامًا ولا أقدر حتى على الدفاع عن نفسي، وجدت نفسي في بركةٍ سوداء وأنفاسي تختنق وأنا أغرق وعلى الشاطئ كان (مصباح) و(مسوط) هذا والعوراء يضحكون ثم مد لي المسخ يده فأمسكت بها لكي أنجو من الغرق وعند الشاطئ... لا داعي لإكمال الكابوس يا ولدي، وبدأت الأحداث الغامضة دوما من بعد ذلك اليوم النحس، أتعلم غرفة الخزين المغلقة أمامنا هناك تلك يا أشرف؟

وأشارت (أمي) إلى تلك الغرفة الصغيرة والتي كانوا يستخدموها في التخزين ودوما كانت مغلقة بقفل صدئ، لم

أفتحه أبدًا طوال مدة وجودي.

- هناك يا (أشرف) من بعد هذا اليوم كان دوما يأتي صوت لعدة نساء تقمن بالبكاء تارة أو الغناء بطريقةٍ حزينة بما يشبه الندب تارة أخرى، ذات مرة وأثناء مروري لمحت الغرفة مفتوحة على مصراعيها وبداخلها وجدت عدد من النساء يرتدين السواد وهم يلطمون وجوههم، بينما جلست تلك المرأة العوراء وسطهم، وعندما تيبست قدماي رفعن رؤوسهن نحوي يا (أشرف) لكنهم كانوا بلا ملامح، مجرد وجوه مستطيلة دون أي تفصيلة أخرى، استجمعت شجاعتي وأغلقت الباب ولم أفتحه بعدها أبدًا.

ومن وقتها كلما أفقتُ من كابوس أجد نفسي أدخل في نوبه بكاء شديدة، شعرت أني أذنبت ذنبا كبيرًا لا غفران له وأخطات في حق نفسي وربي بذهابي مع (خيرية) لهذا الرجل،.حتى وإن صرت عاقرًا إلى الأبد حتى وإن تم طلاقي ليس مهما فالله هو من يتبقى لي دوما، استغفرت الله كثيرا وندمت لأني استعنت بهذا الكافر لقضاء حاجتي، حسبي الله ونعم الوكيل فيكِ يا (أم الخير) أنتِ و(مصباح) و(مسوط)

كانت (أمي) ترتعد في هذه الأثناء وهي تقص على كل ما حدث لها حتى أني أشفقت عليها وحاولت تهدئتها دون جدوى، فأكملت وهي تتنهد وكأنها بذلك تزيح حملا من على صدرها نجحت في الاحتفاظ به طوال عشرات السنين.

- صباح اليوم التالي لم أستطِع في بداية الأمر أن أتحرك من السرير وكأن قدمي أصابها الشلل،.تحاملت على نفسي لأقوم بإنهاء الأعمال المنزلية التي لا تنتهي، يومها كنت أتنفس

بصعوبةٍ وكأني كبرت عشرات السنين،.أتذكر تلك الأحداث كأنها بالأمس فقط..

قمت رغما عني من تعبي بتجهيز طعام لوالدك، وكما أخبرتك أنه في الظروف العادية كان اليوم ميعاد وصوله وكنت أفعل ذلك كل سبت، لكن فترة غيابه قد طالت للسبب الذي أخبرتك عنه وتلك الأيام لا أعلم أكانت من أجل ذلك أو ربما كان مسافرا لإحدى المحافظات البعيدة كما يذهب دوما، لذا حاولت الرضا بالأمر الواقع وانتظاره كل يوم سبت

اقتربت صلاة العصر ولم يحضر والدك في ميعاده، وقتها تذكرت أني لم اؤدي صلاة الظهر فقمت مسرعة حتى أتوضا ولك أن تتخيل ما الذي حدث أمام صنبور المياه، تيبست! هل تتخيل ما معنى كلمة تيبست؟

أقسم لك يا ولدي أني شللت تمامًا بعد أن فتحت المياه، يداي الاثنتين شُلتا وتحجرتا بجانبي، هل تتصور يدك منذ دقائق كانت سليمة والآن لا تستطيع أن ترفعها عدة سنتيمترات..

وكل ذلك لمجرد نيتي في الوضوء، ابتعدت قليلا عن المياه وأنا أكاد أبكي على مصيري بعد الشلل، لكن ما حدث هو أني بعدما خرجت من الحمام عادت يدي إلى طبيعتها تمامًا، وكأن شيئًا لم يكن، تخيل يا أشرف؟

حاولت مرة واثنتين وعشرة، كلما نويت الوضوء تصير مشلولة كدت أن أنهار وقتها، تعود يدي إلى الحياة في كافة الأمور العادية لكن وضوء مستحيل حتى عندما حاولت إمساك المصحف وقراءة قراءن لينجدني من هذا الشيطان لم أستطِع لنفس السبب، وكلما يئست من حالي، أتذكر كلمة الملعون أني

سأعود إليه مرة أخرى، كل هذه الأحاسيس، لك أن تتخيل أنها في يومٍ واحد فقط ما بين بكائي وندمي ورجائي في عودتي إلى حياتي الطبيعية التي كنت أراها حلما صعب المنال، بعدما وضعت قدمي في تلك الشبكة الملعونة وبدأت تنازعني نفسي هل سأظل هكذا كنتيجة عقاب (مسوط) وأعوانه؟ هل كل ذلك سيكون مصيري كلما نويت الصلاة أو حتى الوضوء؟ وهل سيكتفي بذلك أم أن هناك سيكون عقاب آخر؟ اقتربت من المصحف وأقسمت عليه أني لن أذهب مرة أخرى هناك ولو أصبحت مشلولة طوال عمري.

زاد عنادي أكثر ورغبتى في الصلاة أكثر وخاصة أن العشاء قد مر منذ فترة فتيممت من الحائط دون حتى أن أفكر في الأمر وكأن الله هداني إلى ذلك..

وجلست على سجادة الصلاة، وعادت وقتها يدي للشلل مرة أخرى، أخبرت نفسي أنه ليس مهما تحريكها المهم الصلاة وشرعت في قراءة الفاتحة..

صراخ يا (أشرف) أقسم لك صرخات لا يتحملها بشر، بدأت في أذني دويَ كدويَ صافرات القطار، لم أستطِع حتى إكمال الفاتحة، قمت مفزوعة من سجادة الصلاة ووقتها توقف كل شيء، توقفت الصرخات في أذني وعادت يدي إلى الحركة مرة أخرى،.وقتها تأكدت أني أصبحت ملعونةً إلى الأبد..

بعد فترةٍ قصيرة سمعت طرقات على باب الشقة، هرعت إليه كنت أظنه والدك وأنا في منتهى السعادة على الرغم من أني أعلم أن المفتاح معه لكني تشبثت بذلك الأمل الضعيف يا ولدي، المهم كانت أمي عليها رحمة الله وقد أتت لزيارتي ومعرفة

أخباري لأني منذ مشكلة هجر والدك وأصبحت منعزلةً عنهم؛ فحضرت للاطمئنان عليّ، آه، يا أشرف على حضن الأم، مجرد ما وضعت نفسي بين أحضانها بدأت في البكاء الهيستري حتى قبل أن تغير ملابسها، بكاء فقط دون أن أستطيع حتى الحديث بكلمة واحدة، وبعد فترة عندما سألتني ما الذي استدعى كل ذلك تحججت بموضوع الإنجاب ووالدك ونيته في الزواج من أخرى، أما موضوع (مسوط) فلم أجرؤ بالطبع على إخبارها؛ فأمي غيري تمامًا كانت ستوبخني بصورةٍ لا تتصورها وكيف لا، ابنتها وضعت حلمها في طريق الشيطان ليحققه لها..

تناولنا عشاءً خفيفًا وإن تظاهرت بذلك وتسامرنا على أحوال البلد وأخي الذي يعمل مع والدك ولا زال الاثنان يذهبان، في محافظة أسوان للعمل

أتعلم يا أشرف؟ ظللت سنواتٍ وسنوات ألوم نفسي على أني لم أقص على أمي كل ما حدث واستمعت إليها وعرفت ما هو الحل الذي كان يمكن أن أقوم به، لكنه الخوف، كأنك طفل في مدرسة وتخشى عقاب والدك، لذا تصمت وتكذب لتبرئة نفسك والكذبة تتبعها أخرى لتتستر على الأولى يا ولدي وكأنك تتبع المصيبة الصغيرة بأخرى أكبر وأكبر حتى تبدأ تلاحقك المصائب من كل صوبٍ واتجاه حتى تتحول إلى صخرةٍ كبيرة تكاد تسحقك تحتها لتكتم أنفاسك إلى الأبد..

تمنيت الموت آلاف المرات، أقسم لك ولولا أن الانتحار محرم لكنت من أوائل الناس المنتحرة لكني انتظرت وانتظرت لعل بعد المصيبة يأتي الفرج فجأة، ولكن كما أخبرتك تأتي المصيبة تتلوها الأخرى لكي أستسلم،.في آخر الليل ذهبنا إلى النوم

وكنت في منتهى السعادة والراحة النفسية أني سأنام إلى جوارها كما كنت طفلةً صغيرة؛ فربما أصابني جزء من بركاتها، حمدت الله كثيرا أن يدي لم يصِبها الشلل وهي معي، ألحت عليّ أن أوقظها في صلاة الفجر إن غلبها النعاس، وظللنا نتسامر على أحوال البلد وزوجة أخي التي تنقد تصرفاتها دائما رغم طيبتها الشديدة.

مرت يا (أشرف) عدة ساعاتٍ وأنا على هذا الوضع أستمد دفئ وأمان من أمي حتى استقيظتُ فجأةً دون سبب عندما شعرت أن أحدا ما ينادي باسمي في همس، نظرت في أنحاء الغرفة المظلمة إلا من ضوءٍ بسيطٍ يأتي من الصالة مسلط على هذا الدولاب القديم يا (أشرف)،.انظر إلى تلك البقعة الداكنه التي بجواره..

وقتها أشارت (أمي) إلى جزءٍ فارغ من الحائط مختلف في لونه على بقية لون الجدران وأقسم لكم أنا الآخر عندما نظرت إليه أصابتني القشعريرة، شعرت أن أمي بدأت في الارتعاد أكثر بطريقة غريبة فربت مرة أخرى على كتفها وحاولت التخفيف عنها بعض الشيء:

- أمي بالله عليك ارتاحي الآن ونكمل وقتًا آخر ليس هناك داعي لتقصي كل شيء في جلسة واحدة، نامي قليلا وسوف نكمل في وقتٍ آخر بالله عليك...

- لا لا دعني أكمل لك فربما صمت إلى الأبد اتركني أكمل من فضلك، وقتها يا أشرف دققت النظر فوجدت الطلاء يبدأ في التقشر ويقع، شعرت كأن الجدار يتموج كموج البحر قبل أن يطفو شيئ ما على سطحه، أغلقت عيني وفتحتهما على آخرهما

ربما كان حلما، أو كابوسا أمر به، ناديت على أمي وأنا مرعوبة فلم تسمع، رججتها بشدة فلم تستجب، قمت معتدلة على السرير وأنا في قمة الرعب، وقتها وجدت نفس الأقدام القذرة المشعرة تهبط على الأرض من الجدار وبعد ذلك رأيت جدي ضخم أو ثور لست متذكرة، وقتها فقد كأن جسمي كله قد أصابه الشلل لم أستطِع التحرك أو الهروب أو حتى إغماض عيني أو قراءة قران والاستعاذة منه، بدأ في الالتفاف ناحية السرير والاقتراب مني وهو يزحف، جسد طويل مشوه مرعب، يسير على أربع حتى اقترب ناحيتي، ثم وقف على رجليه الخلفيتين وتحولت هيئته إلى نفس المسخ المرعب الذي كان يتلمسني من قبل، الجالس بجوار (مصباح)، منظر مقزز مخيف إلى الآن عندما أتذكره يكاد قلبي يتوقف، المهم رفع يديه الطويلتين مشيرا بهما إلى رقبته وبدأ في خنق نفسه وهو يبتسم ثم يشير مرة أخرى إلى أمي ويخنق نفسه وهو ينظر إلى أمي فلم أفهم معني إشارته إلا بعد فترة، كان يريد..

- ماذا يا أمي؟ كان يريد ماذا؟

- كان يريدني أن قتل أمي، تخيل؟، بدأت في البكاء مرةً ثانية، حاولت أن أصيح على أمي لكن لا يخرج مني سوى تلك الحشرجة اللعينة، صرخت أكثر فأكثر دون جدوى، ولم يشفع بكائي له فرجع إلى الخلف واستند بظهره المحدب إلى الدولاب الخشبيّ وأشار لي بيده إشارةً فهمتها، بمعنى هيا إني أنتظرك، ولم يكن هذا يا ولدي فزعي الوحيد وقتها بل المرعب عندما وجدت نفسي دون إرادتي أتجه ناحية جسد أمي والذي كنت أحتضنه منذ دقائق وكأني فقدت السيطرة على نفسي تمامًا وبدأت أنساق لتلك الأوامر التي كنت أسمعها داخل عقلي فقط،

مع تلك الضحكات الساخرة الصادرة منه..

وكما أخبرتك كنت كالمنومة مغناطيسيا وليس لديّ أي سيطرةٍ على نفسي؛ فوضعت يدي على رقبة أمي وبدأت في خنقها كما أمرني الملعون تمامًا، بهدوء أولا ثم بدأت أضغط وأضغط ووقتها أفاقت أمي فجأة وهي تنظر إليّ فلم تكن تستوعب لأي شيء مما أقوم به وقاومت المسكينة، فوضعت يديها على يدي محاولةً انتزاعها وهي لا زالت لا تعي أي شيء مما يحدث، لم تستطع مقاومتي، كنت أشعر بضعف وعقلي يرفض تلك الجريمة التي أقوم بها وكنت أسمع ذلك الصوت بداخل رأسي صائحا بغضب:

- ضعي يدكِ على رقبتها وخنقيها حتى الموت، الموت على يدكِ عقاب لها على تحديك يا إلهام لسيدك..

ظللت أضغط وأضغط حتى سمعت صوتها يتحشأتوجحظت عيناها على اتساعهما ولفظت أنفاسها الأخيرة بين يدي أما هو فقد بدأ في الضحك بسخرية وعاد يتحكم بجسدي مرةً أخرى وبدأت في الصراخ بكل قوتي وعاد يسير على أربع متجها إلى تلك البقعة الملعونة التي أتى منها عائدًا إلى الجدار، وقتها تبدل المشهد تمامًا ووجدت أمي إلى جواري مستيقظة مرعوبة تحاول تهدئتي وأنا على صراخي وأنا أنظر إلى تلك البقعة وأعاود النظر لأمي مرة أخرى ويصيبني الفزع مراتٍ ومرات وكيف لا وأنا أزهقت روحها منذ عدة دقائق ؟ اخذت المسكينة تحاول تهدئتي وتخبرني أنه مجرد كابوس لكني لم أنم يا أشرف أقسم لك أني لم أتذوق النوم قبلها إلا غفوة بسيطة، وكل ما حدث كان فعلا حقيقي لكن كيف لا أدري، فكيف كان كابوسًا

وأنا أشعر بكل ما حدث.؟

بدأت أمي بجواري تبكي لبكائي ولا تعلم ما أصابني وتستعيذ بالله وتقرأ لي قرآن وأنا لا زلتُ غير مصدقة أنه كان كابوس، قفزت من السرير لأتأكد وأتحسس تلك البقعة وسط اندهاش أمي التي بدأت تشعر أني أصابني خبل ما، فوجدت يا أشرف الطلاء مقشر وآثاره لا زالت على أرضية الغرفة كما رأيت من قبل تمامًا، وقتها تأكدت أني في طريقي للجنون لا محالة إن ظللت على تلك الحالة، وبدأت أمي في أسألتها المستمرة كيف ومتى وما الذي ألم بكِ؟ وكثير من الأسئلة التي كنت أعلم أنها لن تنتهي وبدلا من أن أحاول تهدئتها أنا الأخرى وهي ترى ابنتها الوحيدة أصابتها لوثة، تخيل ما كان رد فعلي؟

- ماذا يا أمي؟

- قمت بهدوء بتعبئة ملابس أمي في نفس الحقيبة القماش التي أتت بها وأردفت في غضب:

- ستجلسين هنا حتى الصباح وبمجرد سطوع الشمس لا أريدكِ في بيتى فلتعودي مرة أخرى إلى البلد ولا تقتربي مني مرة أخرى، أصبحت لا أطيق رؤيتكِ ولا أي أحدٍ آخر أفهمتي؟؟

لا زلت أتذكر امتعاض وجهها وقتها يا (أشرف) وذهولهاوعدم تصديق ما أتفوه به وكنت أقصد ذلك، لقد نجت أمي هذه المرة من قتلي لها سواءً كان كابوسًا أم حقيقة، واقع أم خيال وتلك إشارة أخبرني بها هذا الملعون ربما حدث ذلك في المرة القادمة، لن أتحمل أبدًا يا ولدي ذنب قتل أمي..

- و تركتك فعلا؟

- لم تتفوه بكلمةٍ واحدة عندما وجدتني مصرة، فتركتني وخرجت إلى الصالة وظلت جالسة على كرسي الطاولة حتى أذن الفجر فتوضأت وصلت وأنا أسمعها تستغفر الله كثيرا وتدعي لي بالهداية وتردد بعض الأدعية وكلما حاولت ترديد ما كانت تقوله عجز لساني وعقلي، ألم أقل لك أني أصبحت ملعونةَ أنا الأخرى، حتى الدعاء أصبحت غير قادرةٍ على تذكره أو ترديده وبعد عدة دقائق فتحت أمي الباب وخرجت في الظلام وحدها دون أن أرد عليها التحية التي ألقتها عليّ من خلف باب غرفتي، بكيت كثيرا حتى الظهر لكني أقسم لك أن كل ذلك كان خوفا مني عليها، سألت نفسي عشرات المرات، هل سأستمر في هذا العقاب؟ وبدأت وسوسة الشيطان تعود إليّ مرة أخرى دون حتى أدنى محاولةٍ مني للاستغفار، هل سأذهب له؟ أصبحت لا أريد إنجابًا الآن، كل ما أريده هو أن تحل عني لعنته وأن أعود كما كنت من قبل وسوف أرضى بحالي ما حييت، هل يسامحني إن ذهبت واعتذرت وألححت عليه أن يدعني وشأني؟ أم يستمر في عقابي، لم أعلم أن لديه القدرة على كل ذلك أو يستطيع أن يتحكم في عقلي أو جسدي ويستطيع أن يجعلني أقوم بأشياء رغمًا عني، وكلما نويت التفكير مرة أخرى في الذهاب إليه وتوبتي أمامه واعتذاري له، أتذكر ذلك القسم الذي أقسمته على المصحف ألا اعود الى هذا الكافر مجددا ...

- كان خالك عمر وقد أتى إليّ مندهشا من ما حدث لي وبالطبع (أمي) أخبرته بما فعلته يومها ولذلك عند حصوله على أول إجازةٍ سارع بالقدوم إليّ للاطمئنان وبدأت في البكاء أمامه مرة أخرى وتحججت بموضوع والدك وسألته عليه فأخبرني أنه لم يره منذ فترة لانتقاله للعمل في محافظةٍ أخرى، بينما ظل والدك

في أسوان وسوف يحضر في إجازته الشهرية اعتبارًا من الأحد القادم، تأكد عمر حبيبي وقتها أن كل ما يحدث لي هو بسبب بُعد زوجي عني وشروعه في البحث عن الزوجة التي تستطيع أن تنجب له، حاول على قدر المستطاع التخفيف عما أمر به ودعاني للسفر معه إلى البلد وسوف يستأذن والدك قبل السفر، لكني رفضت بالطبع فقد كنت أخشى أن تحضر شياطيني معي هي الأخرى أو أسبب مصيبة هناك، كنت أخاف من كل شيء أو أن يظهر عليّ هناك أي شيء، رغم حاجتي إلى السفر والاعتذار لوالدتي، لكن المصيبة تتلوها الأخرى كما أخبرتك، دعوت الله أن تمر الأيام على خيرٍ حتى يحضر والدك وقتها ربما أصارحه بكل شيء وأطلب مغفرته وله ما يشاء من حريةٍ في الزواج من أخرى، المهم ألححت على خالك للغداء معي ووافق أخيرًا قمت مسرعة إلى المطبخ لأعد كوبين من الشاي وشرعت في تجهيز طعام، كنت مطمئنةً بوجود أخي إلى جواري، أعددت الشاي وحملته على صينية واقتربت منه وأنا أسأله عن زوجته وأولاده، ياربي، أستغفر الله العظيم، هل تتخيل ما حدث لي منه وقتها يا أشرف؟

- ماذا حدث يا أمي؟

- مددت كوب الشاي ل(عمر) ولكن بدلًا من أن أعطيه في يده ألقيته على وجهه، تخيل كوب من الماء المغلي يصيب وجهك فجأة دون مقدمات تخيل فقط..

- يا إلهي.

- تخيل رد فعله وهو يرى شقيقته تقوم بفعل ذلك، بدأ في الصراخ فقمت مسرعةً لأحتضنه ولكنه دفعني وهو يسبني،

حاولت الإعتذار بكل الطرق فهلا أخبره بأن ما حدث كان رغما عني، مستحيل بالطبع فهو رأى أني كنت أقصد ذلك لكن كيف أقنعه أنه رغما عني يا أشرف، قام مفزوعا هو الآخر يصرخ من ألم الحرق وتبعته مسرعةً حتى الحمام ليضع الماء البارد.

- ولمَ فعلتِ ذلك؟

- أقسم لك أنا نفسي إلى الآن لا أعلم؛ فيدي يا أشرفأصبحت غير مسئولةٍ عنها حرفيًا فهي تتصرف بدون وعي مني وكأنها يصدر لها أمر من شيء ما فتقوم بتنفيذه دون حتى أن تعطيني أيَ إشارة كما أخبرتك في موضوع كابوس قتلي لجدتك.

ألم أخبركم أن تيبس الأيدي لعنة أصابت أسرتنا؟ وقتها تذكرت موقف مر عليَّ في مثل هذه الحالة عندما رفضت يدي تنفيذ أوامري بأن أبتعد عن جسد (أشرف) ابني داخل القبر وحاولت الابتعاد بينما يدي التي كنت قد فقدت السيطرة عليها أكملت المهمة بمفردها، وكأن هناك من يُسيّرها، ابتسمت في حزن عندما تذكرت هذا الموقف ونظرت إلى أمي بشفقة مردفا:

- وبعد ذهاب خالي إلى الحمام؟

- والله يا (عمر) يا حبيبي كان رغمًا عني، أقسم لك كان غصب عني يا حبيبي لم أقصد إصابتك بهذا التشوه طول عمرك.

بدأت (أمي) في البكاء أكثر فأكثر وكلما استمعت إليه كنت في ذهولٍ مما أسمعه وشعرت أن الأسوأ في الطريق؛ فصببتُ كوبًا آخر من الماء وأعطيته لها محاولًا تهدئتها؛ فشربت وتنهدت واستغفرت الله وأكملت:

- عمر يا حبيبي، أصابه الماء المغليَ بحرقٍ كبير في وجهه

وحمدت الله أنه لم يصِبه في عينيه.

بدأت في البكاء وأنا أبحث له عن دقيق لأضعه على الحرق وكل ما كان يردده

- هكذا يا (إلهام) حسبي الله ونعم الوكيل لمَ فعلتِ ذلك؟

أخذت الدقيق وهرعت إليه في الحمام وهو يضع ماء بارد على وجهه، نظرت وقتها إلى المرآة فوجدت المسخ الملعون بداخلها دون أن يراه أخي، وهو ينظر إليّ مبتسمًا بسخرية، كان يقف ورائي في المرآة فالتفت برعب فلم أجد أحد ونظرت مرة أخرى إلى المرآة فكان بنفس شكله البشع، ارتعدت ونقلت نظري ما بين أخي المصاب الذي يضع الماء البارد على وجهه وبين الملعون الذي وجدته يشير إلى أخي إشارةً لم أفهمها هذه المرة أخذ (عمر) الدقيق مني وبدأ يضعه على وجهه وهو يتألم، حاول أن يكذب نفسه ويقتنع أني فعلت ذلك رغمًا عني، اعتذرت له عشرات المرات وأخذته من يده وأجلسته في الصالة وبدأت أضع له الدقيق يا (أشرف) مكان الإصابة وأنا أبكي، لكن الملعون، الملعون، كنت أسمع همساته في عقلي ولكن بلغة غير مفهومة، لكن من الواضح أن يدي هي من نفذت الأمر بتلك اللغة، هل تفهم؟

- ليس مهما أن أفهم لأني إن أخبرتكِ أني مررت بذلك لن تصدقي كعادتك، المهم ماذا همس لكِ هذه المرة؟

- يدي هي التي فعلت هذه المرة أيضًا وليس همس الملعون..

- ماذا فعلتي يا أمي أخبريني؟

- أخذت الكوب الآخر وألقيته على رأسه، فصرخ وفتح باب

الشقة وهو يهبط مسرعًا إلى الخارج وأنا لم أسمع إلا جملةً واحدة

- لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لقد جننتِ يا (إلهام) لقد جننتِ فعلا، أن امى لم تكذب ..

وقتها ترددت ضحكات المسخ في أرجاء الشقة وشعرت أني أراه جالسًا بجوار (مصباح) النجس وهما يشيران إليَّ ويضحكان بسخرية، نعم ولم لا فأنا فعلا أصابني الجنون ولم تخطئ أمي أو أخي، تأكدت أن يدي أصبحت خارج سيطرة عقلي، كنوع من العقاب الأبديّ الذي قرره لي الملعون وأعوانه، لن أخبرك عن اليومين التاليين، أسوأ مما كنت أتصور وكالعادة كلما اقتربت من الصلاة يصيبني الشلل وكلما شرعت في ذكر الله يصيب عقلي النسيان حتى وإن وقفت على سجادة الصلاة بدون وضوء تعود إليّ الصرخات الموجودة في عقلي والتي لا تتوقف إلا بعد إنهائي للصلاة فجأة، وبعدها أسمع ضحكات الملعون، ساعات وساعات يا ولدي وأيام لم أذق طعم النوم أبدًا إلا دقائق..

هل أحدثك عن الأغرب؟ كلما خرجت إلى الشرفة لأستنشق بعضًا من الهواء بدلًا من رائحة الجيفة التي بدأت تملأ الشقة رغم عدم معرفتي مصدرها أبدًا، كلما يا ولدي وقفتُ لمدة خمس دقائق فقط، أجد يدي تقترب من غطاء الرأس الذي أرتديه وتخلعه عني لتلقي به في الشارع، تخيل يدك تفعل ذلك فجأة ورغما عني دون أي مقدمات؟

هل تتوقع أن الأمر وقف عند ذلك؟ بالعكس، كل ذلك كان بسيطًا بالمقارنة بما حدث لي فيما بعد، في مساء الخميس شعرت

بالجوع لأول مرة؛ فقمتُ بالبحث عن أيَ شيء في المطبخ فلم أجد إلا بعضًا من الجبن الذي أصابه العفن ولكني بدلًا أن ألقي به، بدأت آكله بشراهة، أمسكتُ السكين وحاولتُ تقطيع قطعةٍ من الخبز، ولكن بدلا من أن أضع السكين على الخبز وضعتها على رقبتي، تخيل يا أشرف؟ وبدأت أضغط بحرفها على جلدي وبدأت الدماء تتساقط على رقبتي وعلى ملابسي وبدأت بالصراخ لكن لا من مجيب، وزاد الطين بلةً أن بدأت الصرخات تعود إلى أذني مرة أخرى، شعرت أن السكين سيذبحني، أقصد يدي ستقلتني يا أشرف، ألم بشع ودماء تنزف وصرخات في أذني تصيبني بالجنون، بدأت الأرض تدور من حولي والظلام يحيط بي ورغما عني سمعت صوتا ما يهمس في أذني.

- توسلي إليه، سيعفو عنكِ صدقيني، ليس لكِ ملجأ سواه هو من بيده فقط خلاصك مما أنت فيه، سيدكِ (مسوط)

عاد الصوت مرة أخرى وكرر حديثه مراتٍ ومرات وأنا أشعر أن روحي تنسحب مني ووقتها صرخت بكل قوتي:

- الرحمة، العفو يا (مسوط) العفو يا سيدي، ارحمني، سامحني يا شيخ (مصباح)

وقتها سكت كل شيء وسمعت كلمة بصوت أجش داخل عقلي:

- لقد عفوت.

صرخت وقتها بكلمه الرحمة، عندما سمعتها تتكرر داخل عقلي ولا أعلم مصدرها إلا أنه يبدو أنها كانت وسوسةً من أحد أعوانه بالطبع فكان لابد أن أضع حدًا لكل ما مررتُ به لحظةً يأسٍ قاتلة جعلتني أهتف باسمه، يا أشرف تخيل أسبوع كامل لا

أكل ولا شرب إلا بالكاد، أسبوع كامل لا صلاة ولا طهارة ولا قرآن ولا أذكار، أسبوع كامل جالسة على كنبة الصالة القديمة لا أتحرك أو أعمل أي شيء فإن عملت شيئا لا يرضى عنه تعصني يدي وترتكب مصائب ، مجرد التفكير أن يدك قد تقتلك في أي وقت أمر مرعب في حد ذاته، أسبوع كامل لم يغمض لي جفن إلا بضع ساعات فقط وإذا نمت تأتيني كوابيس لا يمكنك حتى تخيلها وكل كابوس أفظع من سابقه، مت في أحلامي كل الميتات البشعة التي تتصورها، وكلها انتحار، حرقت نفسي وشعرت بآلام الحرق في جسدى كله، مت غريقةً وشعرت بالماء ينساب من أنفي إلى رئتي فيخنقني، وقفزت من الشرفة لأقع ظهري مكسور في الأسفل، مت بالسم وتخيل ما هو شعور المسموم عندما يسير السم في جسده، عشرات الآلام التي لا يمكن أن تتخيلها حتى في أسوأ أحلامك كنت أراها، أشعر بها، أذوق آلام الموت كل مرة وقبل أن ألفظ أنفاسي يسمح لي بإفاقتي من الكابوس وذلك إن أغمضت عيني عدة دقائق يا ولدي،.وأصحى مفزوعة أتحسس جسدي من الحريق أو السم أو المياه، أسبوع كامل في جهنم يابني أقسم لك، وفي الخميس مساءا كانت كل تلك الأفكار السوداء تطوف برأسي مرة أخرى بعد صراخي بالرحمة؛ فمن المفترض أن يكون اللقاء الثاني غدا من بعد صلاة العصر، تنازعتني روحي في الذهاب وما بين الحصول على رضاء الملعون ليعتقني ويتركني في حالي ولا أريد إنجابًا ولا أي طلب، كل ما أريده أن أمضي إلى حال سبيلي وما بين قسمي على ألا أدخل بيت (مصباح) النجس مرة أخرى، وقتها تخيل من وجدته يطرق بابي؟

- أبي؟

- خيرية، أم الشؤم والخراب والشر والحزن والبوم، فتحت لها الباب بهدوء ودخلت فسارت ورائي وبدأت في تأنيبي:

- تطردينى يا إلهام، وكل همي مصلحتك ومحاولة حل مشكلتكِ مع زوجك، تسبين أبانا (مسوط) والشيخ (مصباح)، تسبين كل من يحاول مساعدتك.

لم أطِق سماع صوتها هي الأخرى فاعتذرت لأنهي النقاش ولكنها استمرت في الحديث الذي لا ينتهي وبالطبع كنت متوقعة ما ستخبرني به في الآخر..

- ستنا (محاسن) أتتني عصر اليوم برسالة من بركتنا الشيخ (مصباح).

- ومن (محاسن) هي الأخرى شيخة؟

- هي تلك المرأة التي تعمل في خدمة سيدنا وابن سيدنا.

- اه تلك المرأة العوراء.

- لا تطلقي عليها هكذا وإلا غضبت منكِ، المهم أنها أخبرتني برسالةٍ منه شخصيا بأن أصعد إليك في شقتك وأنك لن تطرديني وأخبرني أنه في انتظارك غدا.

والله يا ولدي لم يكن لديّ أي طاقةٍ للمجادلة أو حتى نكران أني فعلا في احتياجٍ إلى مقابلته وأتت هي لتنهي على أي نيةٍ لي في رفض الذهاب إليه في الغد، اتفقنا على الذهاب إليه سويًا في عصر الغد لمقابلة ذلك الملعون، كنت أخاف بيني وبين نفسي حتى من ذكرهم بسوء وتمنيت أن تمر الأيام بهدوء، بل تمنيت أن أعود إلى أسبوع من قبل ذهابي إليهم، لما لا نحمد الله على

ما يصيبنا دوما خيره وشره وننظر إلى كل ما نتمناه بضرورة تحققه، إنها النفس الأمارة بالسوء يا (أشرف) والطمع في الرغبة في امتلاك كل النعم، والعين التي دائما تقارن لا تعرف الرضا ومن لا يعرف الرضا بالمقسوم يا ولدي لا يفرح، كنت أنا كذلك قبل أن تزول مني نعمة حمد الله على كل شيء وقبل أن أقع في شبكة الكفر تلك..

- و ذهبتم في الغد؟

- في نفس المكان ونفس الميعاد ونفس ما حدث لي تمامًا كالمرة الماضية كل التعب والقلق والخوف والرعب والتوتر كان أضعافًا مضاعفة يا أشرف، وجدته على نفس جلسته ونفس الشيطان إلى جواره متدثرا بنفس الملائة، خرجت (خيرية) الشؤم بناء على أوامره وبدأت أنا في البكاء بطريقة لم تحدث لي من قبل، وكلما بكيث كلما زاد ضعفي وزادت ابتسامة التشفي المرسومة على وجه ذلك النجس (مصباح)، استسمحته عشرات المرات أن يدعني في حالي ويتركني بلا أي أذى ويسامحني هو ومن بجواره وكلما اعتذرت كنت أسمع ضحكات من (مسوط)، لم يحدث أي شيء ولم يتحدث إلا بعد أن أخبرتهم بجملة واحدة قلبت الأمور كلها رأسًا على عقب.

- جملة منك؟

- نعم يا (أشرف) عندما وجدتهم لم يصدر منهم أي أمل في مسامحتي، صرخت أكثر وأخبرتهم رغما عني أن يتركوني لحالي لوجه الله سبحانه وتعالى خالقي وخالقهم خالق الإنس والجن والجنة والنار بحق الله الواحد الأحد الصمد، وقتها وكأني ألقيت قنبلةً في المكان عندما ذكرت اسم الله؛ فوجدت (مصباح) راقدا

على الأرض كالمشلول تمامًا وهذا المسخ إلى جواره بدأ في الارتعاد، أصابني الرعب مما قلته أو مما سيحدث، خفت جدًا من سوء عاقبتي مما أراه يحدث أمامي وخاصةً عندما بدأ حجم ذلك المسخ في الإزدياد وتلك الستارة تنزاح ليظهر مخلوق مرعب، لم أرَ في حياتي أسوأ منه حتى داخل كوابيسي، تأكدت وقتها أن هذا المسخ لديه قدرةٌ على التحول إلى أشكالٍ عدة ولكن مع رعشة (مصباح) وعينيه التي تحولت إلى اللون الأبيض وهو يضع يديه على رأسه مرعوبا من المسخ نفسه، نظر (مصباح) إليّ في غضب وكأني ارتكبت خطيئة ما بمجرد ذكري لله، جذبني من قدمي صارخا:

- اسجدي اسجدي، اتقِ شره، اللعنة عليك أنتِ لا تعلمين ماذا قلتي لتوك..

لم أفهم جيدًا، أسجد لمن؟ وكيف؟ لم أفكر عدة ثوانٍ حتى وجدت (مصباح) يصرخ مرة أخرى، فسجدت دون أن أفهم وحتى بعد أن فهمت وقتها ما قمت به فلم يعد هناك أي أهمية لأني يئست، كنت أتمنى رضاهم كي تحل عني اللعنة، نظرت إلى مصباح بجواري فكان ساجدًا مادا يده ككلب أمام (مسوط) والذي بدأ في السكون وقد بدأ جسده وشكله يعود إلى ذلك شكل ذلك المسخ الذي قابلته أول مرة، وبدأ يتلمسني في المرة الأخرى ونفس المسخ الذي أتى لي من تلك البقعة الملعونة في الجدار يا (أشرف)، أتسائل وبعد أن انتهى هذا الموقف الذي مر عليه قرابة الخمسين عامًا، هل أكون قد كفرت؟ ظل هذا السؤال يراودني حتى هذه اللحظة، استغفرتُ الله ملايين المرات، حججت مرتين مع والدك وأربع عمرات، وندمت أمام الكعبة وبكيت حتى ابتلت الأرض بدموعي إلى الآن أسأل هل كفرت؟

أعلم أن هناك من الأخطاء التي لا يمكن أن تغتفر لكنه كان رغمًا عني كنت كالمنومة مغناطيسيا ولم أكن مسؤولةً عن أفعالي أقسم بالله.

قاطعتها قائلا قبل أن تبدأ حديث التوبة هذا لأني كنت أعلم أني أسير في نفس الاتجاه على الرغم من أني حتى الآن لا أعلم أكان هذا حقيقيا أم أنه كان وهمًا:

- أكملي يا أمي وبعد سجودك؟

- اقترب مني ووضع يديه على رأسي وعلى رأس مصباح ودخل إلى الباب الأسود الواقع أمامنا وقتها وقف مصباح وجلس مسرعًا على الكنبة الخشبية وهو يتنهد ويمسح عرقه وبدأ في لومي.

- هل جُننتِ يإلهام؟ أتعلمين أنه كان لديه القدرة على إحراقنا الآن؟ لكن يبدو أنه رضي عنك أخيرًا فقد وضع يده على رأسك وهذا معناه انكِ أصبحتِ من المخلصين التابعين بسجودك وكل أمورك ستنحل لأنه لا يرضى لتابعيه الشقاء والتعب والمصير القدري الحالك المرسوم لهم من قبل ولادتهم هو من بيده تغييره يا إلهام تذكري ذلك دوما

- أي تابعين يا شيخ (مصباح)

- المقربون إليه، المحظوظون، المرضيَ عنهم، الذين لا يصيبهم مكروه ولا شر ولا أذى طالما في ظله ويأتمرون بأوامره.

- هل إذن رضيتم عني وكل شيءٍ سيعود كما كان؟

- بالطبع يا إلهام والآن قومي إلى الحائط بجواري أدخلي يدكِ

وستجدين مرادكِ.

- مرادي؟

لم أفهم ما يقصده إلا بعد أن أخذ يدي ووضعها فى فتحةٍ صغيرة من خلفه، في الباب الأسود ووقتها يا ولدي شعرتُ آن هناكَ عشراتٍ من الكفوف الصغيرة أو كفوف الأطفال تتلمس يدي وأنا أرتعد وكلما حاولتُ جذبها يرفض (مصباح) فقد كان يضع يديه على رأسي ويتمتم ببعض الكلمات، كنت أسمع كلمة (مسوط) فيها وأسماء أخرى غريبه جدًا يا أشرف، وأخيرًا تركني وجلس إلى جواري وأشار إليّ لأجذب يدي.

وبمجرد جذبي لها وجدت يدي وكان هناك رسومات كثيرة من الحنة عليها والتي لم تتركني إلا بعد سنواتٍ وسنوات وسنوات، كانت يا بنيّ تظهر على جسدي في بعض الأوقات وأوقات تصل إلى رقبتى وكتفي، رسوم مفزعة ارتعدت منها وعندما سألت عليها وقتها أخبرني (مصباح) أني الآن من التابعين المخلصين ولن تظهر تلك الوشوم إلا أمام جماعتنا فقط وقتها لن يصيبني أيُ مكروهٍ طالما سأؤدي كل ما يأمرونني به، اه نسيت أن أخبرك فعندما أخرجت يدي كان في راحتى زجاجه بها...

قاطعتها فجأة:

- زجاجة بها سائل أحمر أليس كذلك؟

اندهشت أمي وأكملت:

- نعم، كيف عرفت ذلك؟

- أكملي أكملي، المصائب لا تأتي فرادى يا أمي أكملي..

- أخبرني طالما أصبحت منهم فلي البشارة، وتلك الزجاجة التي معي هي حل عقدتي وسوف أحمل، بكيث مرة ثانية؛ فلم أتخيل أن الأمور حُلّت بتلك السهولة بمجرد سجودي وعندما سألته عن كيفية حدوث ذلك أخبرني هامسا بعد أن أشار إلى من خلفي وأقسم لك أني عندما نظرت إلى ما يشير إليه بجوار باب الغرفة وجدت طفل عارٍ تمامًا تغطيه الرسومات الملعونة وعيناه بيضاء تمامًا وقد كان الطفل..كان..كان

- كان ماذا يا أمي أكملي..

- كنت أنت يا أشرف، نفس صورتك وأنت طفل صغير عمرك عشر سنوات دون تلك الرسومات، فزعت وارتعدت أكثر وانكمشت في جسدي من شكل الطفل وقتها استمر (مصباح) في الحديث

- سيكون ابنك يا إلهام، تلك الزجاجه بها سائل عليكِ أن تسقيها لزوجك ثلاث ليال متتالية مست مرة وفي الليله الثالثه لأبد أن يحصل لقاء مع زوجك بأي طريقه بأي شكل باي شكل أفهمتى ؟

- نعم يا شيخ مصباح

- وعندما يحدث الحمل وسيحدث بأمرٍ من سيدنا وابن سيدنا، لابد من مجيئك هنا لتأخذي بركة أبونا (مسوط) بعد اليوم الأربعين، الأربعين يا إلهام فهمتي؟

- أحمل؟ هل أنت جاد يا شيخ مصباح؟

- أنا متأكد كما أراكِ الآن أمامي تمامًا، ولكن عليكِ الالتزام بتجديد العهد كل فترة أفهمتي؟ وإلا سيصيبكِ أسوأ مما أصابك

ويصبح هذا الطفل ملعون بلعنةٍ أبدية لا فكاك منها، حذاري من نقض العهد، حذاري من نقض العهد، أفهمتي؟

- فهمت أقسم ب..

صرخ (مصباح) وقتها ليكتمني ففهمت، وأردف:

- من الآن قسمكِ بسيدكِ وسيدي ومخلصكِ ومخلصي أبونا مسوط، أفهمتي؟

لم أرد ولكني أومأت برأسي وأنا أنظر إلى تلك الزجاجة كأني أنظر إلى ماء الحياة، مدإليّ يده فقبلتها وأنا في منتهى السعادة وأشار لي بالخروج، أسرعت ناحية الباب وأنا مرعوبة من رؤية الطفل مرة أخرى، لكنه صاح عليّ قبل الخروج مؤكدا:

- يوم الأربعين يا إلهام تأتي إلينا لتحصين المولود وإلا تعلمين مصيركم أفهمتي، أفهمتي.

- نعم، أقسم بكَ وبسيدي (مسوط) أقسم بكما..

وخرجت مسرعة كافرة يا (أشرف) ووجدت الملعونة (خيرية) بجوار تلك المرأة العوراء التي كانت تنظر إليه بعينها الواحدة نظرةً كادت أن تخلع قلبي هي الأخرى دون حتى أن أفعل لها أيّ شيء المهم، أخذتني أم الشؤم (خيرية) حتى المركب وقصصت عليها كل شيء في طريق عودتنا ولا زالت تلك الزجاجة في راحة يدي ولم أتركها أبدًا.

و ذهبت إلى المنزل، يومين كاملين يا (أشرف) وأنا في انتظار والدك لحضوره يوم الأحد كما أخبرني خالك الأسبوع الماضي، يومين كاملين لم أتوقف على البكاء مما فعلته، هل فعلا سجدت

لهم؟حاولت الصلاة وعاودت يدي للشلل مرة أخرى فابتعدت تمامًا عن الوضوء وعن الصلاة أو حتى استغفار ربي لأن كل ما أقوم به كان يعلمه يا ولدي ولم أقوَ على إغضابه مما رأيت، كنت أخاف من مصيري وعقابه.

وأخيرًا أتى والدك في موعده تمامًا ليخبرني أنه في إجازةٍ لمدة خمسة أيام حتى مساء الخميس القادم وسيعود إلى العمل بعدها وكان عليّ أن أتصرف كما أخبرني (مصباح) تمامًا لذلك كنت يوميًا بعد العشاء أقوم بعمل عصير له وأضع السائل فيه بعد أن أتذوقه خوفا من أن يكون له أي طعم، فلم أجد له طعمًا أو حتى رائحة، كنت أسقيه يوميا وأنا مرعوبة لئلا يراني أو يلمحني أو يواجهني ولن أستطيع الكذب عليه، وفي اليوم الثالث كان عليّ الموافقة على اقترابه مني بعد اعتذاري في اليومين السابقين لمرضي، وبالفعل ولكن يا ولدي أقسم لك أن من كان بجواري على السرير ليس والدك أبدًا..

- ماذا؟ من إذن كان بحوارك، لا أفهم؟

- هو والدك ولكني رأيت (مسوط) في ملامحه وجسده وتلك الأظافر التي كانت على ظهرى تقطعه لم أستطِع المقاومة ولم أستطِع القيام وكأنه يتم اغتصابي من المسخ الموجود داخل جسد أبوك بصورةٍ ما، وتركته يفعل ما يحلو له وأغمضت عيني حتى أنتهي من تلك العلاقة بأي شكل، وعندما انتهينا عاد والدك إلى هيئته ووجهه دون حتى أن يفهم ما حدث له ومن أين أتته تلك القوة التي أشعرته أنه عاد شابًا مرة أخرى فاستند على حافة السرير وهو في منتهي السعادة متناولا أحد سجائره قائلا بنشوة:

- هل تصدقين إن أخبرتكِ أنكِ ستحملين هذه المرة يا إلهام، أشعر بذلك وسيكون صبيا سأطلق عليه (أشرف).

انكشمتُ في جلدي مرعوبة مما أسمع بينما هو كان ينفث دخان سيجارته التي أقسم لك دخانها كان يكتب كلمة (مسوط) وسافر أبوك يوم ا لخميس يا (أشرف).

قفزت إلى جوارها على السرير وكانت الفكرة نفسها قد أصابتني بالرعب.:

- لا لا أريد أن أفهم تلك النقطة، أنا ابن من؟ أبي أم(مسوط) لا أفهمكِ، حددي المقصود بالله عليك، توقفي عن قصتكِ وأخبريني بتلك النقطة.

- أنا نفسي يا بنى لا أفهم ما حدث لوالدك وكأن (مسوط) احتل جسده وتزوجني، أنتَ ابن والدك لأنه لا يحدث حمل بين...

قاطعتها مرة أخرى دون أن أدعها تكمل:

- هل هذا تخمين أم يقين؟ تقولين أن (مسوط) كان في جسد أبي وأبي نفسه كان مندهشا من تلك القوة التي أصابته و..

- أخبرتك أنك ابن والدك يا (أشرف) لا تدع الخزعبلات التي كانت تطوف في عقلي أنك ابن الشيطان يا ولدي، دعني أكمل بالله عليك فأنا أشعر بدنوّ أجلي:

- لا أرتاح ليقينكِ هذا يا أمي حسنًا، أكملي.

- سافر والدك وعاد بعدها بأسبوعين وخلالها كنت على نفس الحالة يا ولدي لا صلاة ولا قرآن ولا أي شيء يدل على أني

مومنة بالله من الأصل، وعلى الرغم من بكاء قلبي كل ليلة عما صرت إليه ولكن كنت اقنع نفسي أن هناك دوما وقت للرجوع والندم ولكن متى؟ تمنيت الاستغفار والدعاء لكني كنت مرعوبةً من (مسوط) وأتباعه، كنت أختصر دعائي فقط بالنظر إلى السماء وتركت قلبي هو من يدعي وربي أعلم بما يخفيه وما بداخله كان يهتف بكلماتٍ دون أن ينقطها لساني أو حتى شفتاي كنت أقولها بقلبي عند سماعي للآذان الذي بمجرد سماعه كنت أسمع من داخل تلك الغرفة المغلقة عويلَ نساءٍ بداخلها يا (أشرف) لم يكن لديّ القدرة أبدًا إلى الآن على فتح تلك الغرفة. وكلما سمعتهم نظرت إلى السماء وكأن قلبي يهتف:

- يارب انجدني مما أنا فيه...

ومرت الأيام والأسابيع وفي باية الشهر الثاني اكتشفت أني حامل.

تذكر أنك حملت رواية راجيم ما تتلو الشياطين حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك.

***

الفصل السادس

أبناء الشيطان

لا يمكنك تصور مدى سعادتي أنا أو والدك وأمي وأخي اللذان هرعا إليّ بمجرد إخبار والدك لهم، سامحني الكل، وكأني لم أؤذهم يومًا، رضيتُ عن نفسي أخيرًا وشعرت أن الله يكافئني على محنتي السابقة وعلى صبري وما مررت به من أهوال، شعرت أن دعائي تحقق أخيرًا يا ولديّ، يااااه لا تتصور كمية الرضا التي غمرتني بمجرد معرفتي أني حامل يا أشرف، أيكون حلم العمر تحقق أخيرًا؟ أيكون بعد كل ذلك غفر الله لي وتقبل دعائي وتوبتي وأعطاني أكثر مما أستحق؟ هل الحياة ابتسمت أخيرًا لنا؟ ألححت على والدك أن يذهب بي لمعالج قرآنيّ ولم أخبره عن السبب بالطبع كل ما قصصته عليه أني أرى كوابيس وربما كان حسد أو سحر لي وعليّ الذهاب لفكه، لم يكن يعتقد في تلك الأمور بل اعتقد أنه هددني بدون سبب ألا أذهب لدعاة النصب هؤلاء من وجهة نظره ، المهم أحيانًا كان يتغير والدك بدون سبب ولا يصلي أو يصوم إلا صلاة الجمعة فقط وأوقات كثيرة قبل أن نقوم بالحج كان ملتزما بالصلاة كل فرض، فصمت حتى كنت في زيارتي (ثريا) زوجة عمك (إبراهيم) عليها رحمة الله إلا...

قاطعتها فجأة متذكرا عمي (إبراهيم) الذي نحرته في اللاوعي أو ما بين الواقع والخيال فسألتها

- هل مات العجوز أم لا يزال حيًا يرزق؟

- لا أعلم يا (أشرف) لقد كان (ياسر) في زيارته منذ عدةشهور

وهو لازال يشكو من القلب والوحدة والعزلة

- حسنًا، ماذا حدث بعد زيارتها؟

- أخبرتها بكل شيءٍ بيني وبينها ووقتها اقترحت لي أحد شيوخ الأزهر، كانت تذهب إليه لأخيها الذي أصابه مس وقتًا ما، المهم ذهبنا إلى الشيخ قرشيّ ربنا يجازيه خيرا يا ولدي، أخبرته على كل شي وأخبرني أني كنت في الكفر البين وردني إلى الإسلام دون أن أعلم أني كنت خرجت منه بسجودي لهذا الملعون، كنت أذهب له أسبوعيا وتخيل أني أصبحت مداومةً على الصلاة والصوم تطوعا وقراءة القرآن، أقسم لك أن المنزل أصبحت فيه بركة لا تتخيلها ورائحة عطر مستديمة بدلا من رائحة الجيف التي كانت في أنفي دائما، سبحان الله هذا الرجل له فضل كبير عليّ اللهم ارحمه رحمة واسعة .

- وهل تركك الأبالسة بعد كل ذلك؟

- مر الشهر الثاني والقرآن لا ينقطع من المنزل وأسبوعيا يأتي الشيخ (قرشي) إلى المنزل ليقرأ فيه قرآن ويطرد الشياطين الذي أخبرني أنها كانت في كل ركنٍ فيه وخاصة تلك الغرفة المغلقة التي كان يجلس بجوارها ويقرأ قرآن دون أن يفتحها، وتعدلت أمورنا كثيرا جدًا فوالدك انتقل إلى العمل في القاهرة وكان يوميا يذهب لعمله في الصباح ويعود في المساء كأيّ ربّ أسرة، وتحسنت علاقتي بأمي وأخي جدًا وقدروا أني كنت أمرّ بظروف صعبة، وظللت أشكر (ثريا) حتى يوم مماتها و...

ظلت أمي تتحدث وتذكرت وقتها عمي الذي كان يزحف وقت موته وكتب لي كلمة (مسوط) على الباب والآن كل الأمور تظهر

أمامي فحاولت أن أسألها بصورةٍ غير مباشرة

- هل أخبرتِ أحدًا ما عن كل ما حدث أم ثريا فقط؟

- لا والله هي (ثريا) فقط.

- وعمي هل كان لديه أيّ علمٍ بالموضوع.

- لا أعلم والله يا (أشرف) لكني لاحظت أنه عدة مرات بعد وفاة (ثريا) يقترب مني ليهمس في أذني ويسألني عن أحوالي وعن الأمور بيني وبين زوجي وسألني عدة مراتٍ عن الشيخ (قرشيّ) فشعرت أن (ثريا) قبل أن تموت ربما أخبرته بموضوع (مسوط)

سكت برهةً وهي كانت تشرب بعض الماء رغم اندهاشي من كثره ذلك، المهم إذن عمي العجوز قبل موته وكأنه يخبرني أن كل ذلك من صناعة (مسوط) أو أنا بداخل عالمه الافتراضيّ الذي لا أعلم أيّ شيءٍ عنه، ياربي كلما تعمقت في الموضوع كلما زادت حيرتي أكثر، قطعت أمي حبل أفكاري وهي تستطرد:

- الدنيا أصبحت لها طعم آخر يا أشرف، وانتهى ذلكالكابوس حرفيا، وبعد عدة شهور بدأ الهم التوتر والقلق يعود إليّ مرة أخرى بعدما وجدت (خيرية) أم الشؤم التي كنت نسيتها تمامًا تطرق بابي بعد مرور سبع أشهر كاملة، نسيتها لدرجة أني ظننت أنها ماتت أو سافرت أو انتقلت إلى مكان آخر أو ضحية أخرى، فوجئت بها تقف أمامي وقد اسودت وظهر غضب الله على وجهها وخاصة مع نظرات الغضب التي كانت ترمقني بها، لم أدعها تدخل وحجزت بينها وبين دخولها البيت فتفاجئت من رد فعلي فعادت خطوةً إلى الوراء وبدأت في تأنيبي قائلة.:

- أهكذا يا إلهام تحرجيني مع الشيخ مصباح؟ أنت أصبحت واحدة من التابعين لا يحق لك أي وقت في فعل ما قمتي بفعله، أتهربين؟ الهروب مستحيل معنا يا إلهام، أنت بذلك تنقضين العهد وأعتقد أن سيدنا أخبرك بسوء من ينقض عهدنا يا امرأة، لقد ذقتي الويل لمجرد كلمة عابرة لم ترق للشيخ مصباح فما بالك بنقض عهد التابعين يا إلهام، عودي لعقلك أولا وبعدها سوف نذهب إلى...

لم أسمح لها بإكمال حديثها فانفجرت في وجهها بعدما تذكرت الأوقات السيئة التي مررت بها، انفجرت بها وكأنني في عراكٍ مع الشيطان ذاته يا أشرف، ووقتها لم تتمالك نفسها واندهشت من رد فعلي وبدأت في سبّي بأفظع الألفاظ، لم أتمالك نفسي ولا أعلم إلى الآن من أين أتت لي هذه القوة إلا بعد أني أمسكتها من رقبتها وأزحتها من أمام باب الشقة دافعةً إياها على السلم صارخةً في وجهها:

- اذهبي عليكِ اللعنة أنتِ ومصباح النجس وشيطانكم مسوط وأعوانه إلى جهنم، لعنة الله عليكم لعنة الله عليكم، لا أريد أن أراكِ مرةً أخرى أو أسمع تلك الأسماء النجسة أمامي، مصيركم إلى النار بإذن الله خالدين مخلدين فيها يا أبناء الشيطان.

وكأني أزيح جبل ثقيل يا أشرف فكانت المرأة وكأن وزنها أصبح ألف كيلو يا ولدي لم تتحرك شبرًا واحدًا وظلت واجمةً تنظر إليّ في ذهول من أين أتتني هذه القوة لأطردها وألعن سيدها بهذا الجبروت.

بدأت تهمس لشيءٍ ما من فوقي فلم أنظر واقتربت منيوقامت بعمل حركة غريبة فقد وضعت يدها على بطني وربتت لكني

دفعت يدها في عنفٍ؛ فأردفت:

- حسنًا، يا إلهام سأمشي ولن تريني مرة أخرى ولن تسمعي تلك الأسماء القذرة النجسة من وجهه نظرك ولكن رسالة أخيرة من الشيخ (مصباح) بعدما علم ما حدث بيننا الآن..

وبدأت في الارتعاد يا أشرف وتحول صوتها إلى صوت ذلك النجس، أقسم لك وأخبرتني وأنا أرتعد أنا الأخرى:

- لقد خنتي العهد، وأطفئتي الود، وأشعلتي نار الغضب، لك من (مسوط) ما تستحقينه أنتِ وأسرتكِ، طفلكِ هذا سيكون وبالًا عليكم وسببًا في هلاككم وانقطاع نسلكم، سيكون ملعونًا بلعنة (مسوط) الأبدية حتى يلقاه ويصبح من التابعين، وبعد وصوله للأربعين سيقوم بعمل ما عجزنا عنه وستكون نهايته منتحرًا وحيدًا مجنونًا لاعنا جنسكم جميعا..

وبدأت (خيرية) في الضحك الهيستري مع نف صوت الصراخ الذي عاد ليدب في أذني مجددا فدخلت مسرعه وأغلقت الباب من خلفي وهي لا تزال تصرخ، لمحتها يا ولدي من قطعة الزجاج المكسور تهبط إلى الأرض وتزحف بيدها وقدمها على الممر الموجود أمام باب الشقة، ثم بدأت تهرول كحيوان مسعور وهو تعوي كالذئب، بدأت أرتعد بطريقةٍ لم تحدث من شهور ومادت بي الأرض واسودت عيناي وشعرت أني أختنق فأسرعت إلى المصحف، قاومت وقاومت وأنا أقرأ سورة يس حتى هدأت أنفاسي مرة أخرى ولكن تبقت الوسوسة إلى الآن، أيكون ابني هو سبب هلاكنا، أيكون، سمعت عدة اصوات تأتي من الغرفة الملعونة فبدأت في البكاء وعندما أتى والدك أخبرته أن علينا الانتقال من تلك الشقة إلى الأبد، ولأنها من ورث والده لم يرِد

تركها فأخذنا إلى شقةٍ أخرى وانتقلنا إلى منزلنا في حلوان وأغلقنا الشقة تلك وكل فترة كان يذهب لتهويتها والبيات فيها يومين، ومرت الأيام والأسابيع والشهور والسنوات يا أشرف حتى كبرت وأصبح عمرك عشر سنوات وأنا أخفيك داخل قلبي مرعوبة من أيّ شيء يمسك، وكل شيء يقترب منك أحاول طمأنة نفسي أنه لن يحدث شيء مما قالته الملعونة لكن عندما أنظر إليك أرى ذلك الطفل الذي كان في بيت (مصباح) النجس كنت بنفس الشكل والهيئة وحتى الشعر يا أشرف.

- وما معنى هذا، أنا حتى الآن لا أفهم؟

واستمرت دون حتى أن تهتم بما أقوله

- ومرت الأيام وبدأت أشعر وقتها بآلام ثقيلة في قدمي لدرجة أنها أصبحت أحيانًا لا تقوى على السير كالعادة دون أيّ سبب مفهوم، وعدنا مرة أخرى لرحلة العلاج أطباء وأطباء دون معرفة السبب الذي يجعلني أتحرك ببطئ شديد، حتى أصابتهم الشلل تمامًا

- ألم تذهبي إلى الشيخ قرشيّ؟

- توفي الشيخ قرشي بعد ولادتك مباشرة، لكنه أخبرني أني سأحمل في القريب مرة أخرى

- ياسر؟

- نعم، فبعد أن شللت تمامًا أيقنت أن ذلك عقاب من الله لما قمت بعمله في الدنيا ورضيت بهذا وأيقنت أن الرحمن الرحيم سيغفر لي ويعذبني في دنياي حتى ألقاه بقلبٍ سليم ولا أتعذب بكفري في الآخرة، ورضيت أقسم بالله رضيت ورضيت وحمدت

الله ليل نهار على هذا الشلل فهو بمثابة استغفار لذنبي يا ولدي على الرغم من دهشة والدك على صبري وتحملي لكل ذلك..

- وشياطين مصباح هل تركوكِ؟

- إلى حدٍ ما ولكني كنت أرى وجه (مسوط) من وقت لآخر في المرآة في المنزل الجديد وهو يتوعدني بسخرية، المهم مر الوقت وأنا راضية بقضاء الله حتى فوجئت أني حملت في سني الكبير وشائت إرادة الله أن أحمل طبيعي بعد فترةٍ كبيرة من ولادتك حتى أتى شقيقك (ياسر)، وقتها دب الرعب في قلبي مرة أخرى وبدأت فكرة أنك ستكون سببا في هلاكنا، كلما تذكرت ذلك أستغفر الله وأطمئن نفسي أنها ألاعيب الشيطان التي لن تنتهي إلا بقيام الساعة وهكذا مرت السنوات ما بين وسوسةٍ واستغفار، حتى كبرنا كلنا ووالدك توفي، وكبرت أنت وشقيقك ولكنك لم تنهِ تعليمكَ يا أشرف وبدأ سلوكك يتغير وبمجرد وفاة والدك كنت أنت في بداية العشرينات ولكننا صبرنا عليك وتحملتك بكل الصور وحتى شقيقك الذي كان يعتبرك بمثابة أبوه ولست شقيقه الأكبر فقط فقد كان يحبك بجنون على الرغم من أنك كنتَ تضيق بذلك ومرت السنوات حتى وصلت إلى سن الأربعين وقتها وضعت يدي على قلبي وأنا أتذكر كلام الملاعين وللأسف بدأت أولى مشاكلك النفسية تظهر لك ..

- مشاكل؟ كيف ذلك؟

- عملت وهم في مخك وخلقت شخصية جديدة اسمها (أيمن مكاوي) وهذا الشخص كان مهندس يسكن بجوارنا في البيت الجديد لدرجة أنكَ كنت تزوره مكان عمله وتتوهم أنه مقر عملك وسببت له العديد من المشاكل وكل مرة تعتذر له وتزيد الأوهام

بداخل رأسك وتعود إلى افتعال المصائب مرة تلو الآخرى وتهرب من عالمنا إلى عالمك الخاص وها أنت ذا خلقت لنفسك حياة وزوجة وابن وأقمت في بيتنا القديم، الأوهام جعلت منك مجنونًا يا أشرف وحاولنا علاجك لأكثر من مرة وكنت نزيل إحدى المصحات النفسية العديد من المرات، لم نبخل عليك بأي شيء يا أشرف أتعلم لقد توهمت أنك شقيقك (ياسر) ومرات توهمت أنك أنا، تخيل..

وبدأت أمي في السخرية والضحك، لم يكن حديثها مقنعا لي بصورةٍ مباشرة فقد كنت أشعر أن هناك ما تخفيه هي الأخرى وإنما تخبرني بما هو مسموح لها فقط، وعشرات الثغرات في حديثها وكلما استفسرت عن شي مهم كانت لا تصغي أبدًا لتستمر في الحكي فقط بدأت أشك مرة أخرى في الأمر بمجمله هل ما حدث لها فعلا حدث أم ما حدث لي أنا هو ما حدث بالفعل أو أنني فعلا قد أصبت بالجنون وكل ما حدث لي أوهام، وإن كانت أوهامًا فلماذا يخبرها (مسوط) أني سأصاب بالجنون وأكون سببا في هلاك الأسرة من بعد الأربعين ولما دوما الأربعون هي ما تتغير الأمور بعدها؟ ظلت واجمةً تنظر من خلفي وأنا لازلت أعيش داخل تفاصيل قصتها وتذكرت مصيبة في حديثها عندما أخبرتني أن من كان معها يوم معاشرة أبي لها كان (مسوط) في صورة أبي، اللعنة أيكون أبي هو (مسوط)؟ أتكون كلمة أبونا (مسوط) التي أخبرني بها (هرماز) هو بالفعل ما يقصده؟ وعندما أخبرني أننا إخوة؟ أيكون كل ذلك حدث لي فعلا؟

اللعنة هل أكون أنا ابن ذلك الملعون؟

وضعت يدي على رأسي لكى أتخلص من هذا الوسواس الذي بدأ يزيد في عقلي وصوت أمي التي بدأت في العويل دونما سبب..

- اسكتي يا أمي بالله عليك اسكتي اسكتي.

صرخت في أمي دون أن تتوقف اقتربت منها محاولا إسكاتها لكنها لم تهتم بما أقوله، وضعت يدي على رأسها لتصمت فلاحظت أنها ترتعد بشدةٍ وهي تنظر إلى شيء ما على الحائط، لم ألتفت إلى ماكانت تنظر إليه لأني لاحظت مصيبةً أخرى وأنا أضع يدي على رأسها فقد بدأت الوشوم السوداء تظهر على رقبة أمي وتمتد إلى يدي، إذن أنا لم أكن أهذي عندما مررت بكل ذلك.

كانت أمي في تلك الأثناء قد بدأ صوتها يتحشرج وتصرخ، حاولت إسكاتها دون جدوى وبدأت تشير مرعوبةً إلى شيءٍ ما يحدث في الحائط وتحديدًا ناحية تلك البقعة الملعونة في الجدار، قفزت من جوارها وأنا أرى أن الجدار يبدأ في التموج، شللت أنا وهي عندما وجدنا تلك القدمين المشعرتين لقزم مشوه يأتي من خلالها، وبمجرد دخوله تبعه قزم آخر فآخر فآخر وامتلأت أرضية الغرفة بتلك الأقزام الممسوخة التي كانت تزحف على يديها وقدميها مثل الحيوانات، وما لبثنا حتى سمعنا صوتا يشبه العواء يأتي من خلف الجدران، وقتها سجد الأقزام جميعًا وسكنوا تمامًا وأخيرًا ظهر مسوط الملعون من الجدار الذي فتح وكأنه يفتح بابا أسودا مطل على الجحيم نفسه، ولم لا وقد لمحت أنه يأتينا من مكان تستعر فيه النيران ويمر خلالها حتى دخل إلينا، توقف قلبي عن الخفقان فقد رأيته أخيرًا مرة

أخرى، لم أهذِ إذن ولم يصِبني الجنون كما تخبرني العجوز..

اقترب من السرير وهو ينظر إليّ بعينيه الناريتين وبدأ يتحسس على أقدام أمي ثم بقية جسدها وهي تصرخ بذلك الصوت الذي كان يفزعني أكثر من رؤيته حتى وصل لرقبتها وقد بدأت في التشنج وكأنها قد أصابها الصرع.

لم أتأكد مما يحدث أمامي إلا بعد أن وجدت وجه أمي يبدأ في الزرقان وكأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة، بينما كانت يد مسوط تمسك برقبتها لتحطمها وهو ينظر إليّ في سعادة..

أي شخصٍ آخر كان سيكون في مكاني، فسينقذها إلا أنا، عدت بظهري إلى الخلف وأنا أصطدم بتلك الأقزام واقعًا أرضًا ووسمعت صوت عظام رقبة أمي تتهشم وصرخات هيتسيرية في أنحاء الغرفة، وجدت نفسي أخرج من الجدار أنا الآخر ومن خلفي عدة صور مني،.لو انتظرت دقائق أخرى لأصابني الجنون، اقترب أحدهم من أمي التي كانت لا تزال تقص على أحدٍ آخر شبيهًا لي يجلس أمامها ولم تمت وخرج ثالث شبيهي من الجدار مستلا سكينًا حادًا ليقترب من أمي ثم يقوم بنحرها كما ينحر الشاة تمامًا. بدأت دماء أمي تنتشر على جدران الغرفة والأرض بكميات غير طبيعية وتتحول إلى بقعٍ سوداء وهي لا تزال تنتفض واضعةً يدها على رقبتها لإيقاف النزيف، نظرت إلى يميني فوجدت مشهدا آخر في الجدار من خلال الباب المفتوح على جهنم تلك فكانت أمي لا تزال في سريرها تقص على (أشرف) الجالس أمامها وهي تبكي.

سمعت صوت (ياسر)وهو يغلق الباب ثم ما لبثت أن سمعت صرخاته فهرعت إليه لأجد نسختين مني أحدهم جالسا فوق

ظهره والآخر يقترب منه ليمسك رأسه ثم يذبحه، بدأت في الصراخ بدوري أنا الآخر وخصوصًا أنهم كانوا قد بدأوا في الاقتراب مني للتخلص مني أنا أيضًا على ما يبدو، فهربت من الشقة الملعونة وخرجت مسرعًا لا أعلم إلى أين أتجه، خطر في رأسيي محل (هرماز) القديم بالطبع؛ فهو من سيكون لديه عشرات الأجوبة لي، ألست من التابعين المخلصين أنا الآخر؟

وكأن الأرض انشقت وابتلعت الحارة التي لم أجد بها أيّ دليلٍ أو إشارة ظللت في البحث حول مسجد السيدة نفيسة دون أي جدوى أخرج من شارع إلى حارة إلى أختها إلى زقاق يودي بي إلى الشارع مرة أخرى وكأني أبحث عن إبرةٍ في كومة قشّ..

لم أتيقّن هل أصابني الجنون حرفيًا مما رأيته من ساعاتٍ أم وهم؟ اللعنة على كل شيء، إن لم أكن قد أصِبت بالحنون فبالتأكيد أنا في طريقي إليه، جلستُ على الرصيف واضعًا يدي على رأسي وأنا شبه مشلولٍ مما رأيته، وخاصةً حين لم أجد ما يثبت لي أنه لم يكن وهم ، حتى خطرت لي تلك لفكرة المجنونة

المقابر، إن كان فعلا كل ذلك حدث فبالتأكيد سأجد جثة (أشرف) في حال كنت أنا أيمن وجثة (عمى) في حال أني قتلته..

***

لم تكن المقابر بعيدة عن السيدة نفيسة فمقابرنا بالقربمن السيدة عائشة وكان الوقت يقترب من آذان العشاء تقريبا، كنت أعرف مقبرتنا جيدًا ولم لا، ألم أنم ليلة كاملة فيها، اقتربت منها وأنا أرتعد بالفعل فقد كان القفل الجديد موجود نفس القفل الذي أحضرته من قبل، يا ربي هل أهذي أم أنا مجنون أم كل

ذلك من الملعون (مسوط) بعد أن خلق وهمًا كاملا في رأسي، ألم تخبرني أمي أنه لديه القدرة على خلق ذلك؟

لم أشعر بنفسي إلا وأنا أحطم ذلك القفل مرة أخرى ولكن هذه المرة كاد أن يغشى على من قوة الرائحة التي هبت عليّ بمجرد فتح الباب الحديدي حتى كدت أن أختنق وأنا في الخارج، نظرت حولي فلم أجد أحدًا فتركت الباب مفتوحًا وكان عليّ الدخول للتأكد مما حدث من قبل، وتمامًا كما رأيت من قبل أن أقسم لكم كان المكان تمامًا كما تركته دخلت وكان هناك عدة أكفان مكومة في جانب من القبر وإحدى الجثث مكفنة وموضوعةً على جانبها الأيمن، كنتُ على وشك الإختناق ولكن كان عليّ التأكد أن هذه هي جثة (أشرف) ابني، اقتربت من الجثة وبدأت في رفع الكفن الأبيض من على وجهها لكني ذُهلت عندما وجدتها لجثةٍ لا زالت دافئة وكأنها دُفنت صباح اليوم وبمجرد تسليط ضوء هاتفي على وجه الميت كدت أن أقع مشلولا..

فقد كان المتوفي هو أخي (ياسر) وقد ظهر قطع كبير في رقبته وكأن أحدهم ذبحه بسكينٍ حاد، أيكون ما شاهدته صباحًا هو فعلا ما حدث؟ ولكن كيف وقد تركت الشقة منذ أقل من ساعتين؟ هل مر الوقت عليّ بكل تلك السرعة أم ماذا؟

وقتها أصابتني لوثة وبدأت ألتفت ناحية بقية الأجساد البالية واقتربت منهم وبدأت في تمزيق ما تبقى من أكفانٍ لرؤية المتوفيين لكني لم أجد سوى عظامٍ مهترئة وجماجم مرعبة، ولكني لم أرَ (أشرف) لم أجده، لا توجد أيّ جثثٍ حديثة إلا جثة أخي (ياسر),

كلما تعمقتُ في الأحداث التي أرويها عليكم كلما اقتربتُ من الجنون أكثر فأكثر، خرجتُ من القبر مسرعا ولكن بعد أن ابتعدت عدة أمتار سمعت هتافًا في عقلي بصوت ذلك الملعون

- هل ستذهب قبل رؤية (إلهام) يا (أشرف)؟

لم أفهم ما يقصده؛ فالتفت ناحية القبر مرة أخرى فوجدت ذلك الكلب الأسود الضخم وهو يجلس على فتحه الباب الحديدي الآخر المخصص للجزء الذي يدفن فيه النساء، ارتعبت من الفكرة ذاتها ولكني تذكرت أمي التي قتلها الملعون أيكون قد قصد فتح هذا القبر هو الآخر والتأكد من موتها أم كل ذلك من عالم الوهم المخلوق في خيالي المريض؟ تناولت قضيبًا حديديًا وجدته في الجوار، أقسم لكم أنه نفسه الذي استخدمته من قبل في كسر القفل، وضعته في جانب القفل محاولًا كسره وتم ذلك بالفعل وكسرت الباب وهبت نفس الرائحة القاتلة هي الأخرى ولكني قفزت إلى الداخل، كان كل ما يشغلني هو التأكد بالفعل من موت أمي، هذه المرة وجدت جثة على جانبها الأيمن اقتربت منها وسلطت هاتفي وبدأت في فك الكفن ورفعه عن الوجه.

-لقد كانت أمي-

بدأت في البكاء وهي بين يدي، ماتت أمي دون سبب لمجرد لعنة أصابتنا طوال هذه السنوات، ألف لعنةٍ عليك يا (مسوط) وأعوانك وشياطينك وتابعيك وأنا أولهم، حاولت الصراخ ولكن يدي التي كانت تحتضن أمي وجدتها تتوشم مرة أخرى وبدأت أصدر صوتًا كعواء الذئب، وأنا بداخل القبر

لم تمر عدة ثوانٍ حتى رد عليَ الكلب الآخر الموجود خارج القبر بنفس العواء، وكأني أصابني الجنون بدأت في العويل أنا

الآخر مجيبًا عليه، وبدأت أصوات كثيرة داخل المقابر المجاورة ترد عليّ بنفس العواء وكأني أقودهم كما يقود الذئب بقية القطيع، لكني سكت فجأةً عندما سمعت ضوضاء لعدة أشخاص تقترب، أخرجت رأسي فلم أجد الكلب، بل وجدت حارس المقابر يصرخ عليّ عندما وجدني مشيرا إلى العديد من الرجال التي بدأت تحيط بالقبر.

- النجدة، أسرعوا، لصوص المقابر، أطلقوا النيران.أطلقوا النيران اللص داخل القبر إني أرى رأسه وسمعت صوت طلقات رصاص فقفزت خارجا وجريت كما يقفز الكلب على المقابر والمدهش أني كنت أعدو بقدمي ويدي مثل الحيوانات تمامًا ومن بعيد سمعتُ صوت الرجل:

- قف، لقد عرفتك أيها اللص، هل ستسرق جثة أمك يا أشرف؟ الشرطة، استدعوا الشرطة.

وهنا أصبحت لصا ومجنونا تمامًا، وكان عليّ أن أقرر الخطوة التالية إلى أين..

-الشيخ حسن صديق العمر-

***

هل تعلمون أن الأيام أصبحت بالنسبة لي ثابتة على يوم الأربعاء الأول من إبريل، مرت عدة أيام على حادثة أمي والقبر وأقسم لكم أنا لا أعلم كيف قضيتها أو أين قضيتها، ربما في غرفة كانت على سطح منزلنا الجديد في حلوان كنت أستعملها أوقات شبابي وأجلس فيها بالساعات ولم أستطِع دخول منزلنا فلم أجد أي مفاتيح معي..

وبعد صلاة الجمعة في أحد المساجد القريبة إلى حد ما من منزلنا، كما أعطاني الميعاد، جلست أنا والشيخ حسن بعد أن انتهى من صلاته فلم أستطِع الاقتراب من المسجد حتى فرغ الجميع من صلاة الجمعة، وكان في انتظاري بالداخل، لكني اعتذرت وأخبرته أني سبقته إلى الحديقة القريبة أنتظره فيها بعد أن وجدت المقهى الذي كنا نجلس فيه مغلقا اليوم دون سبب، لم أكن أطيق الاقتراب من المساجد للأسف، المهم تلاقينا أخيرًا وجلسنا وبدأ هو بالسؤال عن أحوالي وأحوال أمي وأخي فتيقنت أنه لم يعلم بما حدث لهما إن كان فعلا قد حدث ولم أكن أتوهم، وكان عليّ أن أقص له الموضوع منذ بدايته..

لم ينطق حتى انتهيت من حكايتي ولم يصدقني في بداية الأمر، وأحيانًا كان ينظر إليّ كما لو كان ينظر إلى مختل وأحيانًا يرجع بظهره إلى الوراء وكأن لديّ مرض معدٍ إلا أني بعد أن انتهيت، نظر إليّ وسكت لمدة دقيقةٍ كاملة، لكنه بدأ بحمد الله والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكأنه سيلقي عليّ خطبة الجمعة التي هربت من أدائها اليوم.

- اعلم يا أشرف أن إبليس كان من أشراف الجن وأكرمهم قبيلة ومن أفضلهم إلى الله سبحانه وتعالى، وكان خازنا على الجنان وأفرد له الرحمن سلطان السماء الدنيا وسلطان الأرض، وكان مما سولت له نفسه من قضاء الله أنه رأى أن له بذلك شرفا على أهل السماء، فوقع من ذلك في قلبه كبران لا يعلمه إلا الله، وعندما خلق الله آدم وفضله على الملائكة، استخرج الله ذلك الكبر منه حين أمره بالسجود لآدم، فاستكبر وكان من الكافرين. لأنه خصّ سبحانه وتعالى البشر بثلاثة نعم رئيسية نعمة العقل، والدين، والحرية في الاختيار والتصرّف في أغلب

أمورنا، وقد كان إبليس أول من أساء استخدام نعم الله عليه، واستغلها في التمرّد على أمر الله تعالى به، فامتنع عن السجود لآدم عليه السلام رغم أن الله تعالى قد أمره بذلك ممّا أدى إلى أن يطرده الله تعالى من السماء، ويحقّ عليه لعنته إلى يوم القيامة إلا أن إبليس أصرّ على عصيانه، بل وطلب من الله سبحانه وتعالى أن يُمهله إلى يوم البعث حتى يتمادى أكثر في استغلال تلك النعم من خلال إغواء بني آدم، وتزيين المعاصي لهم ليكونوا رفاقًا له في النار؛ فكلّ ما يقع بين الناس من كفرٍ وقتلٍ وفواحشٍ وزنا وسفور ونحو ذلك هو من عمل الشيطان الذي أعلن عداوته لبني آدم من ذلك اليوم الأول وتتخذ عداوة الشيطان لبني آدم صوراً عديدةً، فمنها تزيين الشرور والآثام لهم ومنها الوسوسة لهم في أعمالهم ومنها قعوده للإنسان في كلّ طرق الخير محاولاً أن يصرفه عنها ويثبّطه عن فعلها، ومنها حرصه على إلقاء العداوة والبغضاء بين الناس، ومنها إيذاؤهم بالشرور والأسقام وحتى يحقّق الشيطان بغيته في إضلال الإنسان، فإنه يسلك طرقه الأربعة، اليمين والشمال والأمام والخلف، فأي طريق يسلكها الإنسان يجد الشيطان ماثلاً فيها، وله في الوسوسة للإنسان مداخل ثلاثة؛ هي: الهوى، والشهوة، والغضب، فطبيعة الشهوة بهيمية، يظلم الإنسان بها نفسه وتؤدي به إلى البخل، أمّا طبيعة الغضب سبعية، وبها يظلم الإنسان نفسه وغيره، كما أنها تؤدي به إلى الكبر والعجب، وطبيعة الهوى شيطانية، يتعدّى ظلمه بها إلى خالقه، ممّا يؤدي إلى الكفر والبدعة، وللشيطان خطوات في تحقيق مراده من إغواء الإنسان، فيحاول أولاً أن يدفعه إلى الكفر والشرك، فإن لم يستطع حاول أن يدفعه إلى البدعة، فإن لم يتمكّن من ذلك

حاول دفعه إلى فعل الكبائر، فإن لم يستجب له الإنسان حاول دفعه إلى الصغائر، فإن لم يستجب أيضًا حاول أن يُشغله بالمباحا حتى يصرفه عن الطاعات، فإن لم يتمكّن منه حاول صرفه عن العمل الفاضل بالمفضول، فإن لم يتمكّن كانت خطوته الأخيرة بأن يسلّط عليه حزبه من الإنس والجنّ، حتى يشغله ويشوّش عليه حياته وعقله

- حزبه؟ ما معناها يا حسن؟

- تابعيه، أذنابه، المخلصين له عليهم وعليه لعنة الله هم من أتوك ليقلبوا حياتك رأسًاعلى عقب فاستعذ بالله منهم فقد قال الله تعالى في سورة الأعراف:

(وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ)

- شيخ حسن لا داعي لكل تلك المقدمة بالله عليك أخبرني إذن هل إبليس مثلنا يتزوج وينجب؟؟

- مهلا يا صديقي انظر معي إلى الآية القرآنية التي تقول - وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا - تلك الآية جعلت كثيرا من المفسرين يتوقفون عند كلمة وذريته ليتسائلوا هل لإبليس ذرية؟ ، وما علمته أنه نعم، للخناس ذرية ولكلّ واحدٍ منهم مهمة محددة يقوم بها وذلك على حسب ما أورده الطبري والقرطبي في تفسيريهما حيث قالوا إن لإبليس عددا من الأبناء ولكل منهم اسم ووظيفة، فقد نقل الطبري عن

مجاهد أنه قال أن ذرية إبليس هم:

أنبور: ويسمى صاحب الأسواق، ويضع رايته في كل سوق بين السماء والأرض يجعل تلك الراية على حانوت أول ما يفتح وآخر من يغلق، يحاول خلق المشاكل دوما ما بين البائع والشاري ينفث غضبه بينهم ويجعل التجار يغشون في الميزان والسعر ويبيعون بأكثر من سعر لنفس الشيء.

ثبر: يسمى يا صديقي صاحب المصائب حيث يأتي مع كل نكبةٍ تصيب الإنسان ويأمر بضرب الوجوه وشق الجيوب، والدعاء بالويل والحرب. واللطم كما نرى في بعض المصائب الكثير من النساء تفعل ذلك

الأعور: وهو الملعون صاحب أبواب الزنا والعياذ بالله ومن يقوم بتحليته في عيني بني آدم وتهوين الأمر عليه بحيث يلهيه عن عقاب الله.

داسم: الذي إذا دخل الرجل بيته فلم يسلم، ولم يذكر اسم الله، شاركه في كل شي من بيته وأهل بيته اذا اجتمع بهم أو حتى إذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه. وموجود في كل بيت لا يذكر الله فيه وينفث الخلافات والفقر وسوء المعاشرة.

ونقل القرطبي عن الثعلبي وغيره عن مجاهد أن هناك أولادا آخرين هم:

الأبيض: وهو الملعون الذي يوسوس للأنبياء.

صخر: وهو الشيطان الذي اختلس خاتم سليمان عليه السلام.

الولهان: وهو صاحب الطهارة يوسوس فيها.

الاقيس: وهو صاحب الصلاة يوسوس فيها، واسمه في صحيح مسلم -خنزب-.

مُرة: وهو صاحب المزامير، وبه يكنى إبليس.

الهفاف: وهو يكون بالصحاري يضل الناس ويلهيهم، وقيل أنه المسؤول عن الشراب -شرب الخمر-.

الغيلان: ولم تذكر التفاسير مهنته.

لقوس: صاحب التحريش الذي يحرض الإنسان للتحرش

وزاد الداراني:المتقاضي وهو من يخبر ابن آدم بعمل كان عمله في السر منذ عشرين سنة، فيحدث به في العلانية. فالله قد ستره إنما هو يظل يوسوس له هذا الشيطان حتى يفضح نفسه وصاحبك (مسوط)

وقتها ارتعدت وأنا أمسك في يديه مكررًا ذلك الاسم فابتسم قليلا ليكمل:

- ومسوط صاحبك هذا يا أشرف عليه لعنة الله هو المسمى بصاحب الأخبار، يأتي بها فيلقيها في أفواه الناس فلا يجدون لها أصلا، ويمشي بين الناس بالكذب والويل لمن يتبعه فهو يخلق عالمًا آخر في عقله يكون هو المسيطر فيه هو الإله والعياذ بالله هو من يسير التابعين ليقوموا تمامًا بما حدده لهم من أوامر تثير غضب الله عز وجل والويل كل الويل لمن سار في ركابه فالملعون هو أصبح متحكم بعقولهم بما يبثه من سموم ووهم بداخل رؤوسهم ألم يقل سبحانه وتعالى في سورة الأعراف على لسان الشيطان عندما قال:

(قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ)

وأعتقد أنك للأسف مررت بتلك التجربة منذ بداية موافقتك على الجلوس لأحد التابعين له المسمى...

- هرماز

- هرماز، أو مصباح أعتقد أنهم لنفس الشخص أو اثني أو أكثر أو أيًا كان أسمائهم هم من البشر التابعين له والكثير منهم ما يكون في أشد حالات الكفر البيّن والسحر مطلقا عن نفسه الشيخ وهو أبعد ما يكون عن الشيوخ بل هو كلب نجس يستقطب الناس الذين لديهم مشاكل خاصة ويمهد له أنه يستطيع حل مشكلتهم مقابل التضحية أو العهد كما أخبرتني وكما مر عليك للأسف.

- وهل هناك غيرهم يا شيخ حسن؟

- بالطبع يا أشرف هناك العشرات ممن لا نعلمهم وربما المئات فللشيطان وجوه كثيرة وأبناء كثر وكل ما نراه هو تلك الغواية التي أخبر إبليس بها في تحدٍ لله رب العالمين، ألم يخبرنا قائلا وبعزتك لأغوينهم أجمعين، نحن في غواية مع الشيطان إلى يوم القيامة يا أشرف

- والحل؟

- عد إلى الله، عد إلى كتاب الله وسنة رسوله.

- يا حسن أنا لم أبتعد عن كتاب الله، أنا أريد حلا لاتخبرني بأن أقوم لأتوضأ وأصلي وربما تتركني تلك الملاعين.

- هو ذاك الحل الوحيد أقسم لك، صدقني هو من يخبرك أنه لا أمل من الفكاك منه حتى بالقرب من الله والعياذ بالله، الملعون لا يزال بداخل رأسك وهو من يصور لك أنك هالك لا محالة إن تركته.

- والحل يا حسن والحل؟

- الإيمان بالله وكن على يقين بأنك لو كنت من داخلك تؤمن بأن الله قادر على إخراجك مما أنت فيه، ستخرج، إنما لو ظللت مقتنعًا من داخلك أن الشيطان قادر على إهلاكك إلا بإذن الله ستكون كافرا رسميا، فاتقِ الله ودع خطوات الشيطان ولا تستمع إلى تلاوتهم يا أشرف لا تتبع ما تتلو الشياطين واسأل الله النجاة وتذكر دائما قول الله تعالى في صورة البقرة.

(وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ)

فلا تكفر ياأشرف والعياذ بالله، كفى ما فعلته لا تكفر يا صديقي.

عدتُ يائسا بلا أيّ مأوى حتى قادتني قدماي إلى مكان بيتى أنا و(إلهام)و (أشرف)، أو حتى بيتي الذي قتلت فيه أمي بوحشيةٍ عن طريق (مسوط) أو شبيهي أصبحت يقينا لا أعلم فكل الأمور اختلطت الآن،حتى وقفت أمام منزلنا القديم وبدأ هاجس داخلي يلح علي أن أصعد إلى شقتنا الملعونة وليكن ما يكون..

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة

بمجرد دخولي إلى الشقة بعدما كسرت الباب بعد أن تم تشميعه من الشرطة، كانت هناك أصوات بالداخل وعندما دخلت بهدوء سكتت الأصوات، ولكن رائحة الدماء تملأ المكان مع وجود بقع دموية كثيرة في كل مكان بجوار باب الشقة وعلى الجدار، اقتربتُ من غرفة أمي وأثناء مروري لاحظت أن الغرفة الصغيرة التي كانت دوما مغلقة أصبحت مفتوحة وطبعا مددت يدي وأنا في قمة الرعب لإغلاقها، فلمحت ذلك الظل الأسود لامرأةٍ طويلة نحيفة تدخل فجأة إلى الجدار، وعلى الأرض ظلت تلك النسوة الموجودين منذ آلاف السنوات على ما يبدو في لطم وجوههم والندب كعادتهم بصوت نحيبٍ مرعب، لم يكن لديَ القدرة على رؤية الجسد الموجود بداخل الكفن فأغلقت الباب سريعا وتوجهت إلى الغرفة التي شهدت أحداث جريمة قتل أمي، كانت دمائها لا زالت على السرير وعلى الجدار وحتى على تلك البقعة الملعونة في الجدار وقد ازداد لونها قتامة، اقتربت منها وأنا ألتقط القشور التي وقعت على الأرض من لون دهان الحائط لكني لاحظت أن هناك فجوةً بسيطة خلف الدولاب، ربما لم ألحظها من قبل.

استجمعت قوتي وشجاعتي وأزحت الدولاب لأجد من خلفه ثقبًا كبيرا وكأن هناك قام بحفر نفقٍ داخله، أشعلتُ هاتفي لأجد فعلا أن هذا الثقب ليس إلا عبارةً عن فجوةٍ كبيرة، على شكل سردابٍ ليس له آخر.

وكأي مخبول قررت أن أدخل إلى ذلك السرداب.

***

الفصل السابع

الجحيم

ظللت أزحف بداخل السرداب وكأنه ليس له آخر، وبدأ عرقي يتصبب وأنا مندهشٌ من وجوده أصلا خلف الدولاب، كان هناك عدة أصواتٍ بالقرب أصوات أعرفها جميعا، صوت (إلهام) و(أشرف) في عراكهم المستمر يوم الأربعاء أول إبريل ونفس إلحاح (أشرف) على السفر مع أصحابه والذي سمعته عدة مرات من قبل، ثم دقيقةً أخرى مرت وأنا أزحف فسمعت صراخه بعد مكالمة زميل (إلهام) في المدرسة، كل تلك التفاصيل التي مرت عليّ بحذافيرها كنت أسمعها أثناء زحفي والذي استمر إلى مالا نهاية وقبل أن أيأس وأعود أدراجي بدأ هناك ضوءٌ بسيط، يلوح في آخره وكلما اقتربت كان الضوء يظهر أكثر في آخره فعزمت أن أكمل زحفي على الرغم من شعوري بالاختناق.

طوال زحفي كانت تظهر عدة فتحاتٍ على يميني ويساري، أغلبها لا تسمح بمرور جسدي أو حتى النظر داخلها حتى زادت حجم إحدى الفتحات فقتلني الفضول لأدخل إليها ووجدت أن إحداها تسوقني إلى المقابر، فزحفتُ وسط الأموات حتى وصلت إلى قبر أمي تمامًا كما تركتها من قبل، وخرجت لأدخل إلى الفتحة الأخرى والتي أقسم أنني رأيتُ فيها نفس النسوة وهما يحيطان بإحدى الجثث والتي كان العويل عليها، اقتربت منهم فوجدت أن الميت هذه المرة هو (هرماز)

حمدت الله أنها ليست جثتي وخرجت من الفتحة واستمريت في الزحف في السرداب وكلما زحفت ناحية الضوء بدأ صوت (إلهام) أو أمي يظهر واضحا في آخره وهي تبكي من مكانٍ ما

خلف النفق، كان السرداب يزيد اتساعًا كلما اقتربت من آخره لكني فوجئت بشيئ أثار رعبي بصورةٍ لم أتخيلها فأثناء زحفي كنتُ أشعر أن يدي تصغر وتصغر وتصغر، لم يكن لديَ المقدرة على النظر لما يحدث بجسدي ولكن بمجرد اقترابي من آخر السرداب سقطت من فتحةٍ في أرضيته لم ألحظها وبمجرد وقوعي اشتعلت النار في ملابسي دون أيّ سبب، فهرعتُ لخلعها رغم ألم السقطة كانت الملابس التي أرتديها فضفاضة عليّ جدًا ألقيتها وأنا مرعوب من أن تكون النار قد وصلت إلى جسدي ولكني تفاجأت، وكل مفاجأةٍ كانت أسوأ من التي تليها..

في البداية فوجئتُ أن جسدي تحول إلى جسد طفلٍ يقارب العشر سنوات وقد غطت الرسومات السوداء المفزعة كامل جسدي فتحول إلى جسد أسود مشوه بتلك الوشومات الشيطانية تذكرت وقتها ما كانت تقصه على أمي من واقعة الطفل العاري تمامًا ثم كانت المفاجأه الثانية كانت أمي وقد عاد إليها شبابها بعد أن رأيتها من ظهرها وهي تجلس راكعةً أرضًا أمام رجلٍ يجلس فى نفس المكان الذي أتيت إليه من قبل لرؤية مسوط مع (هرماز)، سمعت صوتها وهي تبكي أمامه وهو يحدثها بغرور:

- أخبرتك أن تطمئني يا إلهام، هذا الوشم في يدك ما هو إلا البشارة، بشارة أنك أصبحت من التابعين المخلصين والمحظوظين عند سيدنا وابن سيدنا وأما تلك الزجاجة التي في يدك اليمين هي ما ستكون السبب في حل عقدتك، وعن طريقها بشكلٍ ما سوف تحملين، المهم أن تنصتي لكل أوامري، أفهمتِ؟

وجدت أن أمي تبكي وتركع أكثر وهي تضع يديها أمامه كمن يسجد وهي تقول

- كيف ذلك يا سيدي أخبرني، هل فعلا سأحمل؟

أما المفاجأة الثالثة هي أن الرجل الجالس أمامها لمحني وقتها فتيبست في مكاني وأنا على تلك الحالة أو صورة الطفل الذي تحولت إليه وسرت رعشة قاتلة في جسدي ولم أشعر بأي شيء أو أسمع أي شي وكان آخر شيءٍ هو ذلك الرجل وهو يشير إليّ ساخرا بينما أمي تلتفت لتنظر إليّ برعب، لكن المفاجأة الرابعة والأخيرهة أنه فعلا كان صوتها لكن لم يكن وجه أمي أبدًا كان وجه تلك المرأة العوراء التي تعيش مع الملعون.

اقتربت مني وهي تضع يدها على وجهي قبل أن أفقد الوعي وتهمس باسمي في أذني بصوتٍ أجشّ كصوتِ فحييح الأفعى:

- استيقظ يا كسول لقد انتظرتك هنا عدة ليالٍ قبل أن تأتي أخيرًا، هيا قم قم قم

وبدأت في رجي:

عندما أفقتُ وجدت تلك المرأة العوراء بجانبي وهي تمسح حبات العرق التي سالت على وجهي ولازلتُ في صالةِ المنزل وكل ما حدث لي كان من عالم الملعون فقد أصبحت أقف بين عالمين الحقيقي والشيطاني، الواقعي والكاذب..

تراجعت بذعر؛ ففزعت العجوز من هي الأخرى رد فعلي فجفلت بدورها، كانت قبيحة الوجه بصورةٍ لم أرها من قبل وعلى تجاعيده ظهر غضب الله عليها، وعلي رأسها طرحةٌ غطت عينها المفقودة بها، وكل ذلك مع نحافتها الزائدة وظهرها المقوس

ووجودها بجانبي في المكان كان كل ذلك يزيد رعبي منها وخاصةً عندما اقتربت مني وبدأت في التودد بصورةٍ كدت معها أن أصدق دموع التماسيح تلك:

- اهدأ من فضلك، اهدأ يا ولدي، أعلم أنك مستحيلٌ أن تصدقني ولكن وجودي الآن ومخاطرتي بكل شيءٍ حتى أظهر لك، يثبتان لك أني أقول الحقيقة.

أمسكت عصى ثقيلة كانت بجواري ورجعت إلى الخلف ولم يكن لديّ أي رغبة في الحديث لكن ربما تلك العوراء من يكون لديها السر كله فتحاملت على نفسي وجلست بالقرب منها

- أريد أن اعرف أولا أنا أشرف أم أيمن.؟

- انت أشرف، ابني

نظرت إلى المرأة مذهولا وبدأت في الضحك بهستريا فهي بذلك فتحت لي عالم آخر وبابا آخر وكذبةً أخرى كان من المستحيل الخروج منها ولما رأتني على تلك الحالة بدأت في الكذب وكنت أشعر أنها تكذب في بداية الأمر، والغريب أني تظاهرت بالتأثر وخاصةً مع تلك الدموع التي بدأت تتساقط منها لكني وجدت أن هناك شيئا ما يدفعني إلى سماعها.

- أعلم أن كلامي مستحيل وأعلم أنك لن تصدقني لكني أقسم لك بسيدنا وابن سيدنا أنك أشرف من صلبي أنا وليس من أمك إلهام، أمك إلهام كانت عاقرٌ يا ولديّ كان من المستحيل أن تنجب ولذا أتت إلى الشيخ منذ سنوات كثيرة حتى يحل لها هذا الموضوع.

- إلهام عاقر؟ حسنًا، أكملي أكملي، اه بالمناسبة من هو أصلا

الشيخ (مصباح) هل هو شيطانٌ آخر مثل (هرماز)

قاطعتني العجوز:

- لا هرماز شيطان ولا مصباح، ومصباح هو أخي يا أشرف إنسان مثلي ومثلك كل ما كان في استطاعته أنه برع في أمور السحر واستدعاء الأسياد من سلالة سيدنا الأعظم وبدأ في أحد القرى ثم ذاع صيته بصورةٍ لم يكن يتصورها هو في يومٍ من الأيام وذلك بعد أن أدينا كل الطقوس للوصول إلى الإخوة المقدسون..

- الإخوة ماذا؟

- المقدسون نسل سيدنا الأكبر إبليس، مسوط وعفار وصخر وأم المحاسن وعليها تمت تسميتي بعد تحضيرها.

- لا أفهم.

- كان اسمي سيدة في الأول وبعد تحضير هولاء أخذت اسم أم المحاسن من سيدتنا بنت سيدنا الأعظم وهي الشيطانة التي تظهر في المقابر لكل ساحر ويعاشرها حتى تقدم له ما يريد، ثم وصلنا إلى كل ما كنا نريده، وبدأنا في استقطاب الناس لأنه عن طريق تلك التعاويذ المقدسة لمصباح حضر إلينا إلى الأبد سيدنا مسوط وبدأنا في مراضاته بأيّ شكل ورويدًا رويدًا بدأنا في استدعاء الشياطين وأعوان سيدي مسوط في القرية والتي كان أهلها قد بدأوا في الهروب مما كانوا يروه ليلا، استطاع سيدنا خلق أشباه كثيرين لنا في كافة الآنحاء وخاصةً بعد أن فقدت عيني اليسرى بسبب حادثةٍ ملعونة، لم يكن لي أيّ يدٍ فيها لذا أطلق على أرضنا أرض العور وكل ما حدث..

قاطعتها وقد بدأت أشعر بالاشمئزاز من توددها واقترابها مني:

- من فضلك لا داعي للحديث على عينيك الآن، ادخلي في صلب الموضوع كيف أكون أنا ابنا لكِ؟

- أم الخير.

رفعت حاجبي دهشةً وأردفت بسرعة:

- خيرية؟

ابتسمت العجوز ولم أفهم سر ابتسامتها فأردفت في خبث:

- يبدو أن (إلهام) قد قصت لك كل ما حدث وأنا على يقين أن أغلبه كان كذبًا؟ هل أخبرتك إذن بأنها سمت أمها؟ هل أخبرتك أن شقيقك (ياسر) ليس شقيقك من الأصل بل حصلت عليه من رشوة أحد الدايات وذلك عندما أصابتك الحمى وكدت أن تموت في العاشرة من عمرك؟ هل أخبرتك بأن الشلل الذي أصابها من قدميها كان بسبب غضب من سيدي مسوط..

- ادخلي في الموضوع يا ست محاسن من فضلك.

- أم الخير كانت من أعواننا وكانت تتصيد لنا النساء العاقرات لأنهم من أكثر الناس بذخا في الأموال ومن حسن حظها أنها سكنت أسفل (إلهام) وظلت تلح عليها حتى أتت لأرض العور ووقتها تم الاتفاق بين مصباح وبينها

- وهو؟

- أن أحمل فيك..

- لست أفهم ما تقصدين..

- أن يعاشرني (مسوط) فألد بعد تسعة أشهر ثم تقوم هي بتربيتك.

وقتها انقبض قلبي مرةً أخرى فمسوط في الحالتين هو أبي وعادت لي الوساوس عندما كنت أتذكر أن كثيرًا من الأهل كانوا لا يتصورون أنني وياسر أشقاء بل أصلا لم أكن أشبه أبي أو حتى أمي، لكني هززت رأسي في شك المرة وضحكت بسخرية وأنا على وشك طردها من المنزل

- أنا لست طفلًا ساذجًا لكِ.

لكن المرأة أدارت لي ظهرها وبدأت في تعرية جسدها دونما سبب، لكنها كانت تقصد أن أرى شيئا، إنها تلك الوشمة التي على شكل قلب والموجودة خلف قلبي تمامًا، وللأسف كانت العجوز لديها نفس الوحمة في نفس المكان

تهاويت على أقرب كرسيّ بعدما كنت قد قررت طرد المرأة، أما هي فقد نظرت إليّ بشفقةٍ وبدأت في النحيب دونما سبب بعد أن غطت جسدها.

- أنا أستحق كل ذلك أستحق لأني ما كنت إلا امرأةً تلد وتوزع أبنائها على كلّ عاقرٍ تأتي إلى مصباح، قمت بعمل ذلك خمس عشرة مرة على مدار عشرين عامًا يا أشرف، عشرون عامًا أنجبت منها حوالي خمس وعشرون طفل وطفلة فأحيانًا كنت ألد بالتوائم وكل ذلك مقابل مبلغ ضخم جدًا وقتها ونجحت أمك في سرقة ذهب من والدة زوجها وأتت به لمصباح وبعد تسعة أشهر كاملة أخذتك وقامت بتربيتك واشترطت عليها أن تأتي بك كل عدة أشهر لكي تصبح واحد من أهلنا والتابعين لكنها رفضت حتى أن أراك ووقتها أرسلت لها أم الخير لتأتي بها لكنها

رفضت ووقتها أخبرتها أنها ملعونة وان هذا الطفل سيكون سبب في قتلها هي والطفل الذي ستتبناه، لم تصدق أكثر وهربت ولم نعلم لها أي طريق، وكما أخبرني سيدنا مسوط أنك في يوم ما ستأتي إليّ بقدميك وبالفعل أتى بك أخيك هرماز.

كانت المفاجآت لا تنتهي هرماز أخي كيف؟ وتذكرتكلمته عندما قال إننا أشقاء ولم أفهم وقتها فنظرت إلى العجوز التي كانت على وشك أن تقضي على آخر ما تبقى لي من ذرة عقل في رأسي

- هرماز؟ شقيقي؟

- نعم يا أشرف شقيقك ألم أخبرك أني حملت خمس عشرة مرة وكان من قبلك أولاد وبنات وأحدهم هو هرماز والذي ظل في خدمة سيدنا بعد وفاة أسرته التي تبنته فحضر في خدمتنا حتى صار شابًا، فكهلا وهرماز من أكثر الأشخاص ولاءًا لسيدنا أتعلم أن لديه عشراتٍ من الشياطين خدما له مكافأة لإخلاصه، وعلى الرغم من هيئته الدميمة وجسده المشوه إلا أنه بالفعل هو أقرب أبناء سيدي مسوط له.

- هل أنت فقط من كنت تقومي بذلك؟

- أنا!! كلا بالطبع إن لسيدي مسوط عشراتٍ وعشراتالنساء التي أنجبت آلاف الأطفال في العالم يا ولدي، كلهم من نسل سيدنا الأعظم ويحملون من دمه وينشرون رسالته في كل مكان، إننا كثيرون جدًا بل وأكثر مما تخيل، ولا تظن أن سيدنا (مسوط) كان يقيم في منزلنا فقط بل هناك العشرات والمئات من بيوته وغيره وغيره هو وإخوانه أولاد سيدنا المعظم..

- لكن لماذا، لماذا تلك الفكرة في إنجاب أكبر عددٍ من نسل الشيطان نفسه.

- نشر الشر، إثبات أن السيد الأعظم أفضل من أيّ كائن ترابيّ، وكان بالفعل لا يجب السجود لجدك البشريّ، تخيل عندما يسود جنس سيدنا من تزاوج أبنائه والمختلط بين الإنس والشياطين تخيل متى ستكون الأرض كلها من نسل الشيطان يا أشرف؟

اشمئزيت فجأة من غايتهم وفكرتهم فحاولت تغيير الموضوع وأن أجعلها تجيب عن كل تساؤلاتي.

- أكملي ماذا حدث بعد هروبها؟

- أخبرني (مصباح) أنك ستعود يومًا ما وعندما بدأت مشاكلك التي كنا على علمٍ بها بسبب تلك المرأة التي قامت بتربيتك، وقتها كان علينا إحضارك إلى أبينا وسيدنا لتأخذ العهد وتصبح واحدا من التابعين لنا يا أشرف ولسيدنا العظيم..

كانت الوشوم الملعونة قد بدأت مرة أخرى في الرجوع إلى يدي ورقبتي وخاصة عندما اقتربت العجوز وبدأت في التربيت على رأسي وأنا أضع رأسي بين كفي فقد اختلطت الحقيقة بالسراب، اختلط الواقع بالخيال وأصبحت لا أعلم حتى اسمي الحقيقي أو أهلي الحقيقيون.

- ولماذا تأتين إليّ؟ لماذا صحي ضميرك تلك المرة وأتيتي إليّ لتخبريني بكل شيء؟وأين مصباح ومسوط الآن؟

- مات مصباح منذ عشر سنواتٍ يا أشرف إثر حادثةٍ شنيعة هو الآخر أما الآن فلا يوجد أي عمل لي.

- حادثة؟ هل مثلكم يموت في حوادث؟

- بالطبع، أخبرتك أننا لسنا جنًا أو شياطين، إننا بشر مثلك فعلى الرغم من اختلاطنا بالشياطين وأبناء سيدنا الأعظم إلا اننا لسنا من طينتهم هم من النار ونحن من التراب نحن نتأثر بكل ما تتأثر به من مرضٍ وألم وإذا أصابنا حادث مثلا فإننا قد نموت فيه أفهمت؟

- إذن كيف لا يوجد عملٌ لك هل طردكِ مسوط؟

- لا يا ولديّ هو ليس هنا الآن، ألا تعلم السبب؟

كنت على وشك الصراخ وقتلها وقتل نفسي، كم تمنيت أن أهوي بتلك الهراوة على رأسها لتحطيمها وإسكاتها للأبد ثم أنتحر أنا الآخر، فقد يئست من الحياة بهذا الشكل بسبب شخص ما أتى بي إلى هذا العالم دون حتى أن يكون لي رغبة في المجيء فصرخت في وجهها.

- لا أعلم السبب، لا أعلم، أنا لست منكم ولا أعلم أيّ شيءٍ عن عاداتكم أو..

قاطعتني وهي تكاد تبكي:

- إننا في أول أيام رمضان يا أشرف، ولذا..

قاطعتها مندهشا وأنا أضع يدي على رأسي:

- رمضان؟

- نعم ذلك االشهر الذي يرحل عنا أهلنا الحقيقيين وأبونا وأسيادنا حتى نظل تائهين في الأرض ثلاثين ليلةً حتى يعود

الغائب وتعم الأفراح بداخلنا يا ولدي.

- حسنًا، حسنًا، توقفي عن النحيب ما الذي تريدينه مني تحديدًا؟

- مساعدتك ومساعدتنا؟

- مساعدتي، !! وكيف ذلك؟

- أنت مشتت لا مأوى ولا مكان لك ولا مستقبل والشرطة تبحث عنك لقتل (إلهام) و(ياسر) وسرقة المقابر و...

صرخت في وجهها حتى أبعد عن نفسي تلك التهمة التي لا أذكر عنها شيئًا

- أنا لم أقتلها أقسم لك أني لم أقتلها لا هي ولا شقيقي.

ابتسمت في سخرية مرة أخرى:

- شقيقك؟ حتى وإن كنتَ لم تقتل أحدا، لو انضممت لنا ستكون مكان (مصباح) وخليفته (هرماز) والابن المقرب لسيدنا وابن سيدنا وسوف تطوى الأرض تحت قدميك وسوف يعلو شأنك وستضمن حمايتنا لك ضد كل ما هو إنسيّ بشري ترابيّ، انضم لنا انضم لأهل النار ترى الخلود..

- وكيف يمكنني مساعدتكم؟

- أنت الوحيد الذي تستطيع الخروج إلى الناس وإحضار أشخاص لنا وتسهيل العمل مرة أخرى، بمعنى أصح إننا نريد أن تقوم بعمل أم الخير وعشرات من الأشخاص الذين بدأوا العمل معنا بهذه الطريقة، أطع أمك وسوف أضمن لك الحماية والمجد

من بعد (هرماز)

دار الحديث برأسي بينما ظلت تتحدث وتتحدث وتتحدث حتى أشرقت الشمس أو أنتصف النهار فأنا في عزلتي تلك في مقبرتي تلك في الشقة، أصبحت لا أعلم ليلي من نهاري، عندما دارت الأرض برأسي وأفقت، أقسم لكم بالله وافقت حتى أنتهي من هذا الحديث..

- هيا يا ولدي أحضر حقيبة ملابسك وطعام وتعال معنا إلى بيت (هرماز) لتقيم إلى الأبد معنا لترى أبواب الخير تأتي تحت أقدامك، تعالى وعش حياتك الحقيقية مع أهلك الحقيقيون.

- لقد بحثت عن محل (هرماز) عشرات المرات دون أن أراه.

- ولن تراه إلا بعد أن آتي معك ستراه وستقيم فيه؟

- لا، بالطبع فأسفل المحل هناك سلمٌ يؤدي إلى مكان فسيح للإقامة فيه وستجد فيه أشخاصٌ كثيرون على شاكلة (هرماز) كلكم أشقاء..

وتركتني وجلست واضعة ظهرها المحدب على باب الشقة ووضعت رأسها بين قدميها خوفا من هروبي وطلبت مني أن أسرع،.هل اقتنعت؟ نعم؟ أقسم لكم حدث واقتنعت ودخلت إلى غرفة النوم لأحضر حقيبتي وبدأت في وضع عدة ملابس ودخلت إلى المطبخ لإحضار كل الطعام الموجود.

لماذا في تلك اللحظة بالذات حضر طيف الشيخ (حسن) في عقلي وجلسته معي بالأمس وحديثه عن أبناء الشيطان؟ هل أتى ليؤنبني لما سوف أفعله بيدي؟ هل لو كان معي الآن كان سينهرني عن نزولي مع تلك المرأة، سواء كانت أمي أو لا فهي

ستقودني إلى مصير أسوأ من الجنون، نعم، فمصيري إلى النار، ألم تخبرني أنها تضمن لي الخلود وانضم معها لأهل النار، جلست على أرض المطبخ متذكرًا حديث الشيخ حسن وبدأت في البكاء ولأول مرة خوفا من الله، خوفا من مصيري ومقعدي في النار الذي أراه يتراقص أمامي وسط اللهيب وأنا أحترق وينبت لي جلد آخر، تمامًا كما رأيت ذلك المصير الأسود في القبر، أبعد كل ذلك أقوم بعمل ما هو أسوأ من السجود والكفر والسير في طريق الشيطان إلى مالا نهاية.

وإن ذهبت هل ستخلصني من يأسي وأتحول إلى شخصٍ آخر وتنتهي حيرتي وضياعي ما بين الواقع والخيال والصدق والوهم، نظرت من حولي لأجد مخرجًا حتى لو اضطررتُ للقفزِ من النافذة لأتخلص من حياتي للأبد، ففي كل الأحوال أنا كافر في حياتي وحتى بموتي منتحرا فسأكون في نفس المقعد في الجحيم الذي ينتظرني، حانت مني التفاتةٌ إلى شيءٍ ما بالقرب مني أسفل الحوض وثبت نظري عليه وكأنه هو الحل الوحيد مما سأمر به تمامًا كما فعلت في المرة السابقة.

ولكن..؟

بعد عدة دقائق أفقتُ على صوت العجوز وهي تصرخ فيّ لأهبط معها في طريقي إلى (هرماز)، وبعد عدة دقائق كنا في الشارع المؤدي إلى مكان المحل، بدأت (محاسن) في السير بسرعة لم أكن متوقعا أن لديها القدرة على ذلك وأنا أكاد ألتقط أنفاسي بصعوبةٍ من خلفها وخاصة مع حملي لحقيبتى الثقيلة، وشارع من خلف شارع ومن حارة إلى أخرى حتى وصلنا إلى مدخل زقاق لم ألحظه أثناء بحثي من قبل وكان فعلا هو المدخل إلى

حارة محل (هرماز) سرنا لمدة دقيقة، وكأني أسير من خلف ابنها (هرماز) في القرية نفس البيوت القديمة، كان هناك أحد البيوت المفتوحة على يميني، تمامًا أقسم لكم كما رأيت نفس الجمع من الرجال حول المنضدة وأمامهم نفس الثور الضخم وهم ينظرون إليّ أثناء مروري إلى بيت (هرماز)، وكأن الأحداث تعيد نفسها مرة أخرى لتصيبني بالجنون، توقفت المرأة أمام الدكان الذي رأيته من قبل أن أختلف فقط في أني قد رأيت (هرماز) واقفًا على بابه وهو يضحك رافعًا إليّ يده لياخذني بين أحضانه وهو يقهقه:

- ها، تريد روح مَن هذه المرة؟ أهي روح أمك..

وابتسمت العوراء في سعادة وكيف لا وهي ترى أولادها قد اجتمعوا أخيرًا، دخلنا من خلفه وأغلق الباب وظلا يتحدثان وأنا كالمنوم مغناطيسا وكأني لا أعلم أين أنا أو من هؤلاء أو من أتى بي إلى هنا، كنت أضع يدي على قلبي متذكرًا الشيخ (حسن) وتلك الجملة التي نبهتني في اللحظة الاخيرة:

- لا تتبع خطوات الشيطان يا أشرف ولا تستمع إلى ما تتلو الشياطين

ظل الاثنان يتسامران إلى أن اقترحت العوراء النزول إلى أسفل وبالفعل هبطت إلى الأسفل عن طريق المدخل الوحيد بعد أن أزاح (هرماز) المنضدة الثقيلة وأشار إليّ بالنزول، نظرت إلى حقيبتي فوجدت أنها من المستحيل أن تهبط من هذه الفتحة فقمت بفتحها وبدأت في إخراج بعض الأطعمة المحفوظة وأخبرته بأن ينزل ويتلقى مني الطعام وبالفعل نزل، وبدأت أعطيه عددًا من الأكياس التي تحتوي على مواد غذائية ثم

رفعت بعضًا من الملابس كاشفًا عن الجركن الذي وجدته تحت الحوض والذي يحتوي على كيروسين، وعادت إليّ ذكرى نفس فعلتي في منزل عمي (إبراهيم).

اقتربت من الفتحة وأنا أنظر لهما مبتسما ثم فتحت الجركن على (هرماز) الواقف أسفل السلم الخشبي البسيط فانسكب على جسده الكثير من السائل فجرى الناحية الأخرى بعيدا عني لتتقدم العوراء وهي تنظر بعينها الواحدة لترى ما الذي أفعله وقد تسبب في هرع ابنها لكنها فهمت بعض أن أصابها جزءٌ من السائل فبدأت في الصراخ وحاولت الصعود إلى أعلى، أغلقت الفتحة مسرعا بالمزلاج بعد أن لمحت عدة أشخاص على نفس هيئه (هرماز) يبدأون في الصياح، والتسلق على السلم الخشبي وصولا إليّ، أخرجت قداحتي وأنا في منتهى السعادة وفتحت فرجةً صغيرة في الفتحة لألقيها داخلها، مرت عدة ثوان وبدأت أسمع الصرخات التي بدأت في الوصول إليّ مع تصاعد تلك الرائحة التي تتصاعد مع اللحم البشريّ، لا أصف لكم مدى سعادتي تلك المرة برائحة شوائهم، كنت أسمع صرخاتهم الملتاعة، وأقسم لكم أني كنت أسمع صراخات (مسوط) تأتي إلي من الجحيم متحسرا على ما فعلته في جاريته وأبنائه المخلصين.

بدأ الدخان يتصاعد من الفتحة وسط احتراق الجميع وامتلأ المحل بالدخان الكثيف اتجهت ناحية الباب متذكرا كلمة العوراء فرفعت صوتي عاليا قائلا بسخرية:

- يا أمي ألم تخبريني أن أنضم لكم، أنضم لأهل النار ترى الخلود، افني من أجل أفعالك الآثمة، ها هي النار اخلدي فيها

@alanbyawardmsr

كما تشائين أنتِ وذريتكِ الملعونة إلى الأبد.

اقتربت من الباب وحاولت فتحه دون أي جدوى، حاولت مرة واثنتين وثلاثة، وجدت صعوبة في فتحه وكان وزنه وصل إلى طن، بدأ الدخان يكتم أنفاسي وخاصة عندما شعرت أن الفتحة في الأسفل هناك من يقوم بكسرها ليصعد ناجيا بروحه..

التفت خلفي وأنا أحاول كسر الباب بكل قوتي وفي اللحظة التي نجحت فيها في كسر فيها الباب وجدت وجه (هرماز) يخرج لي من الفتحة وقد احترق تمامًا وهو يتجه ناحيتى .

خرجت مسرعا وأنا أصرخ من الحارة إلى الشارع، كل ما أتذكره هو أني صرخت وصرخت وصرخت وكلما التفت ورائي وجدت (هرماز) المحترق تمامًا ومن خلفه كانت العوراء تجري على يديها وقدميها ومعهما اثنان بنفس هيئة (هرماز)، وكلهم محترقين تمامًا، لكن كيف لم يعدوا من خلفي بتلك السرعة لا أعلم..

عدوت بكل ما أستطيع هاربا من المكان كله، كان الناس مذهولين مني وأنا أجري وأصرخ وأصرخ، تحول المشهد بالكامل إلى مكان آخر ورأيت نفسي أهرب والمقابر من حولي والجميع يعدوا ورائي من إنس وجن وشياطين لا حصر لها وأمامهم (هرماز) يحاول اللحاق بي بعد أن اقترب كثيرًا

من أنا، بل لماذا أعدو من الأصل، لا أعلم أقسم لكم أي شيء، نسيت كل شي في تلك اللحظة التي وصل إليّ فيها ليمسكني من رقبتي بشدة وقبل أن أهرب منه لم أشعر بنفسي إلا بعد أن صدمتني سيارة ألقت بي إلى الرصيف الآخر.

maktabeh.blogspot.com

@alanbyawardmsr

الفصل الثامن

الوشم

عندما أفقتُ بعدما أغشي علىّ وأنا في منتصف الطريق لم أدرِ في بداية الأمر ما الذي حدث لي فيبدو أني كنت مسرعا منذ عدة دقائق وانتابني لحظة من فقدان الذاكرة لم أدرِ وقتها أين أنا أو تلك الظروف التي جعلتني مستلقيا في نصف الشارع والجميع يهرع حولي مع تلك النظرة المرتعبة لتلك الفتاة التي كانت تبكى وتولول لأنها صدمتني بسيارتها رغما عنها أثناء انشغالي بالركض وعبوري الطريق فجأة، لكني طمأنت الجميع وأنا أخرج الكلمات من فمي بصعوبة شديدة:

- أنا بخير شكرا لكم جميعا لا تقلقوا، مجرد إصابةٍ بسيطه في ركبتي.

حاولت القيام فلم أستطِع فجلست على الأرض ونظرت إليَ الفتاة المرعوبة صاحبة السيارة:

- وأنتِ يا ابنتي هذا ليس خطأكِ وإنما هو خطأي أنا فالله يعلم ما أمر به.

تناولت تلك الأيدي الممدودة لبعض الشباب الذين نجحوا في إسنادي وأجلسوني على كرسيّ بالقرب من محل، بعد أن انصرفت الفتاة شاكرة بعدما رأتني قد سرت ببطء على قدمي واقتربت مني فتاةٌ حسناء أخرى وهي تنظر لي بشفقه وعلى وجهها هي الأخرى علامات القلق:

- اسمح لي أنا طبيبة في تلك المستشفى القريبة هل ليأن

maktabah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

أفحصك لدقيقة قبل أن تذهب؟

- حسنًا، ولكني بخير فلا داعي للقلق، هي ساقي فقط وأستطيع أن أسير عليها فلا داعي لأي قلق.

- إذن أخبرني هل تعلم من أنت أو تاريخ اليوم يا سيدي؟

أجبتها بصوت ضعيف بعد أن فكرت لمدة خمس ثوان..

- الأربعاء أول إبريل.

تنحنحت الفتاة في خجل وهي تفحص عيني مباشرة:

- لا يا سيدي هذا من أسبوع نحن اليوم الأربعاء الموافق ثمانية إبريل.

استغرقت عدة لحظات أخرى واجما وأنا أتطلع إلى الجميع باستغراب فقد كنت نسيت فعلا من أنا وأين أنا كل ما أعرفه أني...

لا أدري، لا لا كل ما أتذكره الآن هو عبوري في منتصف الشارع فجأة حتى صدمتني تلك السيارة التي لم أنتبه إليها وفقداني الوعي لمدة دقيقتين أو ثلاثة.

حاولت الوقوف مرة أخرى، لكني لم أقدر، تأوهت قليلا ثم أخبرت الفتاة باسمي ثم تركتني هي وبقية الجمع عندما أخبرتهم أني أصبحت على ما يرام وأن كل ما أريده هو العودة إلى منزلي فقط.

نعم فقد تذكرت كل شيء وقتها فقد بدأت ذاكرتي تعود تدريجيا فعلا فأنا لم أكذب على الجميع لكن ما حدث لي من قبل يجعلني أتمنى أن أكون قد فقدت الذاكرة حتى الموت، اه لو كنا

maktabbah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

نمتلك تلك الموهبة في إخفاء ذكرياتنا السيئة إلى الأبدو...و..مهلا مهلا.

ياربي ما هذا الذي أفعله؟

لماذا أقوم بترديد كلامي مرة أخرى؟

أتعلمون الحقيقة والوهم،. الحياة والموت، الخلودوالفناء، الواقع والخيال أسماء كل منها عكس الآخر وهناك خط رفيع جدًا بين كل متضادين لكن على الرغم من ذلك فكل كلمة تشير لعالم ثاني مختلف عن نقيضه، أشخاص وأحداث وعالم آخر يحتويه كل مضاد منهم، وكل عالم له أقداره الخاصة به، وهناك منطقة رمادية في المنتصف يمر بها الأشخاص ولا يتوقفون بها أبدًا لعدم استطاعتهم..

لكن هل تصورت يومًا أن تكون أنت في تلك المرحلة الوسطية بين الاثنين أو تحاول رغما عن القدر أن تتمسك بهما سويًا وتقف في تلك المنطقة المبهمة بين كل عالم، إن فعلت ذلك سيكون بمثابة درب من دروب المستحيلات ولكن إن تحديت نفسك والظروف المحيطة، نجحت رغما عن الجميع وحدثت تلك المعجزة بطريقة ما بشكل ما في وقت ما وتمكنت من الوصول إليها صدقني سيحدث لك ما لا يمكن أبدًا أن تتصوره حتى في أسوأ كوابيسك، لذا فإن كنت قد وصلت إلى تلك المرحلة التي تريد فيها أن تعبر أغوار المجهول لتكتشفه، فنصيحتى لك ابتعد..

ابتعد من أجل كل ما هو عزيز لديك، ارتضِ بما قسمه الله لك وابتعد وادع الله كثيرا ألا تدخل في تلك التجربة، ما قدره الله لك هو ما كان وليس في إمكانك تغييره وكل ما يحدث لك هو

maktabbah.blogspot.com

المكتوب صدقني، والويل كل الويل لمن يعترض على إرادة الله..

لن أطيل عليكم، كل ما حدث لي كان بدايته منذ سنوات منذ أن تخطيت الأربعين..

مهلا مهلا، أنا لا أصدق نفسي أقسم بالله..

ياربي، ها أنا مرة أخرى أعيد لكم نفس الحديث وكأني اسطوانةٌ لا تمل من التكرار، أخبرتكم منذ ساعة أليس كذلك؟

لقد أخبرتكم صح؟

ألم أخبركم عن هذا الموقف من قبل وقت أن صدمتني السيارة عندما ذهبت لأحضر شهادة وفاة ابني (أشرف) عليه رحمة الله من السجل المدنيّ.

نعم لم أوفق للأسف، كان فلذة كبدي، الذي أتى بعد خمسة عشر عامًا من العقم، اللعنة.

لا لا مهلا مهلا مهلا أنا أشرف، هل أنا أشرف فعلا؟

يا ربي لا أتذكر أي شيء، أصبحت لا أعلم حتى من أنا

كل المواقف تتكرر أمامي مرة أخرى حتى اختلط الوهم بالخيال، الحقيقة بالكذب، الإيمان بالكفر، من أنا..

هل تعلمون حقا من أنا؟

ولما أنا لا زلت هنا في هذا المكان الكئيب؟

من فضلكم لقد كبرت وأصابني العجز والوهن والضعف إن كان لديكم أي تأكيد عن حالتي أو حتى ما الذي حدث لي أجيبوني من أنا؟

maktabban.blogspot.com

صمت أشرف أخيرًا بعد جلسةٍ استمرت ثلاث ساعات في غرفة المتابعة الاسبوعية بمستشفى الأمراض العقلية بينما كان أمامه ثلاثة أطباء يفحصون حالته مرةً كل ستة أشهر لمعرفة مدى التقدم في حالته من عدمه..

نظر طبيبه المُعالج (علي الرفاعي) إلى زميليه الذين كانا أحدهما الطبيب (أحمد هارون) مساعده في تلك الحالة المستعصية والذي أشار آسفًا بإيمائةٍ من رأسه دليل على تأخر الحالة دون أي جدوى من العلاج بينما وقف الطبيب الجديد الملتحق بالعمل في هذا القسم لرؤية الحالة التي سوف يتابعها بعد سفر الطبيب (علي الرفاعي) الذي رمقه بنظرةٍ فابتسم في سعادةٍ لأنه سيتولى العلاج بطريقة جديدة من الغد

قطع حبل نظراتهم صوت (أشرف) مرة أخرى مشيرا إليهم:

- ها أخبروني من أنا؟ وأين أنا؟

أغلق الطبيب (علي الرفاعي) ذلك الملف الأزرق والمكتوب على غلافه اسم المريض

- أشرف نجيب محمود-

وهو يتنهد في يأس مناولا الملف للطبيب الجديد الذي تلقاه مُرحبا بينما التفت علي إلى أشرف وبدأ بالحديث:

- سأخبرك يا أشرف لا أعلم للمرة الكم ولكني سأخبرك لكن أولا هل تجيبني عن سؤالين؟

حك أشرف رأسه ونظر إلى الطبيب مرددًا

- في حال إن كنت أتذكر ذلك بالطبع سأخبرك

maktabbah.blogspot.com

- متى حدثت لك تلك القصة على وجه التحديد؟

- لا أتذكر على وجه التحديد، لكن، انتظر انتظر، منذ أسبوع نعم منذ أسبوع تمامًا أنا متذكر ذلك جيدًا

- أكيد؟

- نعم نعم هو أكيد.

- حسنًا، هل تتذكر كيف جئت إلى هنا؟

أطرق أشرف دقيقة ينظر في سماء الغرفة ثم هز رأسه مردفا في ضيق

- لا لا أعلم كيف أتيت، أو من أتى بي، هل تعلم أنت؟

- حسنًا. أنت هنا تقريبا منذ ست سنوات يا أشرف وكل ستة أشهر نسمع منك تلك القصة إلا ذلك الطبيب الوافد الجديد والذي سيتولى حالتك بعد سفري ونقل زميلي الآخر الذي يتابع حالتك الطبيب (أحمد) للعمل بأحدى المصحات الأخرى وسوف أقوم بتوصيته عليك وسيجرب علاجا آخر أتمنى أن تأتي نتيجته بأحسن من علاجي في القريب بإذن الله

قاطعه أشرف بغضب:

- من فضلك ادخل في الموضوع مباشرة يا دكتور علي.

- اهدأ من فضلك سمعنا تلك القصة حوالي عشر مرات لم تغير فيها حرفا في نفس الموضوع بنفس الأشخاص في نفس الغرفة مما يؤكد أن هناك امرا ما يصعب معه علاجك، هناك جزء مجهول بداخل مخك استنفذت كل طرق العلاج معه حتى أعلم

مكتبة بنت الحرش
maktabah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

ما الموجود بداخله طوال هذه السنوات ونحن..

قاطعه أشرف باستنكار:

- ست سنوات ماذا؟ لماذا تصر على أني مر بي هنا ست سنوات، ولماذا أتيت إلى تلك المصحة من الأصل؟

- ما حدث هو أن الشرطة هي من قبضت عليك يا أشرف أتعلم لماذا؟

- لأنك قتلت أمك وشقيقك قمت بذبحهم بطريقة بشعة، حاولت دفعك على الاعتراف طوال هذه السنوات دون جدوى مصمم على أن يديك تحكم فيها مسوطك هذا وهو من فعل كل تلك الجرائم التي قمت بها..

ضحك أشرف بسخرية وهو يشير للدكتور على رأسه وكأنه أصابه الخبل:

- هل أنت مجنون أيها الطبيب؟ أنا أقتل أمي وشقيقي مستحيل، ألم تسمع قصتي، من قام بفعل ذلك هو أشرف الآخر الآتي من الجدار

- حدث يا أشرف عندما ادعيت أنه حدث لك شلل في يديك وأصبحت غير متحكم فيها بالمرة واستليت سكينا وأنت بحوار أمك ثم ذبحتها فأتى شقيقك مدافعا عنها إلا أنك نحرته بالسكين ليسقط صريعا على الفور.

- لا لا أنت تهذي أيها الطبيب، أنا لم أقل ذلك أبدا.

- حدث في اعترافك الأول مع الشرطة.

- لا لا لم أقتل أمي أو شقيقي أقسم لكما، لست أنفي تهمة

maktabah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

القتل عن نفسي، نعم أنا قاتل كما أخبرتكم لكني قتلت عمي إبراهيم، وأحرقته حتى تفحمت جثته نعم قتلته إنما أهلي مستحيل مستحيل

- وهل عمك إبراهيم هذا ليس من أهلك؟ عمك إبراهيم الذي تدعي أنك قتلته لم يمت حتى الآن بل هو من يحضر إليك في زيارة كل شهر يا أشرف، عم إبراهيم هو من تجلس تحاوره كل شهر يا أشرف على أنه شقيقك ياسر، لقد حضرت مرة نقاشكم عندما كنت تنهره عن الزواج بإحدى الطالبات في كليته ومرة أخرى كنت تقوم بدور والدك وتقص عليه قصص جدكما وسط اندهاشه نفسه أنك تعلم كل ذلك واأنت لم تمر به، أشياء غريبة كثيرة تحتاج إلى تفسير وسوف تجلس ساعات مطولة مع طبيبنا الجديد ربما وصل إلى ما عجزنا عنه.

- أنا؟

- نعم أنت فبعدما قبضت عليك الشرطة وسمعت اعترافك الغريب هذا وإصرارك عليه حولتك إلى مستشفى الأمراض العقلية وأغلب فحوصاتنا أكدت أن لديك هلاوس سمعية وبصرية، ولا يوجد علاج لم نقم بتجربته عليك، تتحدث مع ناس غير موجودة تخلق عوالم أخرى داخل خيالك ليس لها دليل من الصحة، أتعلم أنك ذات مرةٍ..

قاطعه أشرف بصوت أقرب إلى البكاء قائلا:

- لا أقسم لك كل هذا حقيقي أقسم لكم أنه حقيقي حقيقي، انظر حتى إلى أسناني أنا وساكن المرآة هو من قام بخلعها ألست تريد دليلا على عدم هذياني؟

maktabah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

القتل عن نفسي، نعم أنا قاتل كما أخبرتكم لكني قتلت عمي إبراهيم، وأحرقته حتى تفحمت جثته نعم قتلته إنما أهلي مستحيل مستحيل

- وهل عمك إبراهيم هذا ليس من أهلك؟ عمك إبراهيم الذي تدعي أنك قتلته لم يمت حتى الآن بل هو من يحضر إليك في زيارة كل شهر يا أشرف، عم إبراهيم هو من تجلس تحاوره كل شهر يا أشرف على أنه شقيقك ياسر، لقد حضرت مرة نقاشكم عندما كنت تنهره عن الزواج بإحدى الطالبات في كليته ومرة أخرى كنت تقوم بدور والدك وتقص عليه قصص جدكما وسط اندهاشه نفسه أنك تعلم كل ذلك واأنت لم تمر به، أشياء غريبة كثيرة تحتاج إلى تفسير وسوف تجلس ساعات مطولة مع طبيبنا الجديد ربما وصل إلى ما عجزنا عنه.

- أنا؟

- نعم أنت فبعدما قبضت عليك الشرطة وسمعت اعترافك الغريب هذا وإصرارك عليه حولتك إلى مستشفى الأمراض العقلية وأغلب فحوصاتنا أكدت أن لديك هلاوس سمعية وبصرية، ولا يوجد علاج لم نقم بتجربته عليك، تتحدث مع ناس غير موجودة تخلق عوالم أخرى داخل خيالك ليس لها دليل من الصحة، أتعلم أنك ذات مرةٍ..

قاطعه أشرف بصوت أقرب إلى البكاء قائلا:

- لا أقسم لك كل هذا حقيقي أقسم لكم أنه حقيقي حقيقي، انظر حتى إلى أسناني أنا وساكن المرآة هو من قام بخلعها ألست تريد دليلا على عدم هذياني؟

maktabah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

وفتح فمه مشيرا إلى أسنانه في يأس، فتحدث الطبيب المساعد (أحمد هارون) وهو يقف:

- يا أشرف أنا بنفسي من صرفت لك تحويلًا للعلاج في عيادة الأسنان وذهبت مع أحد الممرضين بناءًا على توصيتي بخلع ضرس لك كان يصيبك بألم مبرح، اهدأ وسوف تتحسن في القريب بإذن الله..

وأشار إلى الطبيب (علي رفاعي) بمعنى أنه انتهى من الفحص وعليهم الانصراف، فتناول الطبيب الملف واقترب من أشرف وهو يربت على كتفه في حنان أبوي بينما أشرف كان لا يزال على كلماته:

- يا دكتور علي أقسم لك كل ذلك حقيقي حقيقي.

- استودعك الله يا أشرف أتمنى أن أسمع أخبارًا جديدة عن تحسن حالتك.

وأعطى الملف للطبيب الجديد الذي تناوله في سعادة، بينما وقف الثلاثة على باب الغرفة تاركين أشرف الذي يحاول أن يتذكر أي شيء ليرد عليهم لكن بعد خروجهم عاد الطبيب الجديد بعد أن لمعت في ذهنه فكرة فاستأذن إلى الرجوع عدة ثوان إلى الغرفة بينما انتظره الآخران في الخارج قبل المرور على بقية المرضى.

صاح الطبيب الجديد على (أشرف) بعد أن أغلق الباب خلفه في هدوء وبدأ يقترب منه وهو يضع يده على رأس (أشرف) الذي كان لا يزال غارقا في أفكاره فسأله في ابتسامة لم ترق له أبدًا:

maktabah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

- حسنًا، يا مريضي الجديد، لنبدأ معك أول سؤال هل لك أن تخبرني اليوم يوافق كم في الشهر؟

- كل ما أخبرتكم به حقيقي حقيقي.

- لا دأعي لذلك الآن المهم أخبرني ما تاريخ اليوم؟

- لا أعلم ذلك أيضًا ولكني أعتقد اننا في الشتاء أليس كذلك؟

ابتسم الطبيب مرة أخرى وهو يربت على خد أشرف قائلا:

- انظر إليّ جيدًا انظر وتذكر، انظر إلى عيني يا أشرف أو تحب أن أطلق عليك اسم أيمن؟

عاد (أشرف) مفزوعا بظهره وكاد أن يقع من كرسيه بعد أن وجد أن يديه يغطيها الوشم بينما كانت الوشومات السوداء تملأ رقبة الطبيب المعالج الجديد الذي اقترب من أذن أشرف هامسا بسخرية:

- لا تخف لا تخف أنا شقيقك، واسمي الحقيقي -راجيم- الأخ الأصغر لهرماز، كلنا أخوة يا أشرف، كلنا أخوة يا حبيبي، أتتذكر (هرماز) الذي قتلته هو وعشيرته؟ لا تخف لقد أصبحنا بجوارك الآن، أصبحنا بجوارك للأبد، أتظن أننا كنا سنتتركك تنجو بفعلتك؟ أتظن أن أبينا مسوط لن يعاقبك على فعلتك؟ ستتمنى على يدي لو أنك مت في ذلك اليوم مع عشيرتك، أن تكون مت من النيران التي أحرقت أهلنا وعشيرتنا المتبقية من أرض العور، لا تقلق أمامنا الكثير والكثير جدًا من طرق العلاج التي ستجعلك تتمنى الموت ولن تطوله إلا بإذني يا شقيقي العزيز.

وابتسم في سخرية لكن فُتح الباب فجأة فاختفت كل الوشوم

maktabah.blogspot.com

@alanbyawardmsr

عندما ظهر الطبيب (علي الرفاعي) سائلا إياه عن سبب التأخير فأردف الطبيب الجديد في سعادة

- كنت أسأله يا دكتور علي على تاريخ اليوم.

وأشار إلى أشرف وهو يخرج من الغرفة قائلا بسخرية أمام علي الرفاعي:

- خطأ يا صديقي، خطا، اليوم هو الأربعاء الأول من إبريل.

عزيزى القارئ .. عزيزتى القارئة .. تذكر أنك حملت رواية راجيم ما تتلو الشياطين حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك، زيارتكم تسعدنا

النهـــــــــــــاية

بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com